

www.christianlib.com

المسيح

الذى لا مثيل له

چون ستوت

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

المسيح

الذي لا مثيل له

تأليف

چون ستوت

تقديم

د. چورچ كاري

رئيس أساقفة كانتربري السابق

ترجمة

نكلس نسيم سلامه

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

The Incomparable Christ

By

John Stott

IVP

المسيح الذي لا مثيل له

الطبعة الأولى ٢٠١٠

تأليف: جون ستوت

ترجمة : نكلس نسيم سلامه

مراجعة اللغة العربية : د.ق : بهيج رمزي

مراجعة الترجمة : المطران د. منير حنا

الناشر: دار النشر الأسقفية : ٣٠ شبرا ـ القاهرة ـ مصر .

ت : ٢٥٧٥٥٣١٦ (٠٢٠٢) ـ ٢٥٧٦٦٧٠٢ (٠٢٠٢) .

الموقع الإلكتروني: www.darelnashr.com

اسم المطبعة : سان مارك ـ ت : ٢٣٤١٨٨٦١

تصميم غلاف: سامح نعيم

تصميم داخلي: چي . سي . سنتر ـ ت : ٢٦٣٥٨٧٩٧

رقم الإيداع : ١٤٧١٢ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي: ٣ ـ ٩٩ ـ ٥٨٨٤ ـ ٩٧٧

(جميع حقوق الطبع محفوظة لدار النشر الأسقفية. فلا يجوز الاقتباس أو إعادة النشر والطبع بدون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

محتويات الكتاب

تقديم : للدكتور چورچ كاري : رئيس أساقفة كانتربري السابق ٧

تمهيد : رئيس لجنة النشر. لندن ٩

شكر وعرفان ١١

مقدمة الكتاب ١٣

١- مركزية يسوع ١٣

٢- التاريخ والفكر اللاهوتي ١٧

الجزء الأول: يسوع الأصلي
(أو كيف يشهد العهد الجديد ليسوع)

* **الأناجيل الأربعة** : ٢٣

١- إنجيل متى : المسيح الذي تحققت فيه نبوات الكتاب ٢٣

٢- إنجيل مرقس : المسيح الخادم المتألم ٢٧

٣- إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل : المسيح مخلص العالم ٣٢

٤- إنجيل يوحنا ورسائله : المسيح الكلمة صار جسداً ٣٩

٥- الإنجيل الرباعي ٤٤

٦- يسوع وبولس ٤٦

* **رسائل بولس الثلاث عشرة** ٤٩

٧- رسالة جدلية (غلاطية) ، المسيح المحرر ٥٠

٨- الرسائل الأولى (تسالونيكي الأولى والثانية) : المسيح الديان الآتي ٥٣

٩- الرسائل الكبرى (رومية ، كورنثوس الأولى والثانية) : المسيح المخلص ٥٧

١٠- رسائل السجن (كولوسي ، فليمون ، أفسس ، فيلبي) : المسيح السيد الأسمى ٧٢

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١١ـ الرسائل الرعوية (تيموثاوس الأولى، تيطس، وتيموثاوس الثاني) : المسيح رأس الكنيسة ٧٦
* ثلاثة كتبة يهود آخرين ٧٨
١٢ـ رسالة يعقوب : المسيح المعلم الأخلاقي ٧٩
١٣ـ الرسالة إلى العبرانيين : المسيح رئيس كهنتنا الأعظم ٨٢
١٤ـ رسالتا بطرس الأولى والثانية : المسيح المتألم المثالي ٨٦
* خاتمة : تنوع في وحدة ٨٩

الجزء الثاني : يسوع كما قدمته الكنيسة

* مقدمة : يسوع آخر ٩٥
١ ـ المسيح الذي تحققت فيه جميع النبوات : يوستينوس الشهيد (الأنبياء والفلاسفة) ٩٧
٢ ـ المسيح الفريد « الله ـ الإنسان » : المجامع الأولى (أهمية التعليم الخاص بالمسيح وحياته وأعماله ورسالته) ١٠٠
٣ ـ المسيح الراهب الكامل : القديس بنيديكت (سؤالان عن الرهبنة) ١٠٤
٤ ـ المسيح الفادي : أنسلم (الفكر اللاهوتي للكفارة في القرون الوسطى) ١٠٨
٥ ـ المسيح العريس السماوي : بيرنارد الكليرفوى (التصوف المسيحي) ١١١
٦ ـ المسيح، النموذج الأخلاقي الأسمى : توما القمبيزي . (التمثل بالمسيح في الزهد والعفة) ١١٥
٧ ـ يسوع الذي خلصنا بنعمته : مارتن لوثر (التبرير بالإيمان فقط) ١١٩
٨ ـ المسيح المعلم الإنسان : إرنست رينان وتوماس جيفرسون . (الشكوك التي صاحبت حركة التنوير) ١٢٢
٩ ـ المسيح الضحية المأساوية : جون مكاي (الجمعة الحزينة بدون القيامة) ١٢٦
١٠ـ المسيح المحرر الاجتماعي : جوستافو جوتيريز (أخبار سارة للفقراء) ١٣١
١١ـ يسوع المسيا اليهودي : ن.ت.رايت (السبي والخروج) ١٣٦

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٢- المسيح سيد العالم كله: الإرسالية في القرن العشرين. (من إيدنبرة ١٩١٠م إلى لوزان ١٩٧٤م) ١٤١
* خاتمة: الأصالة في مواجهة التعايش ١٤٥

الجزء الثالث: يسوع المؤثر
(أو كيف كان يلهم الشعب)

* مقدمة: قصة يسوع ١٥١
١ -إسطبل بيت لحم: فرانسيس الأسيسى (ميلاد الملك الفقير) ١٥٣
٢ -دكة النجار: چورچ لانسبوري (كرامة العمل اليدوي) ١٥٦
٣ -خدمة العطف والحنان: الأب داميان، ويليزلي بيلي (التعامل مع المنبوذين) ١٦٢
٤ -الموعظة على الجبل: ليو تولستوي، المهاتما غاندي، مارتن لوثر كنج، (تحدي عدم المقاومة) ١٦٦
٥ -محبة الأطفال: توماس بارناردو (باب مفتوح دائماً) ١٧٠
٦ -غسل الأرجل: صمويل لوجان برنجل (درس ضروري في التواضع) ١٧٤
٧ -الصليب: تويوهيكو كاجاوا (الإعلان عن محبة الله) ١٧٨
٨ -القيامة: چوني إريكسون تادا (سأقف على قدمي وأرقص) ١٨١
٩ -الإرتفاع إلى المجد: هنري مارتن (غيرة لكرامة اسم المسيح) ١٨٥
١٠-عطية الروح القدس: رولاند ألين (الروح القدس هو روح المرسل) ١٨٨
١١- المجيء الثاني: أنتوني أشلي كوبر (لورد شافتزبري) (برنامج للإصلاح الاجتماعي) ١٩١
١٢-الدينونة الأخيرة: وليم ولبرفورس (إلغاء الرق وتجارة العبيد) ١٩٤
* خاتمة: طبيعة تأثير المسيح ١٩٨

الجزء الرابع: يسوع الأبدي
(أو كيف يتحدانا في هذه الأيام)

* مقدمة: إعلان يسوع المسيح ٢٠٣

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

* **أربعة مبادئ للتفسير** ٢٠٦
١ ـ المسيح يقول إنه: الأول والآخر، وهو الحي (رؤيا١) (رؤيا عن المسيح المقام والأبدي) ٢٠٩
٢ ـ المسيح يشرف على كنائسه التي على الأرض (رؤيا ٢-٣) (سبع علامات للكنيسة النموذجية) ٢١٣
٣ ـ المسيح يشارك عرش الله الآب في السماء (رؤيا ٤ ـ ٥) (العرش، السفر، والخروف) ٢٢٠
٤ـ المسيح يتحكم في مجرى التاريخ (رؤيا ٦ ـ ٧) (الختوم السبعة والمجتمعان) ٢٢٦
٥ ـ المسيح يدعو العالم إلى التوبة (رؤيا ٨-١١) (الأبواق السبعة، السفر الصغير، الشاهدان) ٢٣٠
٦ ـ المسيح يغلب الشيطان وحلفاءه (رؤيا ١٢ ـ ١٣) (المرأة، التنين، الطفل الذكر، الوحشان) ٢٣٩
٧ ـ المسيح واقف على جبل صهيون مع مفديه (رؤيا ١٤:١-١٥:٤) (البديل الجذري (الراديكالي): الخلاص والدينونة) الخروف والمئة وأربعة وأربعون ألفاً (١٤: ١ ـ١٣) ٢٤٧
٨ ـ المسيح يأتي كلص في الليل (رؤيا١٥: ٥ ـ ١٩: ١٠) (الدعوة للاستعداد) ٢٥١
٩ ـ المسيح راكباً منتصراً على فرس أبيض (رؤيا ١٩: ١١ ـ ٢٠: ١٥) دينونة الوحش والشيطان ٢٦٢
١٠ـ مجيء المسيح كعريس يطلب عروسه (رؤيا ٢١ ـ ٢٢) الكون الجديد، والمدينة الجديدة، والجنة الجديدة ٢٦٩
ختام (رؤيا ٢٢: ٦-٢١) ٢٧٦
* **خاتمة: كتاب واحد في أربعة أجزاء** ٢٨٢
* **الملحـــق** ٢٨٥

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تقديم

لا يساورني أدني شك باعتباري أسقف كانتربري في أن أعظم وأهم عمل بالنسبة لنا كمسيحيين في أيامنا هذه، وأياً كانت الطائفة التي ننتمي إليها، هو أن نذكر «اسم المسيح»، وأن نفعل ذلك في إطار الاحترام العظيم لمعتقدات الآخرين، ولكن أيضًا مع القناعة بأن شخص المسيح مازال يوفي بتطلعات وآمال كل إنسان.

لقد جعل د. چون ستوت موضوع المسيح، جوهر عمل ودراسة حياته. وقد سطر قلمه الكثير من الكتب المؤثرة الثاقبة التي جمعت بين الثقافة المسيحية، وسنوات من الالتزام التعليمي للعمل الرعوي والكرازي الخاص بالكنيسة. وقد تدفقت فيها التفاسير المقنعة التي تثبت حاجة العالم في أيامنا هذه إلى المسيح.

وعلى الرغم من أن چون ستوت يُعد كاتباً له مكانته البارزة في الفكر المسيحي، إلا أنه لم يكن إطلاقاً لاهوتياً يعيش في برج عاجي، بل يقع في إطار من يطلق عليه التقليد الإنجليكاني «الراعي المعلم» أما حجرات الدراسة التي كان يقوم بالتعليم فيها فهي: أولاً الكنيسة، ثانياً العالم. وبرغم ذلك، لم يسعَ لشغل منصب أكاديمي أو كنسي. ومع هذا، وعلى أساس شهادة دافيد إدواردز نفسه: «باستثناء وليم تمبل نجد أن چون ستوت هو أكثر رجال الدين تأثيراً في كنيسة إنجلترا في القرن العشرين».

لأن چون ستوت هو رجل الله المتواضع كما هو معروف عنه، فإنه ـ كالعهد به ـ لن يتقبل هذا المديح، ولكني أرى لزاماً على أن أعبر عن امتناني وتقديري لهذه الخدمة الرائعة للكنيسة المعاصرة. أما الأهداف الرئيسية الأربعة التي ترمي إليها لجنة محاضرات لندن «London Lecture» فهي: شرح بعض نواحي المسيحية الكتابية التاريخية، والربط بينها وبين موضوع معاصر في الكنيسة، أو العالم، وأن تكون ثقافية في مضمونها، ومع ذلك

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تكون شعبية بما يكفي من ناحية بساطتها وأسلوبها لتجذب جمهور المتعلمين، وأن تقدم كل موضوع بطريقة تجذب اهتمام غير المتدينين والمسيحيين على حد سواء.

وهذه الأهداف الأربعة ـ بحسب ما أراها ـ تُعد صورة حقيقية لخدمة چون ستوت، منذ بداية خدمته حين كان راعياً لكنيسة «كل النفوس» هنا في لانجهام بليس «Langham Place» وحتى الآن فيما يختص بالدور الذي يقوم به حالياً كسفير عالمي ليسوع المسيح.

ويلخص الأسقف تيموثي دادلي سميث خدمته حينما كتب سيرته قائلاً:

«لا يستطيع أحد أن يقرأ كتابات چون ستوت دون أن يدرك أن هدفه هو أن يعلم ويشرح إيماناً مُوحى به من الله، ويفسر الأسفار المقدسة الخالدة وما تتضمنه من سلطان، وذلك للعالم المعاصر. ونحن نوجه تحيتنا لچون كراع، وواعظ، ومثقف موهوب، وكاتب، وكمدافع أنجليكانى عن الإيمان، وكأخ مسيحي، ونقول له إننا نشكر الله من أجلك. ومن أجل خدمتك الطويلة التي تؤديها بنعمة الله».

ويبدو أن لجنة محاضرات لندن للمسحية المعاصرة:

«London Lectures for Contemporary Christianity»

والتي أسسها چون ستوت نفسه عام ١٩٧٤ لم يسبق لها أن حظيت بمؤسسها كمحاضر حتى الآن. ولذا كان من المناسب جداً في هذه الألفية أن يقدم هو بنفسه هذه السلسلة. كما أنه من المناسب للغاية في هذه السنة أيضاً أن يكون الموضوع هو ما كان يركز عليه چون دائماً في خدمته وهو: «المسيح الذي ليس له مثيل».

د. چورچ كاري

رئيس أساقفة كانتربري السابق

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تمهـــيد

رأت لجنة محاضرات لندن « London Lectures » أنه من المناسب في هذه الألفية أن نركز انتباهنا على يسوع وأنه من المناسب على وجه الخصوص، أن يُدعى ستوت، الذي بفضل رؤيته الثاقبة وجهده المشكور ظهرت سلسلة المحاضرات لكي يقدمها هو شخصياً.

لم يخب رجاؤنا. وأقبل على المحاضرات جمهور رائع وكانت كنيسة « كل النفوس » بلندن تعج بالحاضرين كل يوم خميس من الأسابيع الأربعة التي أُلقيت فيها هذه المحاضرات. وكانت المحاضرة الأخيرة بحضور صاحبة السمو الأميرة الكسندرا، وقام بمهمة التقديم صاحب النيافة رئيس أساقفة كانتربري. وقد قدمت الأحاديث الكثير مما يحفز العقل ويشبع القلب. وكانت أستاذية المحاضر وحماسته الشخصية واضحة للغاية وهو يقدم دراسة عظيمة وعميقة المعنى شغلته طوال حياته، وكان موضع الاهتمام والتركيز الدائم فيها هو « شخص السيد المسيح » وإنه مما يسرني وبالأصالة عن نفسي، ونيابةً عن لجنة محاضرات لندن « London Lectures »، أن أزكي هذه الدراسة عن يسوع، وهى دراسة مهمة وتثير الفكر.

چـــون جرايستون

رئيس لجنة محاضرات لندن

«London Lectures»

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

شكر وعرفان

أود أن أعبر عن شكري الجزيل للجنة «محاضرات لندن» لدعوتها لي لإلقاء محاضرات سنة ٢٠٠٠م، وأيضاً لاقتراحها بأن يكون الموضوع المناسب الوحيد هو «يسوع نفسه» والذي كان من المفترض أن نحتفل بميلاده الألفي. وبالرغم من اتخاذ اللجنة لهذين القرارين، إلا أنها تركت لي حرية كتابة الموضوع بحسب ما يترائى لي. وكانوا يشجعونني دائماً، وفى مقدمتهم چون جرايستون رئيس اللجنة الممتاز، وبيتي بيكر السكرتيرة الواعية ذات الكفاءة العالية.

ثم إنى أدين بالفضل للعديد من الأصدقاء الذين أعاروني كتباً، أو قدموا لي نصيحة وساعدوني على تصنيف الكتب والمخطوطات والمراجع التي كنت في حاجة إليها، وأخص بالذكر ريتشارد بيويز، ديك فرانس، تيموثى دادلى ـ سميث، بول بارنيت، بول بلاكهام، چون .د. ياتس الثالث، رينيه باديللا، ويونيس بيرتون.

كما أقدم خالص شكري لدار نشر إنتر ـ فارستى، التي قامت بمهمة النشر، وإلى ستيفاني هيلد المحررة، وستيف موتيير، ودافيد رايت. وهؤلاء عينتهم دار نشر إنتر فارستى باعتبارهم القراء الرسميين للمخطوطة، وقد قدموا عدداً من التعليقات المميزة.

غير أنى أقدم شكراً خاصاً لـ «كوري ويدمر» مساعدي الحالي، الذي كرس نفسه للمحاضرات لمدة ثمانية عشر شهراً تقريباً. وقد تبنى هذه المحاضرات و أولاها اهتمامه الشخصي. وقد أظهر جَلَداً ملحوظاً في القيام بعمله من ناحية تتبع المراجع التي لم أستطع العثور عليها، وفي اكتشافه كتباً كنت في حاجة إلى الرجوع إليها أو قراءتها، وفي استفادته إلى أقصى حد من التسهيلات التي تقدمها المكتبة البريطانية التي كانت قد افتتُحت حديثاً. أما بالنسبة لنص المحاضرات، فلابد وأنه قد قرأها ما لا يقل عن عشر

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مرات في مراحل مختلفة. وكانت اقتراحاته إيجابية و نافعة، كما أنه كتب أيضاً دليل الدراسة المصاحب لمجموعة شرائط الفيديو الأربعة الخاصة بالمحاضرات. ولكل هذا، أعبر له عن شكري العميق.

ثم إن كلاً منا قد اعتمد كثيراً على فرانسيس وايتهيد، التي كان لمثابرتها الفريدة في عملها كسكرتيرة خاصة لي لمدة خمس وأربعين سنة، وتسخيرها لمهاراتها الرائعة في استخدام الكمبيوتر في العمل، ورغبتها في رؤية النص خلال مراحله الرئيسية الثلاث ـ الطبعة الأصلية، واختصارها لكى تصلح لإلقائها كمحاضرات ثم تحويلها إلى هذا الكتاب. وفي أبريل سنة ٢٠٠١م، وحين أُعلن في اجتماع عام أن رئيس أساقفة كانتربري قد قرر تكريمها بمنحها درجة الماجستير من جامعة لامبيث، فإذا بالحاضرين يحيونها فوراً وبشكل تلقائي وبحماسة بالغة.

وإذ أقدم هذا الكتاب بهذه الطريقة فإنني أصلي راجياً أن يعترف الكثيرون ممن يقرأونه بيسوع المسيح على أنه الشخص الوحيد المستحق لعبادتنا وشهادتنا ورجائنا، وأنه يستحق أن يُوصف «الذي ليس له مثيل» لأنه ليس له نظير أو منافس.

چون ستوت

يوليو ٢٠٠١

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مقدمة الكتاب

١ـ مركزية يسوع

كتب يارو سلاف بيلكيان فى مستهل كتابه واسع الانتشار، والذي عنوانه « يسوع عبر القرون » بغض النظر عما يعتقده أي شخص أو يؤمن به بخصوصه، فإن يسوع الناصري كان الشخصية المهيمنة في تاريخ الثقافة الغربية لمدة عشرين قرناً تقريباً.

ومن ثم كان لابد من أن تركز لجنة محاضرات لندن عن المسيحية المعاصرة ـ بمناسبة الألفية الثالثة ـ على يسوع المسيح، خاصةً وأننا كنا نحتفل بعيد ميلاده (أياً كان التاريخ الصحيح لذلك). ولنتأمل هيمنته في ثلاثة مجالات.

أولاً: « يسوع هو مركز التاريخ ». ولا تزال نسبة كبيرة من الجنس البشري تواصل تقسيم التاريخ إلى شطرين هما: قبل الميلاد، وبعد الميلاد تأسيساً على تاريخ ميلاده. وفي سنة ٢٠٠٠م وصل عدد سكان العالم إلى ستة آلاف مليون نسمة، في حين أن العدد المقدَّر للمسيحيين كان ١٧٠٠ مليون، أي نحو ٢٨٪ تقريباً. وعلى ذلك، فإن ثلث عدد البشر من المؤمنين بالمسيح.

ثانياً: يسوع هو مركز الكتاب المقدس. والكتاب المقدس لا يتكون من مجموعة عشوائية من الوثائق الدينية. وكما قال يسوع نفسه «**فتشوا الكتب ..... وهي التي تشهد لي**» (يوحنا ٥: ٣٩). وقد اعترف العلماء المسيحيون دائماً بهذه الحقيقة. وعلى سبيل المثال، فإن جيروم أب الكنيسة العظيم في القرنين الرابع والخامس، كتب يقول « الجهل بالكتاب المقدس هو جهل بالمسيح ».

جدير بالذكر، أنه في القرن السادس عشر، أكد كل من أراسموس (عصر النهضة)، ولوثر (حركة الإصلاح الديني) مركزية المسيح أيضاً. وقد كتب أراسموس يقول:

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

« الكتاب المقدس يقدم لكم المسيح بحميمية شديدة حتى أنه يمكنك أن تراه بشكل أقل إذا وقف أمام عينيك ». وهكذا لوثر أيضاً في محاضرته عن رسالة رومية، كان واضحاً في قوله إن المسيح هو مفتاح الكتاب المقدس. وفي تعليقه على ما جاء في (رومية ١ :٥) كتب يقول: « هنا فُتح الباب على مصراعيه لفهم الأسفار المقدسة، أي أن كل شيء يتعلق بالمسيح يجب أن يكون مفهوماً ». وأضاف بعد ذلك: « إن الكتاب المقدس بجملته لا يتكلم في أي موضع إلا عن المسيح ».

ثالثاً: المسيح هو قلب الإرسالية. وما السبب في أن بعض المسيحيين يجوبون الأرض والبحر، القارات والثقافات، كمرسلين؟ وما الذي يجبرهم على القيام بذلك؟ لم يكن الغرض من ذلك أن يمدحوا حضارة، أو مؤسسة، أو فكراً مذهبياً معيناً، بل بالأحرى شخصاً معيناً هو يسوع المسيح، الذي يؤمنون بأنه فريد في شخصه. وهذا ما نراه جلياً على وجه الخصوص في الإرسالية المسيحية إلى العالم غير المسيحي. ولقد كتب المرسل رفيع الثقافة الأسقف ستيفن نيبل يقول: « إن مهمتنا هي أن نواصل القول بصبر غير محدود: « سيدي، تأمل ملياً في يسوع ». وليس لدينا رسالة أخرى... فليست القضية هي أن المسلم رأى يسوع الناصري ورفضه، بل إنه لم يره قط.

غير أن أولئك الذين يرون يسوع بالفعل، يسلمون أمورهم له، ويعترفون بأنه مركز اختبار تجديدهم. لنأخذ على سبيل المثال صادو سندر سينغ. فقد وُلد سنة ١٨٨٩ في عائلة غنية من السيخ في الهند. و نشأ وهو يكره المسيحية لأنها (بحسب رأيه) ديانة أجنبية. بل أنه عبّر عن عدائه وهو في الخامسة عشر من عمره بأن قام بحرق الإنجيل علانيةً. ولكنه تجدد بعد ذلك بثلاثة أيام نتيجة رؤية للمسيح. وعلى الرغم من أنه كان لا يزال في مرحلة المراهقة، فقد صمم على أن يصبح فيما بعد من رجال الدين الهنود الفقراء وواعظاً متجولاً. وفي إحدى المناسبات قام سندر سنغ بزيارة كلية هندية، وقد وُوجه بهجوم عدائي من أحد المستمعين الذي سأله عما وجده في المسيحية و لم يكن يجده في ديانته السابقة. رد قائلاً: « وجدت المسيح ». ولكن المستمع أجاب بحدة:

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

«نعم، أعرف ذلك، ولكن ما المبدأ أو التعليم بالتحديد، الذي وجدته ولم تكن تعرفه قبلاً؟» أجاب سندر سنغ قائلاً: «الشيء المعين الذي وجدته هو، «المسيح».

ولكن من هو «يسوع» هذا الذي تتحدث عنه؟ لأنه في الحقيقة يوجد أكثر من يسوع واحد تزخر بهم رفوف المكتبات في أسواق العالم الدينية، لأن الذي حدث بالفعل هو أنه قبل نهاية القرن المسيحي الأول بدأ المعلمون يميلون إلى ابتكار صورة عن يسوع طبقاً لنزواتهم وخيالهم. ولذلك اضطر الرسول بولس أن يذكّر مسيحيي كورنثوس أنه خطبهم لرجل واحد... للمسيح، حتى يمكنه في النهاية أن يقدمهم له مثل «عذراء عفيفة» لكنه أضاف قائلاً «**إنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح**» (كورنثوس الثانية ١١ : ٣).

وعلى ذلك، فقد كانت خطتي أن أستقصي (في الأجزاء من الأول إلى الرابع من هذا الكتاب) عن المسيح بحسب شهادة العهد الجديد، وأن أتأمل من خلال تاريخ الكنيسة في الكيفية التي قدمه بها بعض الأشخاص، (الجزء الثاني)، وكيف تأثر آخرون به (الجزء الثالث).

وبغية توضيح ذلك، فقد ركزت على أن أطرح أربعة أسئلة رئيسية عن المسيح ثم أقدم الإجابة عنها.

أولاً: كيف يشهد له العهد الجديد؟ وآمل أن أُبيّن أنه، على الرغم من ثراء تنوع شهادته ليسوع كما هو مسلَّم به، إلا أنه من المعترف به أيضاً أنها شهادة متّحدة. ولقد أطلقت على الجزء الأول عنوان «يسوع الحقيقي».

ثانياً: كيف صورت الكنيسة يسوع عبر القرون؟ إنى أسمّي الجزء الثاني «يسوع كما عرفته الكنيسة»، لأني أود أن أستعرض كيف قدمت الكنيسة المسيح للعالم في أوقات مختلفة ـ أحياناً بأمانة، وفى أوقات أخرى على العكس من ذلك.

ثالثاً: ماذا كان تأثير المسيح على التاريخ؟ وهذا الجزء مكمل للجزء الثاني، فيما

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ننتقل من تقديم الكنيسة للمسيح، إلى ما طلبه المسيح من الكنيسة. وعلى الرغم من ذلك، فما سنعرض له الآن لن يكون المراحل المتعاقبة لتاريخ الكنيسة، بل بالأحرى، المراحل المتعاقبة لتاريخ المسيح، وكيف أن كل مرحلة (بتأكيداتها المختلفة) قد ألهمت أشخاصاً مختلفين. وقد أسميت هذا الجزء « يسوع المؤثر ».

رابعاً: ماذا يعني يسوع المسيح لنا في أيامنا هذه؟

في الجزء الرابع سوف نذكّرُ أنفسنا بأن يسوع المسيح ليس شخصية تاريخية فقط (وليس أيضاً شخصية من التاريخ السحيق فقط) بل إنه شخصية أبدية (والواقع أنه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد) وعلى هذا فهو أيضاً من معاصرينا. وهو يواجه كل جيل جديد وقرن جديد وألفية جديدة بوظائفه باعتباره المخلص، الرب، والديّان. وسيكون محتوى هذه الدراسة الرابعة والأخيرة هو سفر الرؤيا (آخر سفر في العهد الجديد)، ذلك الكتاب الرؤيوي المسيحي. وذلك لأنه في أول عدد (آية) منه يقول إنه ليس في أساسه نبوة، بل « إعلان يسوع المسيح » وسوف نركز على رؤى المسيح الرئيسية العشر الواردة في سفر الرؤيا.

وعلى ذلك، فإن هذا الكتاب سيكون مزيجاً من الكتاب المقدس والتاريخ. وسوف نتأمل ملياً تقديم الكنيسة للمسيح وتأثير المسيح على الكنيسة، على أساس ما جاء في العهد الجديد بصفة عامة وسفر الرؤيا على وجه الخصوص.

وعلى هذا، فقد نُظر إلى الصورة الكتابية ليسوع على أنها صورة معيارية normative. فهو يسوع الحقيقي، الذي بواسطته ستتم دينونة كل البشر الساقطين. وإني آمل أن تبرر هذه الدراسات الخاصة بالكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة، العنوان الذي يحمله هذا الكتاب وهو « المسيح الذي لا مثيل له ». فلا يُوجد شخص مثله، ولم يحدث في الماضي على الإطلاق أن كان هناك شخص مثله، وأيضاً لن يكون في المستقبل شخص مثله على الإطلاق.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٢ـ التاريخ والفكر اللاهوتي

ينصحنا كثيرون بأن نبدأ استعرا ضنا للعهد الجديد بالرسائل وليس بالأناجيل،لأن الرسائل كُتبت أولاً. فرسالة بولس الأولى إلى التسالونيكيين كُتبت من كورنثوس سنة ٥٠ ميلادية، أو بعد ذلك بوقت قصير، ولم يكن قد مضى على موت المسيح وقيامته سوي عشرين عاماً، في حين أن الأناجيل نُشرت بعد ذلك بعقد أو بعقدين. وقد وجّه الأسقف بول بارنيت نقداً شديداً ضد الاتجاه الذي يقترح علينا البدء بالأناجيل. ثم أن «الكم الهائل من الكتابات التي حاولت استعادة يسوع «التاريخي» قصرت مجالات بحثها على يسوع بحسب ما تحدثت عنه الأناجيل، والرسائل، أما الكنيسة الأولى فتم تجاهلها بوجه عام».

وعلى الرغم من ذلك، فإن الكنيسة الأولى بحكمتها، وضعت الأناجيل أولاً باعتبار أنه على الرغم من أنها نشُرت لاحقاً، الاّ أن الأحداث التي سجلتها وقعت أولاً. وعلاوةً على ذلك، فإننا إذا قرأنا الأناجيل **أولاً**: فإننا نتقابل للتو مع شخص يسوع التاريخي. ولكن، هل الصورة التي قدمتها عنه الأناجيل حقيقية من الناحية التاريخية.

كان الأمر الذي يشدد عليه علماء اللاهوت في القرن العشرين هو البحث عن يسوع التاريخي. أما البحث الذي أُطلق عليه «الأول» أو «الأصلي» فكان مرتبطاً بألبرت سكوتيزر، والذي نُشر كتابه سنه ١٩٠٦تحت نفس هذا العنوان. وهو عرض هام لكل الصور العاطفية التي أوردتها كافة الكتب التي صدرت عن «حياة يسوع» في القرن التاسع عشر. ثم أن سكوتيزر نفسه صوَّر يسوع على أنه نبي أخروي لم يتحقق توقعه بنهاية العالم الوشية. وهذا البحث الذي استهله سكوتيزر، واختتمه بولتمان، الذي ينتمي للقرن العشرين، حيث إدّعى الأخير أن استبيان تاريخية يسوع لم يكن بالأمر الممكن، بل (إذا جاز القول) وليس ضرورياً للإيمان.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وهكذا فإنه، عقب الحرب العالمية الثانية، بدأ البحث عن يسوع التاريخي. وكانت بداية تاريخ هذا البحث من خطاب ألقاه إرنست كيسمان عام ١٩٥٣، والذي كان سابقاً من تلاميذ بولتمان، تحت عنوان «مشكلة يسوع التاريخي». وقد أعرب عن عدم رضاه عن النزعة الشكوكية المفرطة لبولتمان. وطالب هو وآخرون من المفكرين الذين ينتمون إلى حقبة ما بعد بولتمان بأن تكون هناك وجهة نظر عن التاريخ تتسم بمزيد من الإيجابية، وكان يميل إلى النظر إلى يسوع باعتبار أنه معلم حكيم، أو عبقري ديني، أو ثوري اجتماعي ـ وهذه الصفات تجعل من يسوع شخصاً مسالماً للغاية بدرجة لا تستثير الآخرين أن يصلبوه ولا حتى أن يبدأ الحركة المسيحية على مستوى العالم.

أما الآن، ومنذ ثمانينيات القرن العشرين، كان بعض العلماء يعلنون عن بدء البحث الثالث عن يسوع التاريخي. والذي من بين أهم سماته أن العلماء المسيحيين واليهود الذين اشتركوا فيه، كانوا يؤكدون على يهودية يسوع وإرساليته ليبرر إسرائيل ويجدّدها. وهذا البحث الثالث يعبر عن ثقة أعظم في مصداقية الصورة التي رسمتها الأناجيل ليسوع.

وعلى الرغم من ذلك، لم تتسم هذه الثقة بالشمولية بأي حال، وهذا ما كان واضحاً من «المنتدى الدراسي عن يسوع» في الولايات المتحدة، والذي اشترك في تأسيسه سنة ١٩٨٥ كل من روبرت. و.فوتك، وچون دومينيك كروسان، أما الأعضاء الذين يبلغ عددهم خمسة وسبعين أو ما إلى ذلك، فقد كانوا يجتمعون مرتين في السنة لتقييم مصداقية كافة الأقوال التي نُسبت ليسوع. وقد استخدموا شفرة تعتمد على اللون، واستخدموا اللون الأحمر للأقوال الحقيقية التي ليست موضع شك، واللون القرنفلي (الأحمر الوردي) للأقوال التي من المحتمل أن تكون كذلك، أما اللون الرمادي فقد استُخدم بالنسبة للأقوال غير الصحيحة، ولكنها قريبة من الصحة، كما استُخدم اللون الأسود للأقوال التي لم تكن صحيحة على الإطلاق، ولكنها تنتمي إلى تقليد لاحق. أما كتابهم الذي يحمل عنوان «الأناجيل الخمسة. ماذا قال يسوع حقاً؟» (الخامس هو

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إنجيل توما، وهو إنجيل غير قانوني ولا تعترف به الكنيسة) فقد انتهى من وجهة نظرهم إلى أن ٨٢٪ من الكلمات التي نُسبت إلى يسوع في الأناجيل ليست في الحقيقة من أقواله! أما الآن فقد انتقلوا من فحص أقوال يسوع إلى فحص أعماله. وعلى الرغم من ذلك، فإنه ليس من المحتمل أن يكون لدراستهم مزيد من الفائدة بالنظر إلى أن معاييرهم غير موضوعية إلى حد كبير.

وقبل أن نتفحص الأناجيل بأنفسنا، فإننا نحتاج إلى ذكر تحول هام في انتقال اهتمام الدارسين من التاريخ إلى الفكر اللاهوتي. وفي حين أن «نقّاد الصيغ» كانوا مشغولين باهتمامات الكنيسة الأولى، فإن «نقّاد التنقيح» كانوا مشغولين بالأحرى باهتمامات كتبة الأناجيل كأفراد. ومهما كانت قناعتنا قوية بأنهم (أى كتبة الأناجيل) مؤرخون من ذوي الضمير الحي (كما يعلن لوقا في ١ : ١-٤)، فإنه من المهم أن نعرف أيضاً أنهم كارزون كانوا يبشرون بالإنجيل عن وعي، كما أنهم كانوا لاهوتيين يضعون تأكيداتهم اللاهوتية المميزة الخاصة بهم. وما دام الأمر كذلك، فمن الجلي أن عملية الوحي الإلهي لم تطمس شخصيتهم ككتبة من البشر. وهذه هي الكتابة المزدوجة للأسفار المقدسة، حيث اختار الله أن يتكلم بكلمته باستخدام أقوال بشرية. ذلك أن الروح القدس قد اختار، وشكّل وأعدّ وجهّز كتبة من البشر، وأمدهم بكل ما يحتاجون إليه لكي يقوم كل واحد منهم بتوصيل رسالة مناسبة ومميزة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الجزء الأول

يسوع الأصلي

(أو كيف يشهد العهد الجديد ليسوع)

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الأناجيل الأربعة

١- إنجيل متى

(المسيح الذي تحققت فيه نبوات الكتاب)

من الواجب علينا أن نشكر الله لأنه بحسب عنايته الإلهية، رأى أن يكون لدينا أربعة أناجيل. لأن شخصية يسوع المسيح هي شخصية عظيمة مجيدة ما كان لها أن تكون حكراً على كاتب واحد، أو أن يتم وصفها من وجهة نظر واحدة. ولقد رسمت الأناجيل يسوع في صورة لها أربعة وجوه، أو درة لها أربعة أوجه.

فما هي إذاً السمة البارزة ليسوع بحسب ما جاء في إنجيل متى؟ هذا السؤال يمكن الرد عليه بكلمة واحدة: «التحقيق» بمعنى الاكتمال. وإذ كان متى ذا هوية وثقافة يهودية خالصة، فمن ثم تحدث عن يسوع باعتبار أنه هو الذي تحققت فيه نبوات العهد القديم، لأن إنجيله يمثل جسراً بين العهدين القديم والجديد، بين الإعداد والاكتمال. تأمل هذه الكلمات التي قالها يسوع والمذكورة في إنجيل متى (١٣: ١٦-١٧) «... **طوبى لعيونكم لأنها تبصر. ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم إن أنبياءً وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون و لم يروا. و أن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا**» وبتعبير آخر، عاش أنبياء العهد القديم في فترة التوقع، أما الرسل فقد عاشوا في زمن الاكتمال والتحقيق. والواقع أن عيونهم كانت ترى، وآذانهم كانت تسمع، ما اشتهى سابقوهم أن يروه و أن يسمعوه. ولذلك لم يقدم لنا متّى يسوع مثل أي نبي آخر، أو كراءٍ آخر في سلسلة من الرائين على مر القرون، بل قدمه بالأحرى على أنه الشخص الذي تمت فيه كل النبوات. ففي إطار خدمة يسوع، ومن خلالها أقبل ملكوت الله الذي طال انتظاره منذ زمن طويل.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أولاً: وبناءً على ما تقدم، فإن المسيح الذي تحدث عنه متّى، هو الذي تحققت فيه النبوات. وهذا ما تم لفت انتباهنا إليه بقوة من خلال سلسلة الأنساب التي استُهل بها الإنجيل (١: ١-١٧). ذلك أن متّى تتبع سلسلة نسب المسيح حتى إبراهيم الذي هو أبو الشعب المختار الذي من خلاله وعد الله أن يبارك العالم، و إلى داود، أعظم ملوك إسرائيل، الذي كان يرمز إلى الملك العظيم الذي سيأتي. و هكذا قدم متّى سلسلة أنساب النسل الملكي. وكان يركز على أن يوضح لنا أن «يسوع هو ابن داود» (وهو لقب يستعمله أكثر بكثير من البشيرين الثلاثة الآخرين معاً) الذي له الحق في اعتلاء عرش داود.

وعبارة متّى المفضلة هي «.... يتم جميع ما هو مكتوب» وقد استخدم هذه العبارة إحدى عشر مرة. وكل ما كان يركز عليه هو أن يوضح أن كل ما يحدث سبق التنبؤ به، وأن كل ما تم التنبؤ به قد تحقق.

وعلاوةً على ذلك، كان متّى يرى في قصة يسوع موجزاً لقصة شعب إسرائيل. وكما اضطُهِد شعب إسرائيل في مصر على يد الطاغية فرعون، هكذا أصبح الطفل يسوع لاجئاً في مصر هرباً من الطاغية هيرودس. وكما عبر إسرائيل مياه البحر الأحمر، لكي يُختبر في البرية لمدة أربعين سنة، هكذا عبر يسوع مياه معمودية يوحنا في نهر الأردن، لكي يُختبر في برية اليهودية لمدة أربعين يوماً. وهكذا أيضاً، كما أعطى موسى لإسرائيل الناموس من جبل سيناء، أعطى يسوع أتباعه أيضاً من الجبل التطويبات التي هي تفسير للناموس واستفاضة له.

وموضوع التتميم والتحقيق عُرض بأكثر وضوح في إعلان يسوع عن ملكوت الله. ولقد كتب البشيرون الأربعة جميعاً أنه كان يكرز بالملكوت، غير أن متّى كانت له طريقته الخاصة في التعبير عن ذلك. فاحتراماً لعزوف اليهود عن ذكر الاسم المقدس «الله» توقيراً واحتراماً، استخدم متى عوضاً عن ذلك تعبير «**ملكوت السموات**» (استخدمه خمسين مرة تقريباً).. و بحسب مفهومه أيضاً كان الملكوت حقيقة ماثلة «**فقد أقبل**

عليكم ملكوت الله»، (متى ١٢ :٢٨). كما أنه توقع مستقبلي (لأنه في نهاية الزمان يجلس الملك على كرسي مجده و يدين جميع الشعوب، انظر (متى ٢٥ :٣١- ٤٦). وفي كافة هذه النواحي -في سلسلة الأنساب، وفي عبارة متّى المفضلة، وفي اختصار قصة شعب إسرائيل، وفي تعليمه عن الملكوت - نجد أن المسيح في متّى هو إتمام للنبوات.

ثانياً: المسيح في متّى «إكمال للناموس». بدا يسوع لمعاصريه وكأنه لا يحترم الناموس. على سبيل المثال، أنه انتهك ناموس السبت، سخر من النواميس الخاصة بطقس التطهير، وتجاهل ناموس الصوم. وبدا أنه متساهل فيما كانوا هم يتشددون فيه. ولكن يسوع أصرّ على أنه كان مخلصاً للناموس. ويعتقد بعض الدارسين أن متى تعمد أن يظهر يسوع على أنه موسى الجديد. وكما كان لموسى خمسة أسفار وهي التي تُعرف بالأسفار الخمسة، فإنه تُوجد أيضاً خمس مجموعات من تعاليم المسيح في إنجيل متى، وهي تعتبر نوعاً من أسفار خمسة مسيحية.

وعلى أية حال، فقد سجل متى هذه الأقوال ليسوع: «**لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.... فإني أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات**» (متى ٥ : ١٧-١٨، ٢٠).

ولابد أن التلاميذ ذُهلوا لدى سماعهم كلمات يسوع هذه، لأن الفريسيين كانوا أكثر الناس براً في العالم. فكيف يتأتى لأتباع المسيح أن يكونوا أزيد براً من أكثر الناس براً في العالم؟ لابد وأن السيد كان يمزح. لكن البر المسيحي أعظم من بر الفريسيين لأنه أكثر عمقاً ولأنه بر القلب، وهو ليس بر كلام وأفعال فقط، بل - وعلى وجه الخصوص - بر الأفكار والبواعث (انظر متى ٥ : ٢١- ٣٠). وبهذا المعنى كان يسوع تكميلاً للناموس. لقد أخذه إلى خاتمته المنطقية. لقد كان ينظر إلى أبعد من الفهم السطحي للناموس، كان ينظر إلى الحاجة الأساسية للقلب البار.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثالثاً: المسيح بحسب إنجيل متى هو «إتمام لإسرائيل». وهذا هو أدق الإتمامات الثلاثة. فمن الممكن أن تقرأ إنجيل متى ولا تنتبه إلى هذه النقطة. لقد كان متّى يرى يسوع وهو يواجه إسرائيل بآخر دعوة للتوبة. ولذلك قال يسوع للرسل إنه أُرسل «**إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**» (١٥ : ٢٤)، وعليهم ألاّ يذهبوا إلاّ إلى «**خراف بيت إسرائيل الضالة**» (١٠ :٦). ومن الطبيعي، أن إرسالية يسوع العظمى ستفتح أفق الرسل على العالم الوثني. وعلى الرغم من ذلك فإنه أثناء خدمته على الأرض، كانت تُعطى لإسرائيل فرصة أخرى واحدة. ولكنهم أصروا على عصيانهم. ولذلك بكى يسوع على المدينة، وأعرب عن اشتياقه لأن يجمع مواطنيها تحت أجنحة حمايته، وحذرها بأن دينونته ستحل على ذلك الجيل بعينه، الأمر الذي حدث سنة ٧٠ م (متى ٢٣ : ٣٦ - ٣٩).

وهكذا كان يسوع يعتبر نفسه الممثل الحقيقي الوحيد لشعب إسرائيل. فهو الوحيد الذي ظل أميناً وإلاّ لأصبحت الأمة كلها مرتدة. وفي الوقت ذاته، كان هو بداية إسرائيل جديدة. ولذلك فقد اختار وعن عمد إثنى عشر رسولاً وهذا يماثل أسباط إسرائيل الإثني عشر، وكنواة لإسرائيل الجديدة. ويُعطي لهم ملكوت الله (٢١ : ٤٣). وعلاوة على ذلك فقد أطلق على هذا الشعب اسم «كنيسته»، لتكون مجتمعاً بديلاً يتسم بقيم ومعايير ملكوته، بحسب ما وُصف في الموعظة على الجبل.

ولقد أوضح يسوع أيضاً: أن إسرائيل الجديدة هذه ستكون متعددة الجنسيات وعالمية، وملحاً ونوراً للعالم. ومن الأمور الملفتة على وجه الخصوص أن متى، أكثر البشيرين الأربعة في صبغته اليهودية، تراه على الرغم من ذلك يذكر بعد بداية إنجيله بقليل، زيارة أولئك المجوس الغامضين،الذين كانوا يمثلون الشعوب الوثنية. وفي نهاية الإنجيل يذكر إرسالية الرب المقام لتلاميذه بأن يذهبوا ويتلمذوا الأمم. وهكذا سينمو مجتمع ملكوته مثلما تنمو حبة الخردل من بدايات صغيرة غير واعدة إلى أن تملأ الأرض: «**وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات**» (متى ٨ : ١١).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٢- إنجيل مرقس
(المسيح الخادم المتألم)

إذا كان متى قد قدم يسوع على أنه مسيح الكتاب المقدس، فقد قدمه مرقس باعتباره « خادم الرب المتألم » الذي يموت من أجل خطايا شعبه. والصليب هو محور فهم مرقس ليسوع.

وإنجيل مرقس، كبقية الأناجيل الثلاثة الأخرى، لم يُذكر فيه اسم كاتبه. ذلك أن كاتبه لم يفصح عن هويته، غير أن هناك تقليداً قديماً للغاية ينسب الإنجيل الثاني إلى مرقس. وفي ذات الوقت، كان من المعروف أنه كانت توجد علاقة وثيقة بين مرقس وبطرس الرسول. ولذلك نجد أن بابياس - أسقف هيرابوليس في بداية القرن الثاني - كان يطلق على مرقس أنه « مترجم بطرس، الذي سجل مذكرات بطرس وعظاته » و من الأمور المؤكدة، أنه تُوجد إشارات إلى بطرس في إنجيل مرقس بأكثر مما هو الحال في الأناجيل الأخرى، ثم إن مرقس يذكر بالتفصيل، وبأكثر من البشيرين الآخرين حماقات بطرس ونقاط ضعفه وإنكاراته. وقال البعض إن هذا جعل مرقس يسير على منهج بطرس، لأن مرقس أيضاً كانت له سقطاته. ولو كان الشاب الذي هرب عرياناً في بستان جثسيماني هو مرقس (١٤ : ٥١ - ٥٢) إذاً يكون هو مرقس كاتب الإنجيل الذي هرب. وأثناء رحلة بولس التبشيرية الأولى، هرب مرقس للمرة الثانية (أعمال١٣ : ١٣،١٥ : ٣٧-٣٨). ولكن لو كان مرقس - على غرار بطرس - قد أنكر يسوع، فقد استُعيد، مثل بطرس، إلى الإيمان أيضاً. لأننا في رسائل لاحقة من رسائل العهد الجديد، نجد أن مرقس يؤدي خدمة مخلصة لكل من بطرس وبولس. وعلى سبيل المثال، كتب بولس يقول عن مرقس إنه «**نافع لي للخدمة**» (تيموثاوس الثانية ٤ : ١١).

ولنتأمل الآن فقرة في غاية الأهمية من إنجيل مرقس تجمع بين موضوعاته المفضلة الثلاثة، وهي: من هو يسوع، وما الذي جاء ليعمله، وما الذي يطلبه من أتباعه. وتعد هذه الفقرة نقطة تحول في الإنجيل، لأنه كان بدوره نقطة تحول في خدمة يسوع. وقبل هذا الحدث الذى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

جرى في الطريق إلى قيصرية فيلبس، كان يُنظر إلى يسوع كمعلم ذائع الصيت وكشخص يشفي الناس، ولكن بدايةً من هذا الحدث، كان ينبّه تلاميذه إلى أنه سيصلب.

«**ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس. وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم من يقول الناس إنى أنا. فأجابوا. يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا. وآخرون واحد من الأنبياء. فقال لهم وأنتم من تقولون إني أنا. فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه**».

وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقال القول علانيةً. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره. فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان. لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.

ودعا الجمع مع تلاميذه وقال لهم. «**من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها ـ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه. لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين**» (مرقس ٨: ٢٧ـ ٣٨).

أولاً: لنتأمل من هو يسوع. من المعروف أنه كان يُوجد اختلافٌ بين ما يفهمه الناس بصفة عامة عن هويته، وبين إيمان الرسل الخاص الذي بدأ فجره يبزغ في قلوب التلاميذ. وطبقاً لرأي الجماهير، فإنهم كانوا يعتقدون أنه يوحنا المعمدان،أو إيليا، أو نبي آخر. أما بالنسبة للتلاميذ الاثني عشر، فإنه لم يكن نبياً آخر، بل هو «المسيح»، الذي تمت فيه كل النبوات. ويضيف متى إلى ذلك عبارة «**ابن الله**» ولعله لم يكن يعني أنه الابن الأزلي، بل (كما في مزمور ٢: ٧ـ ٨) المسيح.

وفى الحال، وبعد أن أدلى التلاميذ باعتراف الإيمان هذا «..**انتهرهم [يسوع] كي لا يقولوا لأحد عنه**» (٨: ٣٠). وهذا الأمر الذي طالب التلاميذ بالصمت والتزام السرية

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

قد حيرٌ كثيرين من القراء. ولكن ليس من الصعب فهمه، لأن مرقس سبق أن ذكر مثالين من الأمثلة التي تطلبت الالتزام بالصمت. فبعد أن شفى يسوع شخصاً كان يعاني من البرص قال له: «**انظر لا تقل لأحد**» (١: ٤٤). وبعد أن شفى الأصم الأعقد (معقود اللسان) «**أوصاهم أن لا يقولوا لأحد**» (٧: ٣٦). ولكن ما السبب في أن عليهم ألاّ يقولوا لأحد؟ السبب هو أن لدى الجماهير اعتقادات سياسية زائفة عن المسيا. ولمدة تزيد عن ٧٠٠ سنة، كانت إسرائيل ترزح تحت نير الحكم الأجنبي، باستثناء فترة وجيزة من الحرية في ظل المكابيين. أما الآن، فقد كان الناس يحلمون بأن يهوه (الرب) سيتدخل ثانية، ويدمر أعداءه، ويحرر شعبه، وسوف يبزغ فجر العصر المسياني (أى عصر المسيح). وكانت الجليل مرتعاً لهذه التوقعات القومية. ومن الواضح أن يسوع كان يخشى أن يورطه الشعب في هذا الدور الثوري، وكانت لديه أسبابه الوجيهة لهذا الخوف. وبعد معجزة إطعام الخمسة آلاف ـ بحسب ما جاء في إنجيل يوحنا، عزم الناس «**أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً**» (يوحنا ٦: ١٥). ولكنه لم يأتِ ليكون مسياً (مسيحاً) سياسياً، بل جاء بالأحرى ليموت، وبواسطة موته يحقق تحريراً روحياً لشعبه. وكما جاء في (٨: ٣١)، فبمجرد أن عرف تلاميذه أنه المسيح، «**ابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم**». وفضلاً عن ذلك فإنه «قال القول علانيةً» (الآية ٣٢)، أي أنه قال ذلك صراحةً وعلانيةً، ولم يُعد هناك أي سرٌ يتعلق بنوعية المسيح الذي جاء لكى يكونه.

ثانياً: لنتأمل ما جاء يسوع ليعمله. يشرح لنا مرقس أنه بمجرد أن عرف الاثنا عشر هويته، بدأ يسوع يركز تماماً على الصليب. وفي ثلاث مناسبات أخرى منفصلة، تنبأ يسوع بوضوح عن آلامه وموته (٩: ٣١، ١٠: ٣٣، ٤٥). والواقع أن ثلث إنجيل مرقس قد خُصص لقصة الصليب.

وهناك ثلاث مراحل في نبوات يسوع تستحق ذكراً خاصاً.

العبارة الأولى: «**ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً..... ويُقتل**» (٨: ٣١). ولماذا يجب أن يتألم كثيراً ويموت؟ الإجابة: لأنه ينبغي أن يتم المكتوب (تتم النبوات). ولدى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

سماع بطرس ما تنبأ به يسوع عن الصليب، تهور وانتهره، و لذلك التفت إليه يسوع بدوره ووبخه (الآيتين ٣٢-٣٣). فلا يمكن السماح بشيء يضعف الضرورة الملحة للصليب.

العبارة الثانية في الآية هي عبارة «ابن الإنسان» الذي ينبغي أن يتألم. فعلى الرغم من أن عبارة «ابن الإنسان» هي التعبير العبري المألوف الذي يُطلق على الإنسان، وكثيراً ما يُستخدم على هذا النحو في الكتاب المقدس، غير أنه يبدو من الواضح أن يسوع تبنى هذا اللقب كتعريف له، وذلك بالإشارة إلى ما جاء في دانيال٧: «**وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان** (أي شخص من البشر) **أتى وجاء إلى القديم الأيام** (الله القدير) **فقربوه قدامه. فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة**» ويضيف دانيال «**سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**» (دانيال: ١٣:٧-١٤). أما الآن، فنرى يسوع يذكر إعلاناً يدعو إلى الدهشة بأن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم. وهذا معناه أن يسوع تبنى اللقب، ولكنه غيّر من دوره. وعلى أساس ما جاء في دانيال، فإن كل الشعوب تتعبد له. وطبقاً لما ذكره يسوع فإنه جاء لا ليُخدم بل ليَخدم. وهكذا عمل يسوع ما لم يعمله أحد قط على وجه الإطلاق. وقد دمج صورتي العهد القديم معاً - العبد المتألم (إشعياء ٥٣) وابن الإنسان الذي سيملك (دانيال ٧). وقد علّق أوسكار كولمان على ذلك بقوله:

عبارة «ابن الإنسان» تمثل أسمي إعلان عن الرفعة في اليهودية، وعبارة «yahweh ebed» (عبد الرب) تعبير عن منتهى الاتضاع... وهذا هو عمل يسوع الجديد الذي لم نسمع به، أنه ربط بين هاتين المهمتين اللتين تبدوان متناقضتين في وعيه الذاتي، وقد عبرّ عن هذا الاتحاد في حياته وفى تعليمه.

أما التعبير الثالث الذي استخدمه يسوع إشارةً إلى موته هو: «**لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**» (مرقس ١٠: ٤٥). والفدية هي الثمن الذي يُدفع لإطلاق سراح الأسرى. وهكذا، علّم يسوع أن البشر يعيشون في عبودية (وبصفة خاصة للخطية والإثم والدينونة)، وأنه ليس بمقدورنا أن نخلص أنفسنا. وعلى ذلك فإنه سيبذل نفسه كفدية عن كثيرين. وسيكون الصليب وسيلة تحريرنا. وبالنظر إلى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أنه مات بدلاً منا، فلهذا السبب وحده يمكن أن نُحرَر. وكل هذا ما هو إلاّ جزء من مفهوم يسوع المسيح عن الصليب، طبقاً لما ذُكر في إنجيل مرقس.

ثالثاً: لنتأمل ما طلبه يسوع. بعد أن تحدث عن موته الوشيك، دعا يسوع الجموع إليه وقال: «**من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني**» (٨: ٣٤). وهذا مفاده أن يسوع انتقل على الفور من صليبه إلى صليبنا، ووصف التلمذة المسيحية بأنها إنكار للذات، بل هي الموت. لأنه ليس بوسعنا أن نفهم أهمية حمل الصليب إلا في إطار الخلفية الثقافية لفلسطين إبان الاحتلال الروماني. كان الرومان يخصصون عقوبة الصلب لأسوأ المجرمين، وكانوا يجبرون المحكوم عليه بالموت صلباً، بأن يحمل صليبه إلى مكان تنفيذ عقوبة الصلب. وعلى ذلك، فإذا حملنا صليبنا وتبعنا المسيح، فلن يكون هناك سوى مكان واحد نذهب إليه وهو المقصلة.

والتلمذة المسيحية هي أكثر كثيراً من مجرد الدمج بين بعض المعتقدات، والأعمال الحسنة، والممارسات الدينية. ولا يمكن لأي تشبيه بليغ أن يعبر عنها تعبيراً منصفاً سوى الموت والقيامة. لأن من يفقد نفسه يجدها، وعندما نموت فإننا نحيا (٨: ٣٥).

هذه هي الموضوعات الثلاثة الجوهرية التي تضمنها إنجيل مرقس: من هو يسوع؟ هو المسيح، ما الذي جاء ليعمله؟ ليخدم، ليتألم، ويموت. ما الذي طلبه من التلاميذ؟ أن نحمل صليبنا ونتبعه من خلال موت إنكار الذات إلى مجد القيامة.

وطوال تاريخ الكنيسة، كانت الأسئلة الحاسمة تدور حول شخص المسيح ورسالته وعمله، كما تختص بهوية يسوع وإرساليته و مطالبه. وسعياً منا لاكتشاف هذه الأمور، لابد لنا من معرفة رأي الجماهير («**من يقول الناس إني أنا**»)، والرأي المنفرد الخاص لبعض قادة الكنيسة (مثل بطرس الذي تجرأ وعارض يسوع). وعوضاً عن ذلك، يتوجب أن نستمع إليه في شهادته الشخصية عن نفسه، ولاسيما ـ كما ذكر مرقس ـ تأكيده على الصليب. ولن يكون هناك إيمان مسيحي حقيقي، أو حياة مسيحية صحيحة، ما لم يكن الصليب هو الأساس.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٣ـ إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل

(المسيح مخلص العالم)

هناك تشابه جوهري بين هوية البشيرين والطريقة التي يقدمون بها يسوع المسيح. ذلك أن الوحي الإلهي كان يشكل شخصية كتبة الأناجيل كبشر، لكنه لا يطمسها. وأفضل مثال على هذا المبدأ في العهد الجديد هو لوقا. وهو أحد كتبة العهد الجديد الوحيد الذي من أصل وثني. ولذلك، كان من المناسب تماماً ألاّ يقدم الرب يسوع باعتباره المسيح الذي تتحدث عنه الأسفار المقدسة (كما فعل متّى)، أوباعتباره الخادم المتألم (كما فعل مرقس)، بل قدمه باعتباره مخلّص العالم، بغض النظر عن الجنس أو اللون، أو النوع، أو المرتبة أو العمر.

أولاً: كان لوقا في الأصل طبيباً (كولوسي ٤ : ١٤). وتبعاً لذلك فقد تلقى تعليماً عالياً، وكان من رجال الأدب والثقافة (يكتب بلغة يونانية رائعة)، وكان إنساناً عطوفاً للغاية ولعله حلف بقسم أبقراط كما يفعل الأطباء قبل ممارسة مهنتهم.

ثانياً: كان لوقا وثنياً لأن بولس استثناه من عبارة «**الذين هم من أهل الختان. هؤلاء هم وحدهم العاملون معي**» (كولوسي ٤ : ١١). وهكذا كان لوقا ينتمي إلى العالم الممتد المتمثل في الإمبراطورية الرومانية. وقد صاحب لوقا بولس في سفرياته أثناء ثلاث فترات على الأقل (كما هو واضح في الأجزاء التي تستخدم ضمير المتكلم للجمع في سفرالأعمال) وكان رجلاً متسع الأفق، يتسم بقلب عطوف. وفي حين أن البشيرين الثلاثة الآخرين يشيرون إلى بحر الجليل بكلمة «بحر»، نجد أن لوقا يسميه «بحيرة» وإذا قورن بحر الجليل، بالبحر العظيم، الذي هو البحر الأبيض المتوسط الذي أبحر فيه، فلن يزيد الجليل عن أن يكون بركة!

ثالثاً: كان لوقا مؤرخاً. ويجب أن نأخذ بعين الإعتبار ما كتبه في مقدمة إنجيله عن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

منهجه. إنه لم يكتب أسطورة، ولكنه ذكر أنه يكتب حقائق تاريخية. وبالنسبة للأحداث المتعلقة بميلاد يسوع وخدمته وموته وقيامته، فقد تسلمها من شهود عيان. وقد قام لوقا نفسه بالتحقق منها، وقام بكتابتها حتى يتأكد قُراؤه من يقينية ما تعلموه وآمنوا به.

متى قام لوقا بالتحقق من صحة ما كتبه؟ إنه لم يكن من بين الاثني عشر، بل ولم يكن حتى من شهود العيان. وعلى الرغم من ذلك، فإنه في وقت لاحق، بداية من سنة ٥٧م تقريباً، تمتع بالإقامة لمدة سنتين في فلسطين. وقد وصل إلى هناك على ظهر سفينة برفقة بولس، والذي تم القبض عليه بعد ذلك بوقت قصير وُزجّ به في السجن. وعندئذ، وفيما كان بولس في السجن في قيصرية لمدة سنتين، كان لوقا يتمتع بحريته (أعمال ٢١ : ١٧، ٢٤ : ٢٧) فما الذي كان يشغله أثناء هذه الفترة؟ هذا ما لا نعرفه، لكن هناك تخمين معقول بأنه قد قضى هذه الفترة وهو يسافر بطول هذه البلاد وعرضها، يزور الأماكن المقدسة المرتبطة بيسوع، ويكوّن فكرة سليمة عن عادات اليهود، ويتقابل مع شهود عيان. وربما كان من بينهم مريم العذراء، وكانت قد تقدمت في السن في تلك الفترة، وهذا ما يُستشف من سرد لوقا لقصة مريم، والتفاصيل الدقيقة المتعلقة بميلاد المسيح وطفولته، والتي يشارك لوقا بها قراءه، والتي لابد وأنه قد حصل عليها أساساً من مريم.

إذن، هذا هو لوقا ـ الطبيب، الوثني الأصل، المؤرخ، وقد أصبح مؤهلاً تماماً لكتابة كتابيه عن جذور المسيحية، وهما السفران اللذان يشغلان أكثر من ربع حجم العهد الجديد، ونقرأهما بكل ثقة من جهه محتواهما.

ما هي إذن رسالة لوقا؟ إنها متضمنة في تسبحة سمعان الشيخ، التي قال فيها:

«لأن عيني قد أبصرتا خلاصك.....

نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل»

(لوقا ٢ : ٣٠ـ ٣٢).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وهذه الإشارة إلى «الخلاص للأمم» تكررت في (لوقا ٣ : ٦) «**ويبصر كل بشر خلاص الله**». والبشيرون الأربعة يشيرون جميعاً إلى خدمة يوحنا المعمدان. و يقتبسون من إشعياء ٤٠ «**صوت صارخ في البرية**»، لكن لوقا وحده يواصل الاقتباس ليضيف عبارة «**ويبصر كل بشر خلاص الله**» (٣ : ٦).

وعلى ذلك، فإن رسالة لوقا هي

أولاً: الأخبار السارة المتعلقة بالخلاص.

وكلمة «الخلاص» كلمة رئيسية في إنجيل لوقا. وكان واضحاً أنها تتضمن عنصرين: من الناحية السلبية، فإنها تزيل الإثم (تأتى بالمغفرة). ومن الناحية الإيجابية، هي هبة من الروح القدس (تحقق الميلاد الجديد). وكلتا الناحيتين تشكلان عنصرين بارزين في السفرين اللذين كتبهما لوقا.

لنأخذ المغفرة. لوقا فقط هو الذي يذكر نبوءة زكريا بأن ابنه يوحنا المعمدان «... **يعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم**» (١ : ٧٧). ولوقا فقط هو الذي يذكر كيف أن يسوع أعطى المغفرة للمرأة التي دهنت رجليه بالطيب ومسحتهما بشعر رأسها بعد أن غسلتهما بدموعها (٧ : ٤٨).

ولوقا وحده هو الذي يذكر المثل الذي لا يضاهى والخاص بالابن الضال، والذي تاب وعاد إلى بيته وقُوبل بالأحضان والقبلات، وأقيم له احتفال بمناسبة عودته (١٥ : ١١-٣٢). ولوقا وحده يذكر أن الإرسالية الكبرى الخاصة «بالتوبة ومغفرة الخطايا» ستكون لجميع الأمم (٢٤ : ٤٧). ثم إن لوقا فقط هو الذي ذكر كيف أن بولس أعلن في أنطاكية بيسيدية أنه بيسوع المسيح يتم «غفران الخطايا» (أعمال ١٣ : ٣٨).

إن الجانب المكمل للخلاص هو أن الروح القدس يعطي ولادة جديدة وحياة جديدة. ودون بقية البشيرين، أظهر لوقا أعظم اهتمام بعمل الروح القدس. وقد وصف يسوع بأنه مُسح بالروح القدس، وأنه يمارس إرساليته بقوة الروح القدس (لوقا ٣:٢٤،٢٢ : ١و١٤ و١٨). ولوقا وحده هو الذي وصف حلول الروح القدس يوم الخمسين، وما تلى ذلك من

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تطور الإرسالية المسيحية (أعمال : ١-١٢، ١٣ : ٢ الخ).

وهكذا يُوجد عنصران للخلاص، المغفرة التي تمحو خطايانا الماضية والروح القدس الذي يشكلّ مستقبلنا. وقد لخّص بطرس هذا في ختام عظته يوم الخمسين، حيث وعد الذين يتوبون ويؤمنون ويعتمدون بغفران خطاياهم وبعطية الروح القدس (أعمال ٢ : ١٠). وعلاوة على ذلك، فإن هذا الخلاص العظيم يأتي بفرح عظيم. ويبدأ لوقا إنجيله ببشارة «**بفرح عظيم**» (٢ : ١٠) ثم يختتمها بالقول «**إن الرسل... رجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم**» (لو ٢٤ : ٥٢). والواقع أنه في مواضع كثيرة من السفرين اللذين كتبهما لوقا، نجد أن الفرح يقترن بعطية الخلاص، لأنه « يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب » (أعمال ٢ : ١- ١٢، ١٣ : ٢ الخ).

ثانياً: رسالة لوقا هي الأخبار السارة بالخلاص من خلال المسيح.

وهذه الحقيقة نجدها واضحة في قصة سمعان، لأنه أخذ الطفل يسوع بين ذراعيه وتكلم عما رآه. ومارآه في الواقع كان طفلاً، ولكنه قال إنه يرى خلاص الله (٢ : ٢٨ و ٣٠) لأن هذه هي حقيقة المسيح. وهكذا يحكي لوقا بطريقته الرائعة قصة يسوع المسيح التي ليس لها مثيل: كيف وُلد من مريم العذراء في مدينة داود، ليكون مخلصنا، وكيف أنه قال لزكا اليوم حصل خلاص لبيته، وأضاف قائلاً «**لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك**» (١٩ : ٩-١٠) وكيف أنه صلّى من أجل المغفرة لصالبيه، ووعد المذنب التائب وهو معلق على الصليب بأن يكون في الفردوس في نفس اليوم (٢٣ : ٣٤ و ٤٣)، وكيف أنه عندما ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين القوة في الأعالي أرسل الروح القدس، ومازال يعطي الخلاص حتى أيامنا هذه (أعمال ٢ : ٣٣).

وعلاوةً على ذلك، ولأن يسوع كان فريداً في ميلاده، وموته وقيامته وارتفاعه إلى المجد، هكذا أيضاً يكون خلاصه فريداً. ولأن الله لم يتجسد في إنسان آخر سوى المسيح الذي مات وقام من الأموات ثم صعد إلى المجد في السماء، فمن ثم ليس هناك مخلص غيره لأنه ما من أحد غيره

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تتوافر فيه هذه السمات. ويتبنى لوقا تأكيد بطرس الرسول بأنه «**ليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص**» (أعمال ٤: ١٢).

ثالثاً: رسالة لوقا هي أخبار سارة للخلاص بالمسيح للعالم كله.

وقد تعمد لوقا أن يضع في مستهل كل سفر من السفرين اللذين كتبهما عبارة تدل على الشمولية، فمن ناحية ذكر أنه «... **يبصر كل بشر خلاص الله**» (لوقا٣: ٦)، ومن ناحية أخرى قال: «.. **أنى أسكب من روحي على كل بشر**» (أعمال ٢: ١٧). وكلتا الآيتين تتضمنان نفس التعبير، pasa sarxs الذي يعنى «كل جسد» أو «كل بشر». وتأتيان مثل لافتتين تشيران إلى القصة التي تتبعهما، لأن لوقا يصف يسوع بأنه يخرج من طريقه ليكرم أولئك الذين احتقرهم العالم، وأنه يصاحب من لا صاحب له، ولكي يضم المستبعدين.

(١) المرضى والمتألمون: من الطبيعي أن يتحدث البشيرون الأربعة عن خدمة الشفاء التي قام بها يسوع، غير أن لوقا الطبيب يظهر اهتماماً خاصاً بها. في سنة ١٨٨٢م نُشر كتاب و. ك. هوبارت وعنوانه «اللغة الطبية للقديس لوقا». وقد ذكر أكثر من أربعمائة كلمة كان يستعملها لوقا. والكتبة اليونانيون في النواحي الطبية في ذلك الحين. وعلى الرغم من أنه كان ينحو إلى المبالغة، لكن لا يزال هناك برهان على صدق أقواله. وكما ذكر وليم باركلى «كان لوقا يستخدم كلمات طبية بالغريزة» فقد كان يهتم باعتباره طبيباً، بالأعراض والتشخيص والعلاج. ومن الأمور اللطيفة أنه على الرغم من أن مرقس يقول عن المرأة نازفة الدم أنها قد عانت كثيراً على أيدي أطباء كثيرين، وأنها أنفقت كل مالها، وبرغم ذلك فإنها بدلاً من أن تتحسن، فقد ازدادت حالتها سوءاً، إلا أنه يبدو أن لوقا كان حريصاً على الاحتفاظ بسمعته كطبيب! واكتفى أن يكتب ببساطة «**ولم تقدر أن تُشفى من أحد**» (٨: ٤٣).

(٢) «النساء والأطفال»: كانت النساء في العالم القديم تتعرضن بصفة عامة للاحتقار والقمع، أما الأطفال غير المرغوب فيهم فكان يتم التخلي عنهم أو قتلهم، غير أن لوقا أكد على أن يسوع كان يحبهم ويحترمهم. ولذلك ذكر قصص كل من إليصابات ومريم، ومريم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ومرثا، وأرملة نايين التي مات ابنها الوحيد (٧ : ١١- ١٧)، والنسوة اللواتي كن يخدمن يسوع من أموالهن (٨ : ٤) والنساء اللواتي كن واقفات أسفل الصليب واللواتي أتين مبكراً في الصباح التالى إلى القبر (٢٣ : ٤٩و٥٥ -٥٦،٥٥، ٢٤ : ١). أما بالنسبة للأطفال، فقد ذكر كل من متى ومرقس دعوة يسوع: « دعوا الأولاد يأتون إلى » ولكن لوقا يضيف أن يسوع «**أخذ ولداً وأقامه عنده**» أي إلى جانبه (٩ : ٤٧، ١٨ : ١٥ - ١٧).

(٣) المساكين والمنسحقون: كان لوقا أكثر اهتماماً بموضوع الثروة والفقر من كتبة الإنجيل الآخرين. وكان يولي اهتمامه بالمساواة الاقتصادية، ويؤكد أن يسوع قد مُسح ليبشر «**المساكين**» (٤ : ١). وذكر ثلاثة أمثلة عن المال، كما تحدث عن كرم كنيسة أورشليم الأولى في مشاركة ما لديهم مع المحتاجين.

(٤) « العشارون والخطاة »: كانت هاتان الجماعتان منبوذتين من المجتمع لأن العشارين (محصلي الضرائب) كانوا يعملون لحساب الرومان المبغضين، أما « الخطاة » فإنهم كانوا جهلة بالناموس والتقاليد اليهودية. غير أن لوقا يذكر لنا أن العشارين والخطاة كانوا يحتشدون حوله (١٥ : ١)، وأن يسوع كان يأكل معهم على الرغم من أن الآخرين كانوا ينتقدونه (٥ : ٣٠، ١٥ : ٢) وعُرف بأنه «**محب للعشارين والخطاة**» (٧ : ٣٤). وكان هذا توقعاً حياً للوليمةالمسيانية.

(٥) السامريون والأمميون: وبالنظر إلى أن السامريين كانوا شعباً من الهجين، من دم مختلط من اليهود والأمم من القرن الثامن قبل الميلاد، لذلك لم يكن اليهود يتعاملون معهم. ولكن يسوع وبخ يعقوب ويوحنا لأنهما أرادا - مثل إيليا - أن يستدعيا ناراً من السماء لتدمر قرية سامرية (٩ : ٥٤ - ٥٥)، وأيضاً ذكر المثل الشهير عن السامري الصالح، وما قام به تجاه شخص يهودي مما لا يمكن أن يفعله أي يهودي إطلاقاً لشخص سامري (١٠ : ٢٥- ٣٤) ثم طلب من تلاميذه أن يكونوا له شهوداً بعد يوم الخمسين لتوسيع دائرة الكرازة لتشمل السامرة (أعمال ١ : ٨).أما بالنسبة للأمميين، فقد كان لوقا بالطبع واحداً منهم. ولذلك تتبع سلسلة أنساب يسوع حتى الماضي البعيد لتصل إلى آدم. وفي سفر

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أعمال الرسل تتبع انتشار الإنجيل من أورشليم عاصمة اليهودية إلى روما عاصمة العالم. أما العنصر الرئيسي البشرى في هذه الدراما المثيرة فقد تمثل في بولس الذي كان رسولاً للأمم، وبطل قصة لوقا.

وهكذا يؤرخ لوقا الأحداث الرئيسية في رحلات بولس التبشيرية الثلاث، **أولاً**: الكرازة للمدن الأممية، **ثانياً**: الكرازة في أوروبا، **ثالثاً**: قضائه خمس سنوات في أفسس و كورنثوس. ثم القبض عليه في أورشليم، ومحاكمته، ثم رحلته الخطيرة إلى روما التي انتهت بسجنه هناك حيث قال لوجوه اليهود «إن خلاص الله قد أرسل إلى الأمم»، وكان لمدة سنتين كاملتين «**كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة وبلا مانع**» (أعمال ٢٨ : ٢٨- ٣١).

وهناك ثلاثة أسباب لإضافة سفر أعمال الرسل إلى إنجيل لوقا في هذا القسم. **أولاً**: لوقا هو كاتب السفرين. **ثانياً**: أنه أكد هو نفسه تواصلاً أساسياً بينهما، ذلك أن سفره الأول (الإنجيل) يحتوي على كل ما «**ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به**» (أعمال ١ : ١) أثناء خدمته بالجسد على الأرض. أما عمله الثاني (سفر أعمال الرسل) فمن الواضح أنه تضمن كل ما استمر يسوع يعمله ويعلِّم به من خلال الرسل الذين عينَّهم. **ثالثاً**: لأن كلا السفرين يركزان على نفس الرسالة، وهي: خلاص الله للعالم كله بيسوع المسيح (لوقا٢ : ٣٠- ٣٢، أعمال ٢٨ : ٢٨).

هذه هي إذن المعالم الرئيسية لقصة لوقا ذات الجزئين: الخلاص (ويشمل المغفرة والروح القدس)، المسيح (الذي بميلاده وموته وقيامته أصبح قادراً وبشكل فريد على أن يخلص)، والعالم الذي جاء يسوع لكي يخلصه بغض النظر عن الجنس أو اللون، أو الطبقة الاجتماعية أو النوع أو السن. ذلك أن محبة الله في المسيح تشمل الجميع، ولاسيما أولئك المهمشين في المجتمع. بل إنه كان يقترب ليربح أولئك الذين كان الآخرون يعتبرونهم نجسين منبوذين. فالمسيح بحسب إنجيل لوقا هو مخلص العالم.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٤- إنجيل يوحنا ورسائله

(المسيح الكلمة صار جسداً)

كل إنجيل من الأناجيل الأربعة له بداية مختلفة. فمتى استهل إنجيله بسلسلة أنساب المسيح حيث يتتبع أصل العائلة حتى ابراهيم . ويبدأ لوقا إنجيله، بميلاد المسيح من عذراء وطفولته. أما مرقس فيبدأ بخدمة يوحنا المعمدان، في حين أن يوحنا يعود مباشرة إلى بداية الزمان: «**في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله**» (١: ١). هذا هو الكلمة الشخصية والأبدية الذي به خُلق كل شئ أيضاً العامل في عملية الخلق، و لم يترك إطلاقاً العالم الذي خلقه، وهي نور وحياة كل البشر.

وكلمة الله هذا هو التعبير الكامل عن كينونة الآب، وهو الذي ذات يوم «**صار جسداً وحلّ بيننا**» (١: ١٤). والذي شهد له يوحنا. ولم يكن الأمر مجرد زيارة أو تفقد بل كان تجسداً. فقد صار إنساناً في يسوع الناصري. والتناقض الظاهري يبدو مذهلاً. الخالق يتجسد في ضعف البشر الذين خلقهم. الأزلي يدخل نطاق الزمن. كليّ القوة يجعل نفسه ضعيفاً. كلي القداسة يعرض نفسه للتجربة. وفي النهاية مات الذي لا يموت.

ولكن، ما الغرض الذي كان يهدف إليه يوحنا من كتابة إنجيله، لقد ذكر لنا السبب: «**وآيات أخر كثيرة صنع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله الأزلي ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه**» (٢٠: ٣٠-٣١).

وثمة ثلاث مراحل واضحة ذُكرت هنا:

(١) اختار يوحنا «آيات» معينة وسجلها.

(٢) لكي يؤمن قراؤه بيسوع.

(٣) ولكي يكون لهم بإيمانهم حياة أبدية باسمه. وهكذا فإن الشهادة تؤدي إلى الإيمان، والإيمان يؤدى إلى الحياة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفى الواقع يبدو أن يوحنا ينظر إلى إنجيله باعتباره شهادة للمسيح. ويبدو الأمر تقريباً كما لو أننا أمام مشهد من محكمة من نوعية ما، وفي هذه المحكمة يُحاكم المسيح، ويُستدعى إليها سلسلة متعاقبة من الشهود، بدءاً من يوحنا المعمدان الذي «**جاء للشهادة ليشهد للنور**» (١ : ٦ - ٧). فماذا كانت شهادته؟ تضمنت شهادته ناحيتين: الأولى تمثلت في قوله: «**هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**» (١ : ٢٩)، والثانية تمثلت في قوله: «**هو الذي يعمد بالروح القدس**» (١ : ٣٣). غير أنه تبعت ذلك شهادات أخرى بشرية وإلهية. لأن الله الآب نفسه شهد لابنه من خلال أقواله وأعماله (٥ : ٣١ - ٤٠، ٨ : ١٢و ١٤). ثم إن أقواله كانت تفسر أعماله، كما أن أعماله كانت تجسد أقواله. وبعد موته فإن روح الحق أيضاً سيشهد له (١٥ : ٢٦- ٢٧).

ويعتقد كثيرون من المفسرين أن يوحنا - وعن عمد - جمع سبعة شهود تمثلت في سبع معجزات كبرى. وقد عُرفت هذه المعجزات بأنها «**قوات**» (dunameis)، لأنها كانت تعبر عن قدرة الله الخالقة، كما سُميت أيضاً «**عجائب**» (terata)، لأنها كانت تثير الدهشة والإعجاب. غير أن الكلمة المفضلة عند يوحنا المعبرة عن القوات والعجائب هي « معجزات » (semeia) لأن الأهمية الروحية الأهمية الروحية فيها أكثر من الظاهرة المادية. ومعجزات يسوع كانت أمثالاً تم تجسيدها، فقد جسد بشكل مرئي الادعاءات التي أظهر من خلالها مجده (٢ : ١١). وكانت كل آية تسهم في الشهادات التي كان يجمعها يوحنا ليضمّنها الصورة التي كان يرسمها.

المعجزة الأولى: يسوع يحول الماء إلى خمر، كدلالة على ادّعائه بأنه يبدأ نظاماً جديداً. وأجران الماء الحجرية الضخمة الستة التي كانت تُستعمل للغسل الطقسي، وكان يُنظر إليها في عرس قانا كرموز للنظام القديم، أي لليهودية. لكن يسوع حوّل الماء إلى خمر كعلامة على أنه في مجيئه وبواسطته قد أتى ملكوت الله. وقد وضح هذا الحق الأساسي نفسه بالأكثر حين طهر الهيكل (٢ : ١٣- الخ)،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وحين أخبر نيقوديموس بضرورة الولادة الجديدة (٣ : ١- الخ)، وحين قدم للمرأة السامرية ماء الحياة (٤ : ١- الخ). لقد قدم يسوع بداية جديدة.

المعجزتان الثانية والثالثة: عمل يسوع معجزتي شفاء، علامةً على أنه يعطي حياة جديدة. أولاً: شفى ابن خادم الملك في كفر ناحوم (٤ : ٤٣ و ٤٥). وكانت هذه معجزته الثانية. وبعد ذلك، وعند بركة بيت حسدا في أورشليم شفى مشلولاً مضى على مرضه ثمان وثلاثون سنة (٥ : ١ -الخ). وبعد هذه الآيات يسجل يوحنا حديثاً آخر ليسوع قال فيه إن الله الآب قد أعطاه سلطاناً أن يعطي الحياة وأن يدين وينفذ الدينونة. وكل من الدينونة وإعطاء الحياة هي امتيازات قاصرة على الله وحده.

المعجزة الرابعة: أطعم يسوع بطريقة معجزية خمسة آلاف شخص بواسطة خمسة أرغفة شعير وسمكتين، كدلالة على أنه خبز الحياة. ومعجزة إطعام الخمسة آلاف هي المعجزة الوحيدة التي جاء ذكرها فى كل الأناجيل الأربعة، ولكن يوحنا فقط هو الذي أضاف الحديث الذي تبع هذه المعجزة، والذي قال فيه يسوع: «**أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً**» (٦ : ٣٥).

هناك جوع في قلب البشر لا يمكن أن يشبعه إلا المسيح، وعطش لا يمكن لأحد غيره أن يرويه. وإطعام الجموع كان مثالاً تم تجسيده ليثبت صحة هذا الادّعاء.

المعجزة الخامسة: مشى يسوع على الماء لكي يثبت أن قوى الطبيعة تخضع لسلطانه الإلهي. وحين صعد يسوع إلى جبل ليصلي، واستقل التلاميذ الاثنا عشر سفينة لعبور البحيرة، هاجمتهم عاصفة عاتية، وقد شعروا بالوحدة وأنهم متروكون. غير أن ما حدث هو أنه في وسط الظلام والعاصفة العاتية، جاءهم يسوع ماشياً على المياه. وقد تملكهم الرعب، لكنه قال لهم: «**أنا هو لا تخافوا .... فقال التلاميذ فحتى الرياح والمياه تطيعانه**» (٦ : ١٦ - ٢١).

المعجزة السادسة: يسوع يشفي المولود أعمى، كعلامة على صحة قوله إنه نور العالم. فقد قال: «**أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون**

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

له نور الحياة» (٨: ١٢). وفيما يسرد يوحنا هذه القصة، قام بعمل مقارنة بين الفريسيين، والرجل المولود أعمى. كان الفريسيون يبصرون، لكنهم كانوا عمياناً من الناحية الروحية، في حين أن المولود أعمى استرد بصره، وفي نفس الوقت آمن.

المعجزة السابعة: أقام يسوع لعازر من الموت بعد أن صار له في القبر أربعة أيام، دلالةً على صدق ادّعائه بأنه هو القيامة والحياة. وفي هذه القصة تجلت العواطف النبيلة للكلمة الذي صار جسداً. لأنه «عبّر عن غضبه وسخطه في مواجهة الموت» حرفياً، «انزعج واضطرب»، ثم إنه «بكى» تعاطفاً مع الأختين الحزينتين مريم ومرثا (١١: ٣٥). ثم قال: «**أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي لن يموت إلى الأبد**» (١١: ٢٥-٢٦). وبتعبير آخر، يسوع صار الحياة للأحياء، وسيكون قيامة للموتى. لأن الذين هم أحياء لن يموتوا إلى الأبد، وأولئك الذين يموتون سيحيون ثانيةً.

وهكذا، نحن بصدد سبع معجزات اختارها يوحنا، وكل منها تجسد أحد ادّعاءاته. هذا هو يسوع الذي شهد له يوحنا، والذي آمنا به نحن أيضاً. لقد بدأ عهداً جديداً. هو معطي الحياة والديّان في آن واحد. وهو يتحكم في قوى الطبيعة. وهو خبز الحياة، ونور العالم، والقيامة والحياة.

ومع ذلك، هناك جانب آخر من شهادة يوحنا ليسوع، فالمعجزات السبعة هي معجزات تثبت قدرته وسلطانه، وقد سُجلت كلها في النصف الأول من الإنجيل. وفي النصف الثاني من الإنجيل يسجل يوحنا علامات تدل على الاتضاع والضعف. وقد بدأ في العليّة حين خلع يسوع ملابسه الخارجية، واتزر بفوطة حول وسطه، وركع، وغسل أرجل تلاميذه الاثني عشر. وفوق كل هذا، كان هناك الصليب. وعلى أساس ما ذكره يوحنا، فإنه على الرغم من أن يسوع أظهر مجده في معجزات تدل على القدرة (٢: ١١) إلاّ أن الصليب كان وسيلة تمجيده الرئيسية. ولذلك قال يسوع: «**قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان**» (١٢: ٢٣).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وإذا كان غرض يوحنا من إنجيله هو الشهادة للمسيح لكي يؤمن قراؤه به ولكي تكون لهم حياة (٢٠ : ٣١)، إلا أن غرضه من رسائله، التي نشير إليها هنا، فهو أن ينتقل بقرائه خطوة أخرى إلى الأمام. فهو يقول: «**كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية**» (يوحنا الأولى ٥ : ١٣). لأنه أن تنال الحياة شيء، وأن تعرف أنك قد نلتها بالفعل، فهذا شيء آخر. لذلك بعد أن جمع يوحنا المعجزات السبعة التي تشهد للمسيح معاً، نراه الآن يعرض ثلاثة اختبارات تُظهر اليقين الزائف للمسيحيين غير الحقيقيين، وتؤكد اليقين الحقيقي للمسيحيين بالفعل. وهو لم يكن متصنعاً في أقواله. فقد عَّرف ثلاث أنواع من الكذابين:

أولاً: الذي ينكر أن يسوع هو المسيح الذي جاء بالجسد هو كاذب (انظر يوحنا الأولى ٢ : ٢٢). هذا هو «الاختبار العقيدى».

ثانياً: الذي يدعي أنه يتمتع بشركة مع الله بينما يسلك في الظلمة يكذب (يوحنا الأولى ١ : ٦). وهذا هو «الاختبار الأخلاقي».

ثالثاً: الذي يقول إنه يحب الله ويبغض أخاه فهو كاذب (يوحنا الأولى ٤ : ٢٠). وهذا هو «الاختبار الاجتماعي». وعلى العكس من ذلك، (١) نحن نعرف روح الله، لأنه يعترف بالمسيح (يوحنا الأولى ٤ : ٢، انظر يوحنا الثانية ٩ : ٢) (٢) نعرف أننا نعرفه، لأننا نطيع وصاياه (يوحنا الأولى ٢ : ٣)، (٣) نحن نعرف أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نحب إخوتنا وأخواتنا في المسيح (يوحنا الأولى ٣ : ٤). بل إن يوحنا جمع بين ثلاثة أفعال يتسم بها شعب الله: هم يؤمنون بالمسيح، ويحبون بعضهم بعضاً، ويحفظون وصاياه (يوحنا الأولى ٣ : ٢٣ ـ ٢٤).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٥ـ الإنجيل الرباعي

فيما سبق تأملنا المسيح من أربع نواح، كل منها تختلف عن الأخرى. أما الآن فنحن في حاجة إلى تأكيد أن هذه النواحي ليست متنافرة. وقد كتب الأسقف ستيفن نيبل يقول: إن الرسالة الأساسية للأناجيل ليست تعاليم يسوع، بل يسوع نفسه. ومن ناحيتي شخصياً، أرى أنه من المفيد أن نجد في الأناجيل الأربعة، أبعاداً أربعة لقصد الله في الخلاص: طوله، وعمقه، واتساعه، وارتفاعه. فمتى يكشف لنا عن طوله، لأنه يحدثنا عن مسيح الكتاب المقدس، الذي ينظر إلى التوقعات التي شهدتها قرون طويلة ماضية. أما مرقس فيؤكد عمقه لأنه يصف لنا العبد المتألم الذي ينظر إلى أسفل إلى عمق الإهانات التي كابدها. وفي إنجيل لوقا يبرز اتساعه قصد الله، لأنه يصف لنا مخلص العالم الذي ينظر حوله برحمته إلى أكبر اتساع ممكن للبشر. ثم يكشف لنا يوحنا عن ارتفاعه لأنه يحدثنا عن الكلمة الذي صار جسداً، الذي ينظر إلى الأعالي التي جاء منها، والتي يعتزم أن يرفعنا إليها.

وليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة فى أن الرسول بولس كان يصلي حتى نستطيع نحن مع شعب الله كله أن ندرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو فيما يتعلق بمحبة المسيح (أف ٣: ١٨) وهي الأبعاد التي رأى بعض آباء الكنيسة الأولى أن شكل الصليب كان يرمز إليها.

ولقد بُذلت بعض المحاولات طوال تاريخ الكنيسة لإيجاد تناغم للأناجيل. ويبدو أن أول هذه المحاولات هي محاولة «تاتيان»، الذي تجدد وآمن بالمسيح عند زيارته روما في منتصف القرن الثاني وأصبح تلميذاً ليوستين الشهيد. وهذه المحاولة أصبحت معروفة باسم «الرباعية» والتي كانت في الأساس مصطلحاً موسيقياً لتناغم من أربعة أجزاء. وكان هذا دمجاً وبمهارة رائعة للأناجيل الأربعة دون أية إضافة تحريريه من عنده.

أما المحاولة الجادة التالية للتناغم بين الأناجيل الأربعة، فقد كانت على يد أغسطينوس. وكان همه هو تبرئتها والدفاع عنها ضد الانتقادات المسيئة التي صدرت عن فلاسفة

وثنيين. وقام بطريقة نظامية بالمقارنة بين قصص البشيرين (كتّاب الأناجيل) عن أقوال يسوع وأعماله، وقدم الحجة على أنه يُوجد «تناغم» حقيقي، أو «اتساق» بينها، ولا يُوجد أي تعارض أو تناقضات.

والربط الشديد القوي بين يسوع الواحد الوحيد، والأوجه الأربعة على النحو الذي صورته الأناجيل، كان موضوع كتاب رائع عنوانه «أربعة أناجيل، يسوع واحد» لمؤلفة د. ريتشارد بوريدج، عميد كلية كنجز كولدج، بجامعة لندن. وكان د. بوريدج يتمتع بخيال رائع، وإيمان خالص، وروح خاشعة. وقد أخذ الـ«شبه أربعة حيوانات» المذكورة في (حزقيال ١ : ١٠)، و(سفر الرؤيا ٤ : ٧)، والذي قيل إن وجوهها شبه إنسان وأسد، وعجل ونسر، والتي هي على التوالي مَلِك جميع المخلوقات (الإنسان) ومن الحيوانات المفترسة (الاسد) ومن الحيوانات الأليفة (العجل)، ومن الطيور (النسر). وقد طبق آباء الكنيسة هذه الرموز على البشيرين الأربعة، وعلى أناجيلهم، ومن ثم على المسيح الذي يصفونه. وهي شائعة جداً في الفن المسيحي. وهكذا، فإن يسوع في إنجيل مرقس يشبه أسداً يثب (مندفعاً وهو يزأر بشكل غامض، ويموت وحده ميتة شنيعة). أما يسوع في إنجيل متى فله وجه إنسان (لأنه موسى الجديد معلم إسرائيل الأسمى، والذي على الرغم من ذلك رُفض تعليمه، وهكذا أفسح الطريق للأمم. أما يسوع في إنجيل لوقا فيرمز إليه عجل (لأنه حامل أثقال الفقراء والمحتاجين والمنبوذين وهو يتسم بالقوة والصبر). وأخيراً، يسوع في إنجيل يوحنا هو نسر، يحلق عالياً، ويرى لمسافات بعيدة، ويعرف كل شيء (لأنه جاء من أعالي السموات ليسكن معنا على الأرض، ثم يحملنا معه إلى المجد).

إذن ما هي العلاقة «بين الأناجيل الأربعة ويسوع الواحد؟» يجيب على هذا السؤال د. بوريدج بقوله إنه يتوجب علينا أن نسمح لكل بشير برسم صورته وسرد قصته الخاصة به و ليس لنا الحرية في أن نحول الأربعة إلى واحد وذلك بإلغاء شخصية كل منها، أو تحويل الواحد إلى أربعة وذلك بالمبالغة في شخصية كل منها، وبذلك نجعل الصورة المركبة غير ممكنة. كلاّ، تُوجد أربعة أناجيل، لها أربع صور، تحكي أربع نسخ من قصة يسوع الواحدة. وهذه القصة الواحدة في نسخها الأربع، تظل قصة معيارية، وهى المعيار الذي بموجبه يتم الحكم على صحة كل المحاولات التي تُجرى لعمل أكثر من يسوع.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٦- يسوع وبولس

ونحن ننتقل من الأناجيل إلى الرسائل، ومن ثمّ من يسوع إلى بولس، فإننا سوف نواجه مشكلة فورية. هل بولس ينتمي إلى يسوع بشكل متواصل أم غير متواصل؟ ذلك أنه من المعروف أنه بدايةً من القرن التاسع عشر، وصف عدد من المفسرين بولس بأنه «الثاني» بل إنه المؤسس «الحقيقي» للمسيحية. وقد نُظر إليه على أنه حوّل ديانة يسوع البسيطة غير المعقدة إلى فكر لاهوتي معقد نميل إلى أن نلصقه به. ولقد استمطر بولس اللعنة على أي شخص يحرّف إنجيل المسيح (غلاطية ١ : ٦- ٩) إلاّ أنه هو نفسه اتهم بأنه حرّفه. فقد قال ألبرت سكويترز إنه لم ير أي تواصل ملموس بين المسيح وبولس. وقد وصف بولس بأنه «شخص مهووس» شوّه الإنجيل الحقيقي بتعاليمه. وهكذا أيضاً في أيامنا هذه كتب أ. ن. ويلسون يقول: «إذا كان هناك شخص واحد يمكن وصفه بأنه مؤسس المسيحية..... فلابد وأن يكون هذا الشخص هو بولس». ورداً على ذلك قامت حركة تنادى بالعودة من بولس إلى المسيح، وذلك مع بداية القرن العشرين، ومازالت تمارس نشاطها حتى الآن.

وإنها لحقيقة أن بولس اقتبس من أقوال المسيح في أربعة مواضع فقط هي (كورنثوس الأولى ٧ : ١٠، ٩ : ١٤، ١١ : ٢٣ الخ، تسالونيكي الأولى ٤ : ١٥). وأيضاً نجد بالفعل أن بولس أغفل فى رسائله بعض الوقائع بطريقة تدعو إلى الدهشة. على سبيل المثال، فإنها لا تشير مباشرةً إلى معمودية يسوع أو تجليه، أو أمثاله أو معجزاته. وعلى الرغم من ذلك، توجد أدلة كافية - تأتي في كثير من الأحيان بالتلميح وليس بالاقتباس، تفيد بأن بولس كان على دراية بتعليم يسوع وقصته:

(١) لقد أعلن يسوع ملكوت الله باعتباره حقيقة واقعة الآن، وكذلك باعتباره توقعاً يتحقق في المستقبل، بما يُستشف منه إننا نعيش بين الأزمنة، بين خلاص «تم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بالفعل»،وخلاص «لم يتحقق بعد». وعلّم بولس أيضاً بهذا المفهوم المزدوج.

(٢) وقد أعلن يسوع أيضاً أنه يتمتع بعلاقة فريدة مع الله باعتباره «أبا الآب»، هذا ما أكده بولس بأن دعاه «**ابن الله**» (رومية ١ : ٣- ٤).

والأهم من ذلك كله.

(٣) أن يسوع أكد أهمية آلامه وموته تحقيقاً لنبوات الكتاب، نيابةً عن الخطاة، ويتبع ذلك قيامته. ثم إن الصليب والقيامة يشكلان جوهر رسائل بولس. وبسببهما يمكن تبرير الخطاة بالإيمان وحده بدون أعمال، على النحو الذي أكده بولس، وكما أكد يسوع أيضاً في مثل الفريسي والعشار.

(٤) كما وصف يسوع أسلوب الحياة المناسبة لتلاميذه وشدّد على أولوية المحبة، التي لا تنتقم، وتكمل الناموس وتعبر عن نفسها في الخدمة والتواضع الجم - وكل هذه الأمور نجد لها نظيراً في تعليم بولس الأخلاقي. بل إن و.د دافيز ذهب إلى حد القول بأن «بولس منقوع في فكر سيده المسيح وأقواله». وهذا الأمر لا يدعو للدهشة بالنظر إلى أن «المسيح هو الموضوع المسيطر على فكر بولس والإنجيل».

وإذا تحولنا من تعليم يسوع إلى حياته وخدمته كلها، أي إلى قصته، يتضح أن بولس لم يكن يجهل عمل المسيح بالجسد على الأرض أو يتجاهله. ذلك أن بولس يشير في رسائله إلى ميلاد يسوع (غلاطية٤ : ٤)، وإلى أنه من نسل إبراهيم وداود (رومية ٩ : ٥، ١ : ٣)، وإلى عائلته بالجسد (كورنثوس الاولى ٩ :٥، غلاطية ١ : ١٩) وكان بولس يعرف أن يسوع «**بلا خطية**» (كورنثوس الثانية ٥ : ٢١)، وأنه وديع (كورنثوس الاولى ١٠ :١) ومتواضع ومطيع (فيلبي ٢ : ٨) والأهم من ذلك كله، استعداده لأن يضحي بنفسه من أجل الآخرين (كورنثوس الثانية ٨ : ٩). وإذا كان بولس يعرف عن حياة يسوع، فإنه كان وعلى وجه الخصوص يعرف، ويؤكد موته، الذي سبق العشاء الذي صنعه لتلاميذه (كورنثوس الاولى ١٠ : ١١، ١٦: ٢٣ الخ)،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثم دفنه وقيامته وارتفاعه إلى السماء وعطية الروح القدس. وبعد ذلك أرسل تلاميذه ليكرزوا لليهود أولاً ثم للأمم، وليجمعوا شعبه معاً من كل جنس (غلاطية ٣ : ٢٨). وأن إرساليتهم ستملأ الثغرة الواقعة بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني. وبعد ذلك سيأتي مثل لص، كما كان يعلّم كل من يسوع وبولس - ليكمل الخلاص والدينونة.

وكتب د. دافيد وينهام دراسة مستفيضة عن استخدام بولس لأقوال يسوع وقصته، وذلك تحت عنوان «بولس، هل هو من تلاميذ يسوع، أم هو مؤسس المسيحية». و بعد دراسة وافية للموضوع، انتهى إلى أنه «يوجد تناغم هائل بين يسوع وبولس. وفى الوقت نفسه توجد اختلافات من ناحية التركيز اللاهوتي، وهى مع ذلك» لا تمثل أي تعارض أساسي في الفكر وكلها تعكس تقريباً حدوث تغيير في الوضع. فمن ناحية، علّم يسوع الشعب اليهودي في فلسطين عن موته وقيامته، اللذين سيحدثان في المستقبل. ومن ناحية أخرى كتب بولس إلى شعوب أغلبها من الأمم في العالم الإغريقي - اليوناني عن الصليب والقيامة باعتبار أنهما أمران قد حدثا بالفعل.

وهكذا، نجح دافيد وينهام تماماً فى توضيح أن وصف بولس بأنه «من أتباع المسيح» أفضل كثيراً من وصفه على أنه «مؤسس المسيحية». وكما هو الحال بين الأناجيل الأربعة، هكذا أيضاً بين يسوع وبولس، لا نجد إلاّ وحدة في التنوع.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

رسائل بولس الثلاث عشرة

ننتقل الآن من مناقشة العلاقة بين بولس ويسوع إلى التأمل مليًّاً في بولس نفسه. فقد أظهر قدرة فائقة على سهولة التحول من موضوع لآخر في رسائله، والتي تشكل في مجموعها ربع حجم العهد الجديد. وقد نُسبت ثلاث عشرة رسالة إلى بولس (باستثناء رسالة العبرانيين)، من بينها سبع رسائل فقط اعُتبرت بوجه عام وبشكل لا يقبل الجدال، أن كاتبها هو بولس، وهي: غلاطية، رومية، كورنثوس الأولى والثانية، فيلبي، فليمون، وتسالونيكي الأولى والثانية. أما الرسائل التي هي موضع جدل وعلى نطاق واسع فهي الرسائل الرعوية، على الرغم من أنه في القرن العشرين برز دفاع قوي عن مصداقية هذه الرسائل، وذلك على يد عدد كبير من مفسري العهد الجديد. ولقد حاولْت أن ألخص بنفسي القضية سواءً بعرض ما يؤكد أو ما يعارض كتابة بولس للرسائل الرعوية بعرض ما يؤكد أو يعارض، وأعتقد أنه، من الأفضل أن تُعزى الاختلافات في الأسلوب ومفرادت اللغة في الرسائل الرعوية إلى استخدام بولس لناسخ شخصي لرسائله.

ومن أجل تحقيق هدفي (من ناحية فحص العهد الجديد كله)، فإني سأفترض أن بولس كتب الرسائل الثلاثة عشرة كلها التي نُسبت إليه. وليس من السهل أن نحكم بعدل على شهادته ليسوع المسيح، لكنني أرجو هنا أن أبين أنها خليط من الوحدة والتنوع. وإني أعتزم جمع رسائله على أساس تواريخها خلال فترة عشرين سنة تبدأ بالرحلة التبشيرية الأولى (٤٨-٤٩ م تقريباً)، وتنتهي باستشهاده في روما، والذي ربما كان في سنة ٦٨ م. وفي كل مجموعة من المجموعات الخمس صُوّر يسوع بشكل مختلف إلى حد ما (وربما نوضح ذلك كما هو مبين في الجدول الموجود بالصفحة التالية).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٧ـ رسالة جدلية (غلاطية)
يسوع المحرر

يضعنى البعض ضمن قائمة المفسرين الذين يعتقدون بأن رسالة غلاطية هي أول رسالة كتبها بولس. والسبب الرئيسي في ذلك هو أنها لا تتضمن أية إشارة إلى مجمع أورشليم، والذي بدأ حقبة جديدة بقراراته التي أعلنت أن المتجددين من الأمم ليسوا في حاجة إلى أن يُختتنوا أو يلتزموا بالناموس الطقسي. وعلى الرغم من أن الجدل في إطار من الصمت يُعد مشكوكاً فيه دائماً. فإن عدم ذكر بولس لهذه القرارات في رسالة غلاطية يعني أنها لم تكن قد وُزعت بعد. وهذا ما يجعل تاريخ رسالة غلاطية يقع سنة ٤٩ م بين رحلته التبشيرية الأولى ورحلته الثانية.

التاريخ على وجه التقريب	الفترة	المجموعة	الرسائل	تقديم المسيح
٤٨ـ٤٩	نهاية الرحلة التبشيرية الأولى	رسالة جدلية	غلاطية	المسيح المحرر
٥٠ـ٥٢	أثناء الرحلة التبشيرية الثانية	الرسائل الأولى	تسالونيكي الأولى والثانية	المسيح الديان الآتي
٥٣ـ٥٧	أثناء الرحلة التبشيرية الثالثة	الرسائل الكبرى	رومية، كورنثوس ١و٢	المسيح المخلص
٦٠ـ٦٢	أثناء فترة سجنه الأولى	رسائل من السجن	كولوسي، فليمون أفسس، وفيلبي	المسيح رب الأرباب
٦٢ـ٦٧	أثناء فترة إطلاق سراحه وفترة سجنه الثانية	الرسائل الرعوية	تيموثاوس الأولى وتيطس وتيموثاوس الثانية	المسيح رأس الكنيسة

(الجدول رقم ١ : رسائل بولس الثلاث عشرة).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ومن المناسب أن يُطلق على غلاطية بأنها رسالة «جدلية»، لأن المرء يشعر من خلالها بغضب بولس الشديد على المعلمين الكذبة الذين كانوا يزعجون الكنيسة بتبديل مفهوم الإنجيل (١ : ٧). وقد أعلن بولس اللعنة على هؤلاء المعلمين. و سواءً كانوا من البشر أو الملائكة أو حتى الرسول نفسه، فالذين يكرزون بإنجيل مختلف عن إنجيل النعمة الرسولي الأصلي يستحقون أن تقع عليهم دينونة الله (١ : ٨-٩). وعلى ذلك، كان بولس يشعر بحاجته الماسة إلى أن يكون مخلصاً «لحق الإنجيل» حتى إنه كان على استعداد للدخول في مواجهة علنية محرجة مع زميله بطرس الرسول حول هذا الموضوع (٢ : ١١-١٤).

ولعل الآية المحورية لرسالة غلاطية هي (غلاطية ٥ : ١) «**فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية**» وهكذا يقدم لنا الرسول بولس صورة المسيح على أنه المحرر الأعظم، كما يقدم لنا الخلاص في إطار الحرية. ولكن، ما هي هذه الحرية؟

أولاً: الحرية المسيحية هي «حرية من الناموس» وقد كتب بولس عن «لعنة الناموس»، وهو لا يقصد بهذا التعبير الناموس نفسه، بل الدينونة التي يجلبها الناموس على أولئك الذين لا يطيعونه. لأن جميع الذين يتكلون في حصولهم على الخلاص على حفظ الناموس، إنما هم تحت دينونة الله (٣ : ١٠). ولكن المسيح افتدانا من هذه الدينونة بأن أصبح لعنة من أجلنا (٣ : ١٣). لقد أخذ مكاننا ومات نيابةً عنا. لكن الغلاطيين «الأغبياء» كما وصفهم الرسول (٣ : ١) بدلاً من أن يضعوا ثقتهم في المسيح المصلوب، كانوا يتكلون على أنفسهم معتقدين أنهم أبرار؛ وبهذا وضعوا أنفسهم ضد الصليب. «**لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح مات بلا سبب**» (٢ : ٢١). وليس ثمة ما يدعو للدهشة أن بولس كان مصراً على ألّا يفتخر إلّا بصليب ربنا يسوع المسيح (٦ : ١٤).

وعلى الرغم من ذلك، فإن الحرية من الناموس ولعنته، لا تعطينا حرية في أن نعصي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الناموس الأخلاقي، أو الانغماس في الخطية (٥ : ١٣). بل على النقيض من ذلك، الحرية المسيحية هي حرية للخدمة، وليست حرية للخطية (٥ : ١٣). والواقع هو أن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل «**تحب قريبك كنفسك**» (٥ : ١٤، انظر ٦ : ٢).

ثانياً: الحرية المسيحية هي تحرر من الجسد (sarx) ومن طبيعتنا الساقطة ومن الانغماس في الملذات. ولقد كتب بولس في رسالة غلاطية إنه حتى أولئك الذين سبق أن تبرروا بالنعمة بالإيمان بالمسيح، تراهم منخرطين في صراع لاهوادة فيه بين الجسد (طبيعتنا الساقطة)، والروح (الروح القدس الساكن فينا). وأعمال طبيعتنا الفاسدة تتضمن الزنى، العهارة، الكراهية، الغيرة والأنانية (٥ : ١٩-٢١). «**وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان. وداعة تعفف**» (٥ : ٢٢-٢٣). والفائز في هذه الصراع الداخلي يعتمد على الموقف الذي نتخذه تجاه كل من الجسد والروح. فمن ناحية أخرى، إذا كنا ننتمي إلى المسيح، نكون «**قد صلبنا**» (أي نكون قد أنكرنا تماماً) الجسد مع الأهواء والشهوات» (٥ : ٢٤). ومن ناحية أخرى، علينا أن نعيش بالروح، وأن «**نسلك أيضاً بحسب الروح**» (٥ : ١٦و٢٥)، بمعنى أنه علينا أن نتبع تحفيزات الروح لأن الجسد في هذه الحالة سيخضع للروح، وسوف تنمو في شخصيتنا ثمار الروح.

وشهادة بولس للمسيح المحرر في رسالة غلاطية هي أننا بصليبه يمكن فداؤنا من لعنة الناموس، وأننا بروحه يمكننا أن نتحرر من قوة طبيعتنا الساقطة. ونتيجة هذا، لم نعد عبيداً بعد، بل نسل إبراهيم وأولاد وبنات الله (٣ : ٤، ٢٩ : ٧).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٨ـ الرسائل الأولى (تسالونيكي الأولى والثانية)

المسيح الديان الآتي

زار بولس ورفقاؤه مدينة تسالونيكي أثناء رحلته التبشيرية الثانية، ومن الجلي أن رسالته الأولى لهم تمت كتابتها وإرسالها في غضون شهور بل أسابيع من هذه الزيارة. أما رسالته الثانية فكانت بعد ذلك بوقت قليل. وبناءً على ذلك تكون الرسالتان قد وُجهتا إلى بعض من المتجددين حديثاً. ذلك أنهم منذ فترة بسيطة مضت، رجعوا «**إلى الله من الأوثان**» ليعبدوا الله الحي الحقيقي (تسالونيكي الأولى ١ : ٩). وكان هدف بولس العاجل في رسالته الأولى، هو أن يدافع عن نفسه ضد الاتهامات الباطلة التي كان يروجها الذين كانوا يدَّعون أنه هرب من مدينتهم وإنه ولم يُبال بالمؤمنين الجدد في تسالونيكي.

أما غرضه الثاني فكان رعوياً، فلقد كان يحبهم كما يحب الآباء والأمهات أولادهم (تسالونيكي الأولى ٢ : ٧و١)، وكان يتوق إلى مساعدة أولئك الذين كان لديهم احتياج خاص. وعلى الرغم من أنه حثَّهم على التأني مع الجميع، إلا أنه اختص بالذكر ثلاث نوعيات معينة. كان عليهم أن ينذروا «الذين بلا ترتيب». ويشجعوا «صغار النفوس» ويسندوا «الضعفاء» (تسالونيكي الأولى ٥ : ١٤). وكما اقترح بعض المفسرين، فإنه من المستحسن فهم كلمة «الضعيف» بأنهم الضعفاء جنسياً، والذين سبق أن أوصاهم بالامتناع عن الزنا في (٤ : ١ـ ٨)، وكان «الكسالى» الذين يتعمدون الغياب عن العمل، في حاجة إلى النصيحة بأن يهتموا بأعمالهم ويشتغلوا بأيديهم (٤ : ٩ـ ١٢)، أما الخائف فهو الذي فقد أحد أحبائه وتملَّكه الحزن البالغ (٤ : ١٣ـ ١٨).

لكن التركيز الرئيسي لرسالتي تسالونيكي ينصب على المجيء الثاني للمسيح لكي يُخلّص ويدين. وكل إصحاح من الإصحاحات الثمانية التي قُسّمت عليها رسالتا تسالونيكي الأولى والثانية، يحتوي على إشارة إلى مجيء المسيح الثاني . وتُعد التوقعات

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

المتعلقة بالمستقبل عنصراً ضرورياً للتلمذة المسيحية التي تتسم ليس فقط بالإيمان والمحبة بل «**وبالرجاء**» أيضاً (تسالونيكي الأولى ١ : ٣). وإذ رجعنا إلى الله من الوثنية فنحن نخدم الله الحي وننتظر «**ابنه من السماء**» (تسالونيكي الأولى ١ : ١٠).

وكما هو الحال دائماً، يتناول بولس مشاكل رعوية، يعرف تماماً أن التعليم السليم فقط هو الذي يستطيع أن يحلها. تتضمن رسالتا تسالونيكي أربع فقرات رئيسية تتناول موضوعات أخروية، كل منها موجَّه لمجموعة معينة من الناس.

أولاً: كان البعض قد تملكهم الحزن من جهة الراقدين (تسالونيكي الأولى ٤ : ١٣-١٨). وكانوا يخشون من أن أصدقاءهم وأقاربهم، ربما قد يكونون في موقف سيئ عند مجيء المسيح، وقد تفوتهم البركات التي يأتي بها معه. وكان رد بولس على ذلك، أنه قد قدم لهم قانوناً أخروياً بسيطاً «**لأَنَّهُ إِن كُنَّا نُؤمن أَنَّ يسوع مات وقام، فكذلك الرَّاقدون بِيسوع سَيُحضرهم اللهُ أيضاً معهُ. فإِنَّنا نقول لكُم هذا بكلمة الرَّبِّ: إِنَّنا نحن الأحياء الباقِين إلى مجيء الرَّبِّ لا نسبق الرَّاقدين**» (الآيتين ١٤ - ١٥):

(١) «**الرب نفسه... سوف ينزل من السماء...**».

(٢) «**الأموات في المسيح سيقومون أولاً**».

(٣) «**سيحضرهم الله مع المسيح**».

(٤) **المسيحيون الأحياء لا يسبقون الراقدين المسيحيين أبداً، بل سيتحدون معهم ومع الرب.**

(٥) **وهكذا نكون جميعاً مع الرب كل حين. وهذه الفقرة لا تجيب على كافة أسئلتنا، ولكنها تقدم لنا معلومات أساسية عن المجيء الثاني، والقيامة والاختطاف وتجميع كل المؤمنين معاً.**

ثانياً: كان البعض يتساءلون عن «**الأزمنة والأوقات**» (تسالونيكي الأولى ٥ : ١-١١). ومن الواضح أنهم كانوا متخوفين من ناحية استعدادهم للوقوف أمام المسيح

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

لدى مجيئه، واعتقدوا أن أفضل طريقة للاستعداد هي أن يعرفوا التواريخ. ولكنه كان حلاً خاطئاً للمشكلة. لأنهم كانوا يعرفون أن مجيء الرب سيكون بشكل مفاجئ وفي وقت غير متوقع (مثل لص في الليل)، وبشكل مباغت لا يمكن تجنبه (كالمخاض للحبلى). ولذلك، فإن الطريقة الصحيحة للاستعداد هي أن نتذكر بأننا بالفعل أبناء النور. وبالنظر إلى أننا أبناء نهار، فنحن في حاجة إلى أن نظل مستيقظين، وألا نخلد للنوم، وعندئذ لن نتعرض للمباغتة.

ثالثاً: كان البعض يتعرضون لاضطهادات وضيقات (تسالونيكي الأولى ١ : ٤ - ١٠). وعلى الرغم من ذلك، فإن مثابرتهم وإيمانهم كانا بينةً على قضاء الله العادل. لأن الذين يشاركون آلام المسيح سيشاركون أيضاً في مجده، والأكثر من ذلك، أن الله عادل وسوف يأتي اليوم الذي يجازي فيه شعبه علانيةً. وفي ذات الوقت، سيعاقب أولئك الذين وعن عمد يرفضون الحق، الذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح (الآية ٨). ولذلك فإن المصيران البديلان للسماء وجهنم قد قُدما بتشبيه بلاغي رائع، فمن ناحية، سيتمجد الرب في قديسيه (الآية ١٠)، ومن ناحية أخرى سيُحرَم أولئك الذين رفضوه من «**وجه الرب ومن مجد قوته**» (الآية ٩).

رابعاً: انزعج البعض نتيجة إشاعة تقول إن «يوم المسيح قد حضر». وهنا يدحض بولس هذا الخطأ، وذلك بالكشف عن فلسفة مسيحية للتاريخ (تسالونيكي الثانية ٢ : ١- ١٢). وقد شرح بأن المجيء الثاني للمسيح لا يمكن أن يحدث إن لم يأت الارتداد (مجيء ضد المسيح)، وهذا الارتداد لن يحدث إلا بعد أن يُرفع الذي يحجزه الآن. وهوية هذه القوة الحاجزة (الآية ٦) التي أُضفيت عليها سمة شخصية في الآية (٧) كانت تشغل فكر الدارسين مدة طويلة. ولكن التفسير الأكثر إحتمالاً هو أنها تشير إلى روما وقوة الدولة لأنه - كما يتساءل ترتليان - «أية عقبة كانت هناك سوى الدولة الرومانية»؟ والواقع أن قصد الله من كل دولة باعتبارها المسئولة رسمياً عن حفظ القانون والنظام، والسلام العام والعدل، إنما هو أن تكبح الشر.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفي غضون ذلك، حتى أثناء فترة الحجز، وحتى قبل أن يُستعلن إنسان الخطية (ضد المسيح) فإن «سر الإثم الآن يعمل» (آية ٧). وحركته ضد المجتمع وضد القانون، وضد الله تعمل الآن وإلى حد كبير بطريقة خفية. ونحن نلمس تأثيرها في الإلحاد، وفي الدكتاتورية والمادية والانحلال الخلقي، والتسيب الاجتماعي. ولكن سيأتي يوم يصبح فيه التخريب السري تمرداً علنياً، حيث يتم الكشف فيه عن «الأثيم». وعندئذ بوسعنا أن نتوقع فترة (ورحمةً بنا ستكون قصيرة) من الفوضى السياسية، والاجتماعية والأخلاقية حيث يتم الاستهزاء بالله وبالناموس بكل طياشة، إلى أن يأتي الرب يسوع فجأةً ويطيح بالأثيم.

ونحن هنا أمام ثلاثة أعمال تتعلق بالدراما الأخروية، فنحن الآن في زمن «الكبح» حيث تتم السيطرة على الأثيم، وبعد ذلك يأتي وقت التمرد والارتداد، حيث تُرفع السيطرة عن الأثيم ويُستعلن. وأخيراً سيأتي وقت الثواب والعقاب، حيث يهزم المسيح ذلك «الأثيم» ويقضي عليه. هذا هو برنامج الله. وفي غضون ذلك، يجب أن يتمسك أهل تسالونيكي بقوة بالتعليم السابق الذي تلقوه من الرسول. وأياً كانت الضيقات، فإن الرسول يلفت أنظارهم إلى مجيء المسيح.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٩ـ الرسائل الكبرى

(رومية، كورنثوس الأولى والثانية)

المسيح المخلص

أثناء ما يُطلق عليها الرحلة التبشيرية الثالثة، أمضى بولس سنتين في كورنثوس وثلاث سنوات في أفسس. وقد بدأ عمله في المدينتين في المجمع اليهودي. وعندما رفض اليهود الإنجيل اتّجه للكرازة بين الأمم في كورنثوس حيث كان يقيم في بيت تيطس يوستوس، أما في أفسس فكان يذهب إلى قاعة المحاضرات الخاصة بتيرانوس.

ورغم أن هذه السنوات الخمس كانت مشحونة بالعمل في خدمات الكرازة، والرسائل الدفاعية والتعليم، فإن بولس على الأقل لم يكن يسافر خلالها. وعلى ذلك، يبدو أنه كان يجد وقتاً للكتابة. وهذه هي الفترة التي كتب خلالها الرسالة إلى رومية (ربما اعتمد في مادتها على ما كان يلقيه في قاعة محاضرات تيرانوس)، وعلى رسالتيه إلى كورنثوس.

ومحتويات هذه «الرسائل الكبرى» الثلاث كثيرة ومتنوعة، بالنظر إلى أن كل رسالة منها كُتبت بخصوص احتياجات وموضوعات معينة. وعلى الرغم من ذلك، فإني أعتقد بأنه من الإنصاف القول بأن «الخلاص» هو الموضوع البارز في هذه الرسائل. وفيما يلي ـ على سبيل المثال ـ بعض النصوص الرئيسية:

- رومية ١ : ١٦ «**لآني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني**».
- كورنثوس الأولى ١ : ٢١ «**لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة**».
- كورنثوس الأولى ١٥ : ١ـ ٢ «**...وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه... وبه أيضاً تخلصون**».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

● كورنثوس الثانية ٦ : ٢ «**هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص**».

الرسالة إلى أهل رومية:

تركز رسالة رومية بعد مقدمة موجزة، على المسيح (١ : ١- ٥)، فقد تم توضيح الحاجة العامة إلى الخلاص بشكل قوي.

أولاً: تم توجيه الاتهام إلى الوثنيين الفاسدين، وإلى الذين يدعون إلى الأخلاق الكريمة وهم في السر ينتهكونها، ثم إلى اليهود المعتدّين ببرهم الذاتي، وفي النهاية تبين أن الجنس البشري كله مذنب لا عذر له (١ : ١٨، ٣ : ٢٠). ويواصل بولس قوله: «**وأما الآن فقد ظهر بر الله**» (أي طريقة الله في تبرير الخطاة) في الإنجيل (٣ : ٢١- ٣١)، والذي لا يتم الحصول عليه إلا بالإيمان. (رومية ٣ : ٢١-٣)، كما هو واضح في حالة إبراهيم (الإصحاح ٤). وبناءً على ذلك، فَإذ تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله ونحن الآن في عهد النعمة، ونفرح لتوقعنا المشاركة في مجد الله (٥ : ١- ١١).

ويتضح لنا الآن نوعان من البشر، إحدهما يتسم بالخطية والمعصية، الآخر يتسم بالنعمة والإيمان. ورأس الخليقة القديمة هو آدم، أما رأس الخليقة الجديدة فهو المسيح. وبدقة بالغة يقارن بولس بين هاتين النوعيتين (٥ : ١٢-٢١). ويبين الفارق بين من هم في الخطية، ومن هم في النعمة.

وبعد ذلك، يرد بولس على فئتين من المنتقدين. في رومية ٦ : يدحض الافتراء القائل بأن الإنجيل يشجع على الخطية. فبعد أن اتحدنا مع المسيح (من خلال المعمودية) في موته وقيامته، وعلى الرغم من أنه بوسعنا الاستمرار في الخطية، إلا أنه من غير المتصوّر أن نفعل هذا. فنحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟

وفي (رومية ٧) يرد بولس على انتقاد ثان، وهو أن الناموس ملوم بسبب الخطية. ولكن بولس- عوضاً عن ذلك- يلقي باللوم على « جسدنا » وطبيعتنا البشرية الساقطة. (ورومية ٧)، تزخر بما يبين قوة الخطية الساكنة فينا، غير أن (رومية ٨) تهتم بالروح القدس الساكن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

فينا، والذي بواسطته فقط نستطيع أن نميت أعمال الجسد (٨ : ١٣). كما يتطلع الرسول أيضاً إلى فداء الخليقة كلها (٨ : ١٨- ٢٧) ويعبر عن ثقته الراسخة في خلاصنا، لأنه لا يستطيع أي شيء مهما كان أن يفصلنا عن محبة الله (٨ : ٢٨ - ٣٩).

والإصحاحات ٩ - ١١ لا تشكل قسماً موضوعاً بين قوسين أو قسماً فاصلاً كما يعتقد البعض، بل هي جزء لا يتجزأ من الحجة التي طرحها بولس. ذلك أنه طوال الجزء الأول من هذه الرسالة لم ينس الخليط العرقي في كنيسة روما (**«لليهودي أولاً ثم اليوناني»**) (١ : ١٦، ٢ : ٩ -١٠)، ولا التوترات التي ظلت قائمة بين الأقلية اليهودية المسيحية والأغلبية الأممية المسيحية. وقد حان الوقت الآن لكي يتناول وبشكل مباشر المشكلة اللاهوتية الأساسية. كيف تسنى أن الشعب اليهودي ككل قد رفضوا مسيحهم (المسيا)؟ وكيف أن دخول الأمميين كان يتناسب مع خطة الله، ويُلاحظ هنا أن بولس يضمّن بداية كل إصحاح عبارة عاطفية تعرب عن اشتياقه لخلاصهم وعدم نسيانه لأصله اليهودى (٩ : ١- ١٠،٦ : ١، ١١ : ١).

وفي الإصحاح التاسع، يدافع بولس عن وفاء الله لعهده على أساس أن مواعيده لم تكن لجميع نسل يعقوب، بل للبقية المختارة من اليهود ضمن بنى إسرائيل. وعلى الرغم من ذلك، فإنه في الإصحاح العاشر، أرجع عدم إيمان إسرائيل، ليس إلى قصد الله في الاختيار (كما في الإصحاح٩) بل إلى تكبرها وجهلها وعنادها. وبعد ذلك نجد أن بولس في الإصحاح ١١، يمعن النظر في المستقبل. ويعلن أن خطية إسرائيل ليست شاملة (لأنه تُوجد بقية مؤمنة) وليست نهائية (لأنه سيكون هناك شفاء). وما يراه هو أن كل من اليهود والأمم سيتم الجمع بينهما في النهاية (١١ : ١٢و٢٥). وليس عجباً أن تطّلعه هذا قاده إلى أن يعبر عن مشاعره في تسبحة يحمد فيها الله على عمق غناه وحكمته (الآيات ٣٣-٣٦).

وبدءاً من الإصحاح الثاني عشر من رسالة رومية، ينتقل بولس من التعليم إلى النواحي الأخلاقية. وعلى أساس مراحم الله، والتي كان يستفيض في شرحها، كان يدعو إلى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تقديس أجسادنا وتجديد أذهاننا. والاختيار هو بين أن نشاكل أهل العالم، أو نتغير طبقاً لمشيئة الله.

وعلاوةً على ذلك، فإن مشيئة الله تختص بعلاقاتنا ـ وكلها تغيّرت بشكل جذري بواسطة الإنجيل. وقد تناول بولس سبعاً منها:

(١) علاقتنا مع الله (١٢: ١-٢).

(٢) علاقتنا مع أنفسنا من ناحية تقييم مواهبنا (١٢: ٣-٨).

(٣) علاقتنا بعضنا ببعض (١٢: ٩-١٦) في محبة تربط العائلة المسيحية معاً.

(٤) كذلك علاقتنا بأعدائنا وبفاعلي الشر، والتي تردد دعوة يسوع إلى عدم الانتقام (١٢: ١٧-٢١).

(٥) بالنسبة للدولة اعترافاً بالسلطة والخدمة المعطاة لها من الله (١٣: ١-٧).

(٦) وفي (الآيات ٨ ـ ١٠) يعود بولس ثانيةً إلى المحبة، مؤكداً أن محبتنا لقريبنا هي دين علينا لم نسدده، وهي تكميل للناموس. وهذه العلاقة السادسة هي الأكثر إلحاحاً، حيث يقترب اليوم الأخير (١٣: ١١-١٤).

(٧) أما العلاقة السابعة والأخيرة، والتي يستفيض بولس في الحديث عنها، فهي الخاصة بسلوكنا نحو «الضعفاء في الإيمان» الذين لا يجب الازدراء بضميرهم رغم الوساوس التي يفرطون فيها (١٤: ١-١٥: ١٣). وبدلاً من ذلك، يجب قبولهم في العائلة المسيحية كما قبلنا المسيح.

أما السمة البارزة في تعاليم بولس العملية عن ضعفاء الضمير، فقد ضمنها في تعاليمه عن شخص المسيح وحياته وعمله، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لموته وقيامته ومجيئه الثاني. فهؤلاء الضعفاء هم إخوتنا وأخواتنا الذين مات المسيح من أجلهم. ولقد قام المسيح ليكون ربهم، وليس لنا الحق في التدخل في شئون عبيده. ثم إنه سيأتي ليدينا، ولا يجب علينا أن نقيم من أنفسنا قضاةً عليهم.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ويختتم بولس هذا الجزء برؤية جميلة عن المؤمنين من اليهود والأمم معاً، الذين يربط بينهم اهتمام واحد لكي يمجدوا الله «**بنفس واحدة وفهم واحد**» (١٥ : ١٤ - ٢٢) .

وتُختتم الرسالة بأخبار عن خطط بولس المتعلقة بسفرياته، ثم بتحيات شخصية من وإلى عدد من الشخصيات الذين ذكرهم، وبتحذير عن المعلمين الكذبة، وتسبحة أخيرة مماثلة لتلك التي وردت في مقدمة الرسالة، تشير إلى إنجيل المسيح وإرسالية الله، والكرازة للأمم، وتدعو إلى طاعة الإيمان (١٦ : ١ - ٢٧) .

ورسالة رومية تتضمن أدق شرح للخلاص في العهد الجديد، حيث تشرح الحاجة إليه، وطبيعته ووسائله، مشيرة إلى مضامينه الجذرية من ناحية مجتمع جديد متعدد العرقيات، وتحتفي بالمسيح المصلوب والمقام، وبمجيئه باعتباره المخلص الوحيد .

كورنثوس الأولى :

تماثل رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس في حجمها على وجه التقريب رسالة رومية، غير أن محتوياتها مختلفة جداً. فرسالة رومية هي شرح منظم للإنجيل بعبارات منتقاة، في حين أن رسالة كورنثوس الأولى تتناول مجموعة متنوعة من الموضوعات المختلفة التي قد يصل عددها إلى عشرين موضوعاً، استجاب فيها بولس لاحتياجات رعوية لمسها في كنيسة كورنثوس، أو رد فيها على أسئلة طرحها عليه شعب هذه الكنيسة . وعلى الرغم من ذلك، فقد تناول كل موضوع بعناية . وبذلك تضمنت الرسالة بعض التعاليم القيمة للغاية، فيما يتعلق بالموضوعات العقيدية والأخلاقية والاجتماعية، التي تحتاج الكنائس المحلية في هذه الأيام أن تتأملها ملياً .

ويبدأ بولس بالاعتراف بغموض الكنيسة . وصفها بأنها مقدسة وفي ذات الوقت مدعوّة للقداسة - ومتحدة (« كنيسة الله »، الآية ١) وفى نفس الوقت منقسمة - كاملة وغير كاملة . ولقد شعر الرسول برعب بسبب الانقسامات التي كانت في الكنيسة بسبب عبادة الأشخاص التي أدت بهم إلى هذه الانقسامات . وهذا ما أدى به إلى موضوع « القوة من خلال الضعف »، الأمر الذي يحتاجه الناس بشدة في عالمنا المعاصر الذي يتعطش إلى القوة . وقد رأى بولس هذا

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الموضوع (القوة من خلال الضعف) متحققاً في إنجيل الصليب (١ : ١٨-٢٥) وفي المسيحيين الجدد من أهل كورنثوس (١ : ٢٦- ٣١) وفي نفسه باعتباره كارزاً (٢ : ١- ٥)، حيث جاء برسالة ضعف في ضعفه الشخصي، ولكن في إطار من الثقة في قوة الروح القدس.

ويماثل « القوة من خلال الضعف » مبدأ « الحكمة من خلال « الجهالة » . فعلى الرغم من أن « **كلمة الصليب عند الهالكين جهالة** » (١ : ١٨)، إلا أنها « **عندنا نحن المخلصين هي قوة الله وحكمته** » . وواصل بولس في هذه الرسالة كتابته عن الحكمة الحقيقية التي أعلنها الله بوحي الروح القدس (٢ : ٦-١٦) .

ولقد أدرك الرسول بوضوح أن إنقسام أهل كورنثوس جاء أساساً نتيجة آرائهم الخاطئة عن كل من الكنيسة والخدمة الرعوية. وإذا كانت لدينا فكرة ضعيفة عن الكنيسة، فستتكون لدينا فكرة ضعيفة عن القيادة المسيحية. ولذلك عمد بولسَ في الإصحاح الثالث أن يقدم لنا مفهوماً ثلاثياً عن الكنيسة باعتبارها « حقل الله » والذي يفلحه هو الله، « وكمبنى الله » و حجر الأساس فيه هو المسيح، « وهيكل الله » الذي يسكن فيه الروح القدس. وإذا كان الإصحاح الثالث يقدم لنا صورة للكنيسة، فإن الإصحاح الرابع يقدم لنا صورة للراعي هي صورة للرسول ولكنها بمعناها الثانوي تعطي صورة للقادة المسيحيين في أيامنا هذه. فهم خدام المسيح، وكلاء سرائر الله، وكأقذار العالم، وآباء عائلة الكنيسة. وكل نموذج من هذه النماذج هو مثال للآتضاع.

أما في الإصحاحات التالية، فيقدم بولس تعليماً رسولياً عن التأديب الكنسي للخاطئ، بل والحرمان الكنسي لمن يرتكب الأخطاء الخطيرة (الإصحاح ٥)، كما ينصح بعدم مقاضاة إخوتنا وأخواتنا المسيحيين في المحاكم (٦ : ١-٦)، ويتحدث عن الفسوق الجنسي، ووجهة النظر المسيحية فيما يتعلق بجسد الإنسان (٦ : ٧-٢٠)، وعن الزواج، والعزوبية والطلاق (الإصحاح السابع). والتعليم صارم وصريح للغاية. ولم يقدم بولس أية تنازلات للثقافة المعاصرة، لأنه كان يعرف أن الكنيسة قد دُعيت لأن تمثل ثقافة مغايرة. فقد دعينا لا أن نتشبه بالحمقى، وكذلك لا نشابه بأي حال العالم الذي من حولنا.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفي (الإصحاحين ٨ و٩) يتناول بولس الموضوع الحساس الخاص بحقوقنا وإنكارها. وذلك من ناحية ما إذا كان بوسع المسيحي أن يشتري ويأكل لحوماً سبق أن قُدمت للأوثان قبل بيعها في محل الجزار؟ ألن تكون هذه اللحوم نجسة من الناحية الطقسية؟ واستطاع بولس باعتبار أنه مؤمن من ذوي المعرفة، أن يعلن بقوة بأنه لا يوجد سوى إله واحد، وأن الأوثان تافهة لا قيمة لها، ولذلك لا يوجد أي سبب يمنع الأكل من اللحوم السابق تقديمها للأوثان. ولكن كيف يجب علينا أن نتصرف إزاء أخ مسيحي،خاصة إذا كان حديث الإيمان ولا يعرف هذا الرأي، ولذلك له ضمير ضعيف أو متشكك؟ فإذا رآنا نأكل، فقد يتشجع ويسير على نهجنا ضد ضميره وذلك يجرحه، بل قد يخطئ ضد المسيح. فإذا كان تناولي من هذه اللحوم سيسبب عثرة لأخي ويقع في الخطية، فقد أضاف بولس بأسلوب المبالغة المعروف عنه: «**لن آكل لحماً إلى الأبد**» (٨: ١٣). وعلى ذلك فالمبدأ هنا واضح: المعرفة تأتي بالحرية، لكن المحبة تضع حدوداً لها، لأن المحبة أعظم من المعرفة (٨: ١،١٣: ٢، ١٠: ٢٣-٣٣).

المثل الثاني الذي ذكره بولس هو مثل شخصي بالنسبة له، وقد وضحه في الإصحاح٩. فهو رسول لأنه رأي الرب المقام (وهو شرط من شروط الرسولية). وباعتبار أنه رسول، فله الحق في أن يتزوج ويلقى الدعم والمساعدة. وعلى أية حال، فإن الجنود والمزارعين ورعاة الغنم لا يعملون مجاناً. ويقول ناموس العهد القديم إن الثيران يجب أن تأكل من الحب الذي تدرسه، وإن الكهنة لهم نصيبهم من الذبائح. وكحجة ثالثة، أوصي لهم الرب يسوع نفسه بأن «**الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون**» (الآية ١٤). وعلى ذلك فليس هذا المبدأ موضع جدل. ولكن بولس يواصل قوله (الآية ١٢/ ب والآية ١٥) بأنه لم يستعمل هذا السلطان، ولا يطالب باستعماله، وأنه خير له أن يموت من أن يعطل أحد فخره (إنه كان يكرز دون مقابل. وفضلاً عن ذلك، فإنه لم يكن افتخاراً لأن الضرورة كانت موضوعة عليه)، وقال «**ويل لي إن كنت لا أبشر**» (الآية ١٦). وقد «**استعبد نفسه للجميع ليربح الأكثرين**» (الآية ١٩).

وكلا المثلين يوضحان نفس المبدأ الأساسي، وهو أنه على الرغم من أن لنا حقوقاً، فقد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تكون هناك أسباب وجيهة للتنازل عنها.

وفى (الإصحاحات ١٠- ١٤) يتناول الرسول أسئلة هامة عن الحياة والعبادة في الكنيسة. ويبدأ كلامه بتحذير أخذه من تاريخ إسرائيل بأن الكنيسة المرئية، والتي قد تبدو مؤمنة قد لا تكون هي شعب الله الحقيقي. لأن كل الإسرائيليين قد اعتمدوا في البحر الأحمر، وجميعهم أكلوا وشربوا معاً من نفس الطعام والماء. وبتعبير آخر، جميعهم اعتمدوا كأعضاء في الكنيسة المرئية. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن الله راضياً عن غالبيتهم، وحلت عليهم الدنيونة في البرية (١٠: ١-١٣). وبعد أن أوضح هذا الفرق الحيوي بين الكنيسة بالاسم والكنيسة الحقيقية، (الأمر الذي مازال يتطلب عمله في أيامنا هذه)، ينتقل الرسول ليتكلم عن نواحي مختلفة من العبادة العامة.

أولاً: عليهم أن يهربوا من الوثنية ـ الأمر الذي كان على إسرائيل أن تفعله، بالنظر إلى أن المشاركة في جسد المسيح ودمه تتنافر مع الولائم والذبائح الوثنية. ويقول الرسول بولس «**لا تقدرون أن تشربوا كاس الرب وكأس شياطين**» (١٠: ٢١).

وبعد ذلك، يقدم بولس تعاليم بشأن العبادة الجمهورية لأهل كورنثوس، التي شوهها السلوك غير المناسب. الأول يتعلق بالجنس (من ناحية ذكر أوأنثى). والصعوبة التي تواجهنا من ناحية تفسير تعليم بولس، مردها أنه يجمع بين الفكر اللاهوتي والأمور ذات الصلة بثقافة ذلك العصر في نفس الفترة. والغالبية منا تتفق من حيث أن الموضوعات الخاصة بطول الشعر وارتداء غطاء للرأس هي موضوعات مرتبطة بثقافة ذلك الزمان من ناحية أنها قد تختلف بين مكان وآخر وبين زمن وآخر. غير أن تعليم بولس عن «الرئاسة» «Headship» (الله ـ المسيح ـ الرجل ـ المرأة) هو تعليم لاهوتي خالص. وإلى جانب ذلك، وكما هو الحال بين الله والمسيح، هكذا أيضاً بين الرجل والمرأة، لا تتنافر الرئاسة «Headship» مع المساواة.

ثانياً: تناول بولس موضوع عشاء الرب. فقد أحزنه كثيراً بأن انشقاقات أهل كورنثوس كانت تظهر حتى عند «عشاء الرب»، كما كانت تظهر أيضاً التمييزات الطبقية، حتى أن بعض العابدين كانوا ينصرفون وهم جوعى، في حين أن الآخرين كانوا يشربون حتى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يسكرون. وعلى ذلك، يذكّر بولس قراؤه بأن ممارسة صلاة الأفخارستيا (تناول الخبز والخمر) قد تمت أثناء العشاء الأخير (١١ : ٢٣ ـ ٢٦). ولهذا يؤكد على خطورة الأكل والشرب دون استحقاق، ويحث على ضرورة فحص الذات قبل التقدم إلى مائدة عشاء الرب حتى لا تحل عليهم دينونة الله.

وبعد ذلك، في (الإصحاحات من ١٢ـ١٤) يرد بولس على أسئلتهم المتعلقة بالمواهب الروحية. وهذه الفقرة تُعد مثالاً بارزاً أيضا على التنوع في إطار الوحدة. ولقد شدد الرسول أربع مرات على التأكيد على وحدتهم الأساسية، باعتبارها الخلفية التي يمكن تقبل التنوع في إطارها. **أولاً**: لقد قبلوا جميعاً الروح القدس، لأنه «**ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس**» (١٢ : ٣). **ثانياً**: لديهم نفس اختبار الثالوث القدوس، لأنه وراء مواهبهم وخدماتهم «**نفس الروح**» ونفس الرب (١٢ : ٤ـ٦). **ثالثاً**: بعد ذكره تسع مواهب (هناك قوائم أخرى كانت تتضمن مواهب أخرى)، ينتهي بولس إلى القول: «**ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه...**» (١٢ : ٧ـ ١١). **رابعاً**: يعود بولس ويستخدم تشبيهه المجازي المفضل عن جسد الإنسان، فيقول: «**لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة... كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً بروح واحد** (بالمسيح) **اعتمدنا أيضاً إلى جسد واحد**»، وإذ غير التشبيه المجازي قال «**جميعنا سُقينا روحاً واحداً**» (١٢ :١٢ـ ١٣).

وبالنسبة لبقية الإصحاح، يطور الرسول نموذج جسد واحد «وأعضاء كثيرة». وكل عضو من أعضاء الجسد له فائدته بطرق مغايرة. وعلى ذلك لا يتوجب علينا احتقار ما نتمتع به من مواهب، أو نقلل من قيمة مواهب الآخرين. والغطرسة التي تقول «إني لستُ في حاجة إليك»، والتواضع الزائف الذي يقول: «أنت لا تحتاج إلى» كلاهما يشكلان موقفاً هداماً. فهذا يضعف وحدة الجسد في تنوعه. وهم في حاجة إلى أن يسمعوا تأكيد الرسول: «**وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً**» (٢٧ : ١٢).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وبعد استعراضه لحظر أن التنوع قد يؤدي إلى الانقسام، يوضح بولس لأهل كورنثوس ما يسميه «طريقاً أفضل». وترنيمته عن المحبة لا تضاهيها أية كتابة في الأدب على مستوى العالم كله. المحبة أعظم من التكلم بألسنة وأعظم من النبوة، وهي أعظم من المعرفة والإيمان، وأعظم من عمل الإحسان والبطولة (١٣: ١-٣). إنها أعظم شيء في العالم. المحبة تتأنى وتعطف، ولذلك فهي لا تعرف الغيرة أو التفاخر ولا تتكبر ولا تقبح، وهي لا تهتم بما لنفسها ولا تسرع إلى الغضب. وهي لا تفرح بالإثم بل بالحق. وهي دائماً تحمي، وتثق، وترجو وتثابر (١٣: ٤ - ٧). والمحبة لا تسقط أبداً (١٣: ٨ - ١٣). وهذه المحبة ترحب بتنوع جسد المسيح. وهي لا تمتعض ولا تغترّ بذاتها. وهي الجو الذي لابد منه حتى تستطيع المواهب الروحية أن تعمل.

في (الإصحاح ١٤)، يعود بولس إلى المواهب الروحية وبصفة خاصة إلى النبوّة، والتي يقول عنها إنها أكثر فائدة من التكلم بألسنة لأنها مفهومة، ويمكن أن تعطي الناس قوة وتشجيعاً وراحة (١٤: ٣)، وهذا يتمشى مع المبدأ الذي ذكره الرسول في قوله: «**اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة أن تزدادوا**» (١٤: ١٢).

وبينما تبدأ هذه الرسالة بالانشقاقات التي كانت تمزق كنيسة كورنثوس، إلا إنها تنتهي بعكس ذلك، فنجد أن الإصحاح ١٥ (الإصحاح الرئيسي الأخير فيها، باستثناء الرسائل الشخصية التي تضمنها الإصحاح ١٦) يُعد شرحاً رائعاً للإنجيل الذي يعمل أكثر من أي شيء آخر على توحيد الكنيسة. ويقول بولس إنه يريد أن يذكّر أهل كورنثوس بالإنجيل، الذي يقول إنه الرسالة المعترف بها عالمياً. ولقد بشرهم به بنفسه، وقبلوه. بل والأكثر من ذلك أنهم «يقومون فيه». وقد نالوا به الخلاص، طالما أنهم ثابتون فيه، وإلا لكان إيمانهم باطلاً. ما هو هذا الإنجيل؟ إنه التعليم والتقليد الرسولي الذي تسلمه وسلّمه لآخرين. وهناك أربعة أحداث لها أهمية قصوى في هذا الإنجيل، وهي موت الرب يسوع ودفنه وقيامته ثم ظهوراته.

وعلى الرغم من ذلك، فلربما بغرض التوضيح، إننا شرحنا ما كان من قبل يُفهم ضمناً،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إن هذه الأحداث الأربعة بالذات على نفس القدر من الأهمية، كما نعرف من الإشارات المتكررة في العهد الجديد عن موت المسيح وقيامته، وأهمية الدفن، والظهورات وعلاقتها بموته وقيامته. وهكذا مات المسيح من أجل خطايانا كما في الكتب، ثم دُفن لإظهار حقيقة موته. وبعد ذلك أقيم المسيح في اليوم الثالث كما في الكتب، ثم ظهر ورآه البعض لبيان حقيقة قيامته.

ويواصل بولس ما يكتبه فيتناول الظهورات الرئيسية للمسيح المقام، لمجموعات أو لشخص أو أشخاص بعينهم، حيث وضع ظهور المسيح له في ذيل القائمة.

وهناك عدة أمور يجب قولها بالنسبة لاختبار بولس وهو في الطريق إلى دمشق.

أولاً: كان ظهوراً حقيقياً للمسيح المقام، وليس نوعاً من الرؤى أو الأشباح. ونحن نعرف هذا لأن بولس ذكره مع الاختبارات الأخرى التي ذكرها. ولأن من «أُقيم» هو ذاته من دُفن، أي جسده.

وعلاوةً على ذلك، ينتقل بولس من قوله «**ظهر لي أنا**»، إلى «**أني أصغر الرسل**»، لأن ظهور المسيح المقام يعُد مؤهلاً لا غنى عنه للقب رسول (انظر أعمال ١ : ٢١- ١، ٢، كورنثوس الثانية ٩ : ١).

ثانياً: ومع أنه كان ظهوراً حقيقياً من ظهورات القيامة، فإنه على الرغم من ذلك كان استثنائياً لأنه لم يحدث أثناء الأربعين يوماً (مثل بقية ظهورات المسيح الأخرى)، بل بعد الصعود.

ثالثاً: كان هذا هو الظهور الأخير، حيث حدث «آخر الكل». وأياً كانت رؤية يسوع التي يدَّعيها البعض منذ ذلك الحين، لا يجب أن نعتبرها من ظهورات القيامة.

وبعد أن انتهى من ذكر قائمة ظهورات المسيح، يختتم بولس الآن بقول هام للغاية عن الإنجيل (١٥ : ١١): «**فسواء أنا أم أولئك هكذا نكرز وهكذا أمنتم**».

والضمائر الأربعة هنا لها أهمية كبرى: ضمير المتكلم للمفرد «أنا»، وضمير الغائب

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

للجمع «أولئك»، وضمير المتكلم للجمع «نحن» وضمير المخاطَب أنتم. فالضمير «أنا» يعود على الرسول بولس، والضمير «أولئك» يعود على رسل أورشليم. أما الضمير «نحن» فيعود على الرسل أجمعين، الذين كانوا يكرزون بنفس الإنجيل. أما ضمير المخاطَب «أنتم» فهو يعود على جميع أعضاء كنيسة كورنثوس الذين قبلوه جميعاً. وهذا يشكل دعوة إلى الوحدة في كرازة الرسل، وإيمان الكنيسة وتنوع المواهب.

وبقية (الإصحاح الخامس عشر) من رسالة كورنثوس الأولى يتضمن تأملات وثيقة الصلة عن نواح مختلفة من القيامة: العواقب الرهيبة التي كانت ستحدث لو لم يكن المسيح قد قام (الآيات ١٢-١٩)، وحقيقة أن المسيح قد قام نقلته إلى الحديث عن البرنامج الأخروي (الآيات ٢٠-٢٨)، والمزيد من الأسئلة عن الوضع الذي كان سيحدث لو لم تكن هناك قيامة (الآيات ٢٩-٣٤)، وتعليم خاص بجسد القيامة يجمع بين استمرارية جسدنا الأرضي وعدم استمراريته (الآيات ٣٥-٤٩)، وتأكيد بأن الموتى سيُقامون، أما الذين يكونون على قيد الحياة عند مجيء المسيح فسوف يتغيرون، وبذلك يُبتلع الموت إلى غلبة (الآيات ٥٠-٥٧)، ونصيحة أخيرة لقرائه أن يكونوا راسخين عالمين أن تعبهم ليس باطلاً في الرب (الآية ٥٨).

رسالة كورنثوس الثانية:

كانت علاقات الرسول مع كنيسة كورنثوس (سواءً من ناحية زياراته أو إرساليته) علاقات معقدة، ولا تهمنا في شئ. ولكننا نلاحظ أن رسالة كورنثوس الثانية هي بلا جدال، أكثر رسائل بولس الرسول التي تطغى عليها السمة الشخصية، وذلك بالنظر إلى أنه كان في حاجة للدفاع عن نفسه ضد الانتقادات العديدة التي وجهها له الذين كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم كانوا رسل من الفئة الممتازة (١١ : ٥)، مع أن الحقيقة هي أنهم «**رسل كذبة**» (١١ : ١٣). وعلى العكس منهم، يذكر بولس بدقة الضروريات التي لابد من توافرها في الخدمة المسيحية الحقيقية.

وقد بدأ رسالته هذه بذكر متاعبه و ضيقاته. ويقول إنه في المسيح وبواسطته،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

كان يجد تعزية في آلامه بل وفي حياة القيامة بعد الموت (١ :٣- ١١). ورداً على الانتقادات، نراه يدافع الآن عن تغيير في خططه. فهو لم يكن مذنباً فلم يتردد ولم يكن يغير رأيه بتهور، أو بطريقة دنيوية، أو لم يكن يقول نعم ولا في ذات الوقت. فمثل هذا السلوك سيتنافر مع أمانة الله ومع حقيقة أن كل مواعيد الله تجد « النعم » في المسيح (١ : ١٢- ٢٢).

وهذا ما أدى بالرسول بولس إلى أن يقوم بدفاع عام عن نفسه، وعن زملائه باعتبار أنهم «**خدام عهد جديد**» (٣ : ٦). ومن المتيقن أن خدمة العهد القديم كان لها درجة من المجد، لكن خدمة العهد الجديد تزيد كثيراً في المجد (٣ :٩)، لأنها « خدمة الروح » (وليست خدمة الموت)، خدمة تبرير(وليست خدمة الدينونة)، وهي دائمة (وليست زائلة) (٣ : ١- ١٨).

ولأننا قبلنا هذه الخدمة المجيدة، فإننا «**لا نفشل**»، بل «**نحن واثقون كل حين**» (٥ : ٦و٨). ولا ننسى أنه كانت هناك أسباب قوية كان بوسعها أن تؤدي بنا إلى أن نفقد الرجاء. أولها البرقع «**الذي كان يعمي أذهان غير المؤمنين ليمنعهم من رؤية إنجيل مجد المسيح**» (٣ : ١٢ - ١٨، ٤ : ٣- ٤). والثاني هو « الجسد » الهش الزائل الذي يشبه آنية خزفية والذي وُضع فيه كنز الإنجيل (٤ : ٧). وأنه ليس بمقدورنا إطلاقاً أن نحل أياً من هاتين المشكلتين اعتماداً على أنفسنا. فالله وحده هو الذي يستطيع أن يزيل الحجاب بأن يجعل النور يضيء ظلمتنا البشرية (٤ : ٦). والله وحده هو الذي بوسعه إظهار « حياة يسوع » في أجسادنا المائته الآن (٤ : ١٠- ١١)، وفي اليوم الأخير يقيمنا مع يسوع (٤ : ١٤- ٥ : ١٠). وليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة فى أن لنا رجاء و شجاعة، ونرفض الفشل.

وخدمة العهد الجديد هي أيضاً خدمة مصالحة، وما جاء في (٥ : ١٨- ٢١) يشكل أروع فقرة في العهد الجديد تتناول موضوع المصالحة. **أولاً**: الله هو الذي يحققها « ... **ولكن الكل من الله... إن الله كان في المسيح مصالحاً...** » (الآيتين ١٨ -١٩)، ولم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يحدث على الإطلاق أن كان هناك اقتراح أو إشارة بأن المسيح سيأخذ زمام المبادرة لينتزع المصالحة عنوةً من الله. **ثانياً**: المسيح هو «وسيط» المصالحة. وفي اثنين من تعبيرات بولس الجريئة، رفض الله أن يحسب على البشر خطاياهم (الآية١٩)، بل إنه عوضاً عن ذلك جعل المسيح الذي لم يعرف خطيةً خطية لأجلنا (الآية ٢١). **ثالثاً**: نحن «سفراء» المصالحة، لأن كلاً من خدمة المصالحة ورسالتها أنيطت بنا (الآيتين ١٨-١٩) وأن الله الآن يعظ بنا، نطلب من الناس نيابةً عن المسيح أن تصالحوا مع الله (الآية ٢٠، انظر٦: ١-٢).

ويواصل بولس مناشدته في بداية (الإصحاح ٦)، ثم يواصل كلامه ليصف خدمته. فمن ناحية يصمم على ألا يضع أية عثرة في طريق أي شخص حتى لا تُلام خدمته. وعلى صعيد آخر، فإنه قد صمم وبنفس القدر أن يجعل خدمته جديرة بالثناء بكل طريقة ممكنة، بتحمل كل الضيقات والشدائد فضلاً عن السمات الأخلاقية الحميدة مثل الطهارة والمحبة. وبالنسبة للتناقض الظاهري بين ما جاء في الآيات من ٨-١٠ (على سبيل المثال «**وكحزانى ونحن دائما فرحون**»، «**كفقراء ونحن نغني كثيرين**»)، فإن هذه المتناقضات قد وضعت كلاً منها على النقيض من الأخرى من حيث المظهر فى مقابل الحقيقة، ما هو من وجهة نظر الناس في مقابل ما هو من وجهة نظر الله.

أما (الإصحاحان ٨، ٩) فقد خُصصا لعملية الجمع التي كان بولس ينظمها بين الكنائس الغنية في اليونان لصالح كنائس اليهودية التي كانت تعاني من الفقر. وقد استخدم كل حجة ممكنة لكي يقنع كنائس اليونان لتسهم بكرم. لكن الأعظم من كل كرم، هي «نعمة ربنا يسوع المسيح». وهذه النعمة تتمثل في «**أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره**» (٨: ٩). ولم يكن بولس ينسى المسيح إطلاقاً، فهو يلجأ إليه دائماً - وبطبيعة الحال - حتى في مناشدته من أجل المال.

وفي بقية رسالته (الإصحاحات ١٠-١٣) يعود الرسول للدفاع عن خدمته ضد الرسل المزيفين، وهو لم يكن متأكداً كم يجب أن يكون متشدداً في ذلك. وبالنظر

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إلى أنه رسول حقيقي للمسيح، وتمت المصادقة على ذلك بمعجزاته، وباعتباره أنه أول من بشر كنيسة كورنثوس (١٠ : ٨، ١٢ :١٢)، فإن جزءاً منه يريد أن يؤكد سلطانه الرسولي، غير أن جزءاً آخر منه كان متردداً فى ذلك. وكان يعرف أنه من الأنسب تماماً أن يناشدهم «**بوداعة المسيح وحلمه**» (١٠ : ١). وعلى أية حال، فقد كانت دوافعه عن نية طيبة. وكان يغار عليهم «**غيرة الله**». وقد خطبهم لرجل واحد، للمسيح، ولكنه كان يخاف أن تفسد أذهانهم «**عن البساطة التي في المسيح**» (١١ : ١-٣).

كان يشعر أنه غبي، لأنه كان يعرف أنه في افتخاره القائم على ثقته بنفسه، لم يكن يتكلم «**بحسب الرب**» (١١ : ١٧). وبرغم ذلك، فقد أجبره خصومه على ذلك (١١ :١٨). وعلى ذلك، فقد واصل أفكاره وذكر أصله اليهودي، وإخلاصه للمسيح على الرغم مما تلقاه من ضربات وما عاناه في السجون، ناهيك عن كل الأخطار التي تعرض لها في البحر وفي النهر، من اللصوص والأعداء، في المدينة وفي الريف، في الجوع والعطش، في العري وفي السهر. وفضلاً عن كل شيء آخر، فقد اختبر الضغط الناجم عن اهتمامه بالكنائس (١١ :٢١- ٣٣). ومع ذلك، فقد كانت له «**مناظر** (رؤى) **الرب وإعلاناته**» (١٢ :١). ولكي يحفظ نفسه من الغرور نتيجة ذلك، فقد واصل كلامه بقوله: «**أُعطيتُ شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني**» (١٢ : ٧). كان ذلك يتضمن عجزاً بدنياً (عاهة) بدنياً بدرجة ما. وعلى الرغم من أنه تضرع ثلاث مرات للتخلص من هذا العجز، إلاّ أن الرب يسوع قال له بدلاً من ذلك إن نعمته تكفيه لأن قوته في الضعف تكمل. ولذلك، تعلَّم أن يُسرّ بالضعفات، لأنه حينما كان ضعيفاً، كان قوياً (١٢ : ٧- ١٠). ولقد عاد إلى ما يشبه التناقض « القوة من خلال الضعف ». وهذا كان صحيحاً في المسيح، وفي بولس، وهو ما ينطبق علينا نحن أيضاً.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٠ـ رسائل السجن

(كولوسي، فليمون، أفسس، فيلبي)

المسيح السيد الأسمى

من المعروف تماماً أن بولس سُجن عدة مرات باعتباره «**الأسير في الرب**» (أفسس٤ : ١، انظركورنثوس الثانية ١١ : ٢٣). ولقد كتب يقول: «**وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح**» (فيلبي ١ : ١٣و١٧). كما كتب أيضاً «**اذكروا وثقي**» (كولوسي٤ : ١٨،فليمون١٠و١٣).ولكن لم يتفق المفسرون جميعاً من ناحية تواريخ دخوله السجن، وأين كان ذلك. وسوف أتبع وجهة النظر التقليدية بأنه تعرض مرتين للحبس في روما، مع فترات قضاها حراً بينهما استمرت لبضع سنوات (أعمال ٢٨ : ٣٠-٣١).

وما يبدو أنه من المعقول تخمينه هو أنه فيما كان في السجن، حيث تعذر قيامه بنشاطه المحموم في الكرازة، إلا أنه وهو في السجن توفر له المزيد من الوقت ليقضيه في التأمل. ولقد قال «**في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني**». وعلى الرغم من ذلك فقد أضاف قائلاً: «ولكن الرب وقف معي و قوَّاني» (تيموثاوس الثانية ٤ : ١٦-١٧). ويقول لنا لوقا إن شيئاً مماثلاً سبق أن حدث، سواءً بعد القبض عليه في أورشليم (أعمال ٢٣ : ١١)، أو خلال سفره إلى روما (أع ٢٧ : ٢٣). ولذلك، فليس هناك من سبب يحول دون حدوث ذلك في أوقات أخرى أيضاً. وكان بوسع قضبان السجن أن تحجز جسده، أما روحه فلم يكن هناك سلطان عليها.

ويبدو أنه أثناء تلك السنوات كان ذهنه يحلق عالياً في السماء على الرغم من أنه لم يكن بمقدوره أن يكرز في مزيداً من المدن أو يقوم بزيارة الكنائس. فقد كان ذهنه

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يحلق عالياً في السماء.

وكانت هناك صلات عميقة بين رسالتي أفسس و كولوسي. فنصوصهما و موضوعاتهما متشابهة في العديد من النقاط الهامة. وكلتاهما على وجه الخصوص تعبّران عن تعليم رائع وسام عن المسيح وحياته وأعماله.

في (أفسس ١ : ١٥-٢٣) : كان بولس يصلي من أجل أن تستنير عيون أذهان قرائه ليعلموا قدرة الله الفائقة التي أظهرها عندما أقام المسيح من الأموات، وأجلسه عن يمينه في موضع الكرامة الفائقة، فوق كل ما يخطر على بال منافسيه. والواقع أن الله «**أخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل**» (الآية ٢٣).

وفي (كولوسى) : نجد فقرة مماثلة على السمو الفائق للمسيح عن الكون كله، فيما عدا أنها تبدأ بالخليقة وتتضمن الصليب. وإذ يصف بولس يسوع بأنه الصورة المرئية لله غير المنظور، يواصل كلامه (على النقيض من كل صيغ الثنائيات الغنوسية) فيدعوه بكر كل خليقة، الذي به خلق الكل، وهو الوارث الذي من أجله خلق كل شيء. وهو رأس الجسد (الكنيسة)، وهو بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء، لأن الله سُرَّ أن يحل كل ملئه في المسيح وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه الذي سفك على الصليب (١ : ١٥-٢٠).

ويكاد هذا المفهوم أن يكون غامراً، حيث نُظر إلى يسوع على أنه رأس كل خليقة، رأس كل من الكون نفسه، ورأس الكنيسة أيضاً.

غير أن هناك شيئاً أكثر من ذلك. فموت يسوع المسيح وقيامته لم يكونا يشكلان حدثين لازمين للخلاص فحسب، بل إن غرض الله أيضاً هو أنه يريد منا المشاركة بصفة شخصية في حقيقتهما (أى الموت والقيامة). ولقد أكد بولس هذا في رسالتي « أفسس و كولوسي ». فقد كتب في رسالة أفسس أن الله «**أحيانا مع المسيح**.....

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (٢ : ٥- ٦).

وقد تم التعبير عن اتحاد المؤمنين هذا بالمسيح ربما بشكل أروع في رسالة كولوسي، حيث استخدم الحرف « مع » أربع مرات : « . . . **متم مع المسيح . . . قمتم مع المسيح . . حياتكم مستترة مع المسيح . . تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد**» (٢ : ٢٠، ٣ : ١و٣و٤).

وعلى الرغم من ذلك، فإن رسالتي أفسس و كولوسي لم تصورا لنا الحياة المسيحية على هذا المستوى الرفيع فقط، على أنها مشاركة في المسيح « في السماويات »، فكلتا الرسالتين تُعرفان أيضاً بنصائحهما الواقعية المتعلقة بالكنيسة ومجتمع الله الجديد، ووحدته، وصدقه، وقداسته التي يصفها بولس من جهة، ومن جهة أخرى، بالعائلة أو البيت الذى يتطلب حياتنا الجديدة فيه علاقات جديدة. وهذا ما تجلى بشكل جميل في الرسالة الصغيرة التي بعث بها بولس إلى فليمون.

وتجمع رسالة فيلبي أيضاً سمات رفيعة من الإيمان بالمسيح مع الأعمال الحسنة للسلوك المسيحي. كان هناك إجماع، وعلى نطاق واسع، بأن ما أُطلق عليه « أنشودة المسيح » في الإصحاح الثاني، إنما هي ترنيمة مسيحية قديمة استعارها بولس. وعلى الرغم من ذلك، فسواءً كتبها بولس أو استعارها، فهذا ليس له أهمية كبيرة لأنه في كلتا الحالتين تتمتع هذه الأنشودة بتأييد الرسول بولس. كما أن الترنيمة تتمشى مع قول يسوع « **من وضع نفسه يرتفع** » كما أن تصف الترنيمة عمق الاتضاع الذي حمله إلى التجسد والموت كذبيحة « وضع نفسه واطاع حتي الموت موت الصليب » كما تصف الترنيمة علو الارتفاع الذي رفّعه إليه الله نتيجة ذلك. وهو أنه أعطاه « **اسماً فوق كل اسم** » أي الرتبة التي تفوق كل ما عداها، كما يَستشف من اللقب « رب » ولذلك «**تجثو** [للمسيح] **كل ركبة، ويعترف كل لسان أنه رب**» (٢ : ٩- ١١).

وكما كان الحال بالنسبة لرسالتي أفسس و كولوسي، هكذا أيضاً بالنسبة لرسالة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

فيلبي، فإن ربوبية يسوع الفائقة ليست محصورة في فكر لاهوتي من برج عاجي. بل إن بولس يكتب أيضاً عن تكريسه الشخصي نحو المسيح. وهو يقدم ما يشبه حساب الأرباح والخسائر. في جانب يضع كل شيء يمكن اعتباره ربحاً ـ سلسلة نسبه، والديه، تربيته وتعليمه، وثقافته العبرية، وحماسته الدينية، والبر الحرفي. وفي العمود الآخر يضع «المسيح». ثم يقوم بعملية حساب دقيقة، ويخلص منها إلى: «**لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي**» (٣: ٧ـ٨). وعلاوةً على ذلك فإن ربوبية المسيح نجدها ماثلة في حياته اليومية ـ في الفرح، وفي اللطف، في التحرر من القلق، وفي السلام الداخلي، في الحياة بفكر منضبط، وفي القناعة في كل الظروف (٤: ٤ـ١٣). لماذا؟ لأن «**الرب قريب**» (٤: ٥).

إن الإيمان بأن الرب يسوع قد رفعه الله الآب وأجلسه عن يمين العظمة في الأعالي، وفي نفس الوقت هو «قريب» يسود الرسائل التي كتبها بولس وهو فى السجن.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١١ـ الرسائل الرعوية

(تيموثاوس الأولى، تيطس، وتيموثاوس الثانية)

المسيح رأس الكنيسة

لقد ظلت صحة الرسائل الرعوية التي بعث بها بولس إلى تيموثاوس وتيطس موضع شك دائماً منذ أن رفضها ف. س. بوور من توبنجن سنة ١٨٣٥م. وفي ذات الوقت، فإنه أثناء النصف الثاني من القرن العشرين تجمع عدد كبير من المفكرين والمفسرين للدفاع عن صحة كتابة بولس لهذه الرسائل. وأولئك الذين مازالوا يرفضون أصالتها، تراهم دائماً متبجحين في تقييمهم للفكر اللاهوتي الذي تضمنته هذه الرسائل، أو بالأحرى (حسب رأيهم) افتقارها إليه. وعلى سبيل المثال أعلن ا.ت.هانسن «لايُوجد فيها بالمرة أي موضوع يوحدها بل نجد فيها، انطباعاً بوجود تنافر نسبي».

وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك آخرين ممن لهم رأي مختلف بشكل قاطع. وكان الشغل الشاغل لبولس في الرسائل الرعوية الثلاث معاً مُنصباً على الكنيسة. ذلك لأن المسيح «**بذل نفسه... لكي... يطهر لنفسه شعباً**» (تيطس ٢: ١٤). ومن ذلك يتضح أن بولس كان مهتماً بحياة الكنيسة المحلية، وعلى وجه الخصوص بمسئولية الكنيسة عن حفظ الحق وتعليمه. لأنه يصف الكنيسة بأنها «**عمود الحق وقاعدته**» (تيموثاوس الاولى ٣: ١٥)، وهي قاعدته لتحفظه راسخاً، وهي عمود لترفعه عالياً.

وفي تيموثاوس الأولي، يتحدث بولس عن التعليم الصحيح، والعبادة العامة، والمهام الإشرافية للرعاة، والقيادة المحلية، والمسئوليات الاجتماعية والممتلكات المادية ـ وهذه كلها لها أهميتها البالغة للكنيسة المحلية. وفي رسالته إلى تيطس، يوجهه بولس بالنسبة لكيفية اختيار الرعاة المعينين، وكيف يُراعي الواجب والتعليم في البيت وفي الحياة العامة. أما الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، فيبدو أنها كُتبت في السجن قبل إعدام بولس بوقت قصير،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ولعلها أكثر رسائل بولس جميعاً من ناحية الحميمية والمحبة، ولما كان يعرف أن موته قريب، فقد نصح تيموثاوس بألا يستحي من المسيح، بل أن يكون له ضمير حي في حياته وخدمته، وعليه في أوقات الشدة بأسفار العهد القديم، وبتعليم الرسول، وعليه أيضاً أن يكرز بالكلمة.

ولعل النص الذي يلخص الرسالة الرئيسية لهذه الرسائل الرعوية الثلاثة، هو ما جاء في (رسالة تيموثاوس الثانية ٢ : ٢) «**وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاءً أن يعلموا آخرين أيضاً**» وفيما يلي أربع مراحل لتسليم الحق.

أولاً: هناك بولس نفسه «رسول يسوع المسيح، الذي تتضح سلطته الرسولية في رسائله. وهو يشير المرة تلو الأخرى لما يسميه دون تميز «الحق»، «الإيمان»، «التعليم الصحيح»، «التعليم» أو «الوديعة». وما يُستشف من هذا بكل وضوح، هو أنه توجد مجموعة من التعاليم الرسولية كان يعلم بها.

ثانياً: هناك تيموثاوس وتيطس. وهما يقفان بين الرسول والكنيسة، بمعنى أنهما يمثلانه ويعتمدان على تعليمه للكنيسة. وأثناء غيابه شخصياً، فإن الرسول يفعّل سلطانه من خلال رسائله.

ولقد كتب بولس في رسالتي تيموثاوس الأولى وتيطس عشر مرات «علّم وعظ بهذا» «تكلم بهذه وعظ»، «عظ بكل أناة وتعليم». وكان عليهما أن ينقلا للآخرين هذه الحقائق الثمينة التي علمها لهما الرسول.

ثالثاً: هناك رعاة صادقون وجديرون بالثقة يجب أن يعيّنهم تيموثاوس وتيطس. وفي كل من تيموثاوس الأولى وتيطس، يضع بولس شروط الصلاحية التي يجب توافرها. وإلى جانب الشخصية المستقيمة والحياة العائلية، يحب أن يكونوا مخلصين لتعليم الرسل ويتمتعوا بموهبة التعليم (تيطس ١ : ١،٩، تيطس٣ : ٢).

رابعاً: هؤلاء الرعاة «يكونون أكفاءً أن يعلموا آخرين أيضاً». وهذه هي الخلافة الرسولية الصحيحة ـ نقل تعليم الرسل من جيل إلى جيل بواسطة العهد الجديد.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفي وقتنا الحالي الذي يُسمى «ما بعد الحداثة»، تلاشت الثقة الذاتية التي ميزت عصر التنوير، بل إن مفهوم «الحق» الموضوعي نفسه يقابل بالرفض، وكل ما تبقى ما هو إلا آراء شخصية وغير موضوعية بالمرة. ولذلك فإنه من المريح أن تستمع إلى الرسول بولس. فهو لم يقل عن نفسه فحسب إنه «... **رسول...لأجل... معرفة الحق الذي هو حسب التقوى**» (تيطس١ : ١) وهو يعرف الكنيسة في إطار علاقتها بالحق، لكنه يصف المعلمين الكذبة بأنهم «**بقاومون الحق**» (تيموثاوس الثانية٣ : ٨). وليس هناك ما هو ضروري لحياة الكنيسة وسلامتها ونموها أكثر من تعليم الحق بأمانة.

وهذا العرض السريع لرسائل بولس يوضح بشكل مقنع، ارتكازه على المسيح في إيمانه وحياته وخدمته. وقد استطاع أن يقول: «**لأن لي الحياة هي المسيح**»، **كما قال**: «**لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة**» (فيلبي٣ : ٧). وتتعامل كل رسالة أو كل مجموعة من الرسائل، مع أوضاع متباينة تسهم في تقديم صورة مركبَّة للمسيح ـ المحرر، الديان، المخلص، السيد الرب، رأس الكنيسة. وبولس لم يناقض نفسه. فثمة نسيج متنوع رائع تم نسجه في هذه اللوحة الجميلة للمسيح.

ثلاثة كتبة يهود آخرون

بعد أن تأملنا الرسائل الثلاث عشرة المنسوبة إلى بولس، نتحول الآن إلى الرسائل الأخرى المتبقية في العهد الجديد، وهي رسالة يعقوب، والرسالة إلى العبرانيين، ورسالتا بطرس (بما في ذلك رسالة يهوذا والتي تشابه إلى حد كبير جداً رسالة بطرس الثانية). لقد كان بولس رسول الأمم المعترف به (على سبيل المثال رومية ١٥ : ١٦، غلاطية ١ : ١٦، ٢ : ٧)، في حين أن الرسائل الثلاث التي سنتأمل الآن شهادتها للمسيح (يعقوب، العبرانيين، بطرس الأولى) قُصد بها، وبدرجات متفاوتة القراء اليهود.

وسأتناول أولاً رسالة يعقوب بسبب الخلاف المزعوم بينه وبين بولس.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٢ـ رسالة يعقوب

المسيح المعلم الأخلاقي

كان يعقوب هذا أحد إخوة الرب. و على الرغم من أنه لم يؤمن بالمسيح أثناء وجود المسيح على الأرض بالجسد، يبدو أنه آمن عقب أحد ظهورات المسيح بعد القيامة (مرقس٦ : ٣، يوحنا ٧ : ٥، كورنثوس الأولى١٥ : ١٧). وبعد ذلك أصبح القائد المعترف به لكنيسة أورشليم ولليهود المسيحيين (أعمال١٢ : ١٧، غلاطية١ : ١٨ـ١٩). كما ترأس مجمع أورشليم (أعمال١٥ : ١٣ـ ٢١)، وقد استمر على رأيه أنه على الرغم من أن الختان ليس ضرورياً بالنسبة للذين اعتنقوا المسيحية من الأمم، غير أنه يتوجب على المؤمنين اليهود الاستمرار في إظهار احترامهم العظيم لناموس هذا الطقس الموسوي (على سبيل المثال أع٢١ : ١٧ـ٢٦).

وأصبح يعقوب يُعرف باسم «يعقوب البار» بسبب تقواه وبره الشخصي. ومع نهاية القرن الثاني، ذُكر عن هيجيسيبوس أنه قال عن يعقوب: «كان من عادته دخوله الهيكل منفرداً، وكثيراً ما كانوا يجدونه راكعاً على ركبتيه يلتمس المغفرة لشعبه، لدرجة أن ركبتيه اكتسبتا صلابة، وأصبحتا مثل ركبتي الجمل، وذلك نتيجة ثنيهما بصفة مستمرة أثناء سجوده لله».

وعلى ذلك، فإنه ليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة، أنه بسبب ما كان عليه يعقوب البار من تقوى وورع، أن رسالته التي كانت موجهة إلى «**الاثني عشر سبطاً الذين في الشتات**» (١ : ١) كانت تركز على العيش عيشة ترضي الله. فما هي إذاً نوعية الشهادة التي شهد بها يعقوب ليسوع؟ سيجيب البعض قائلين «قليلة جداً». حقيقةً أن اسم يسوع لم يرد في هذه الرسالة إلا مرتين فقط، مرة في الآية الأولى التي عرَّف فيها يعقوب، نفسه بأنه «**عبد... الرب يسوع المسيح**»، والمرة الثانية عندما وصف المرسل اليهم بأن لهم «**إيمان ربنا يسوع**

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

المسيح رب المجد» (٢ : ١). كما أُشير اليهم أيضاً بأنهم يحملون «**الإسم الحسن**» الذي دُعي به عليهم (٢ : ٧)، وفي الثماني مرات أو أكثر التي ورد فيها إسم «الرب»، فإنها في الأغلب الأعم كان يُقصد بها يسوع (١ : ٧،٤ : ١٠و١٥، ٥ : ٧و٨و١٠و١١و١٥). ولكن يعقوب شهد ليسوع بصفة غير مباشرة طوال الرسالة. لأنه من بين أهم السمات المثيرة للرسالة، عدد المرات التي أشار فيها بشكل واضح إلى تعليم يسوع المسجل في موعظته على الجبل، كما لو كان هو حاضراً وسمعها بنفسه ـ وهو أمر ممكناً. ونرى في الرسالة ما لا يقل عن عشرين إشارة إلى الموعظة مثل وراثة الملكوت الموعود، وبركة صانعي السلام، والذين يتألمون من أجل البر، والذين يُرحمون، وموضوعات عن الثروة والفقر، وعدم التكلم على الآخرين بالشر، أو إدانتهم، والتحلي بالصبر حتى مجيء الرب. وعلى ذلك، فإنه لا جدال في أن يعقوب قدم يسوع في الأساس كمعلم أخلاقي.

ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التأكيد إلى التناقض الظاهر بينه وبين بولس. فقد علَّم بولس بأن إبراهيم لم يتبرر بالأعمال بل بالإيمان (رومية ٤ : ٢ـ ٣)، ولكن يعقوب يتساءل هنا «ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال» (٢ : ٢١). والاختلاف يبدو واضحاً، الأمر الذي جعل لوثر يرفض رسالة يعقوب واعتبرها مكونة من «قش». لكن العهد الجديد يقدم الرسولين على أن كلاً منهما يحترم الآخر. فقد رحّب يعقوب بإرسالية بولس إلى الأمم (غلاطية٢ : ٩)، وقبل بولس اهتمام يعقوب بمشاعر اليهود (أعمال١٥ : ١٢ـ٣٠، ٢١ : ١٧ـ٢٦).

ويبدو التناغم الطبيعي بينهما عندما نلاحظ أنهما كانا يردان على مواقف مختلفة، تحتاج إلى تأكيدات لاهوتية مختلفة. فقد كان بولس يكتب ضد من يضفون الطابع اليهودي، ممن كانوا يعلّمون أن التبرير يكون بأعمال الناموس، وكان يعقوب ضد أصحاب النزعة العقلانية الذين كانوا يعلّمون أن التبرير بالإيمان المستقيم العقيم المماثل لإيمان الشياطين (يعقوب ٢ : ١٩) لكن بالإيمان الحي الذي يثمر أعمال جيدة وهكذا فإن الرسولين كليهما علما نفس طريق الخلاص، وهو التبرير بالإيمان الذي يؤدي إلى أعمال صالحة. ولقد كتب بولس عن «**الإيمان العامل بالمحبة**» (غلاطية ٦ :٥)، وكتب يعقوب : «**وأنا أريك بأعمالي إيماني**» (١٨ :٢). ولكن بولس أكد على الإيمان الذي يظهر في أعمال صالحة، في حين أكد يعقوب على الأعمال التي تظهر الإيمان.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ولعل أفضل ملخص لاهتمامات يعقوب نجده في (١ : ٢٦ ـ٢٧) حيث ذكر أن الديانة الطاهرة النقية لها ثلاث سمات هي :

(١) أن يلجم المرء لسانه .

(٢) أن يفتقد اليتامى والأرامل في ضيقتهم .

(٣)حفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم . وهنا نجد واجبنا الأخلاقي الثلاثي، نحو أنفسنا، ونحو قريبنا، ونحو الله . وضبط اللسان دلالة على ضبط النفس . والعناية باليتامى والأرامل مثال لمحبة القريب . وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم هو الصورة السلبية لتقديم العبادة لله والجديرة باسمه . وبقية رسالة يعقوب تتناول هذا الموضوع الثلاثي بطرق مختلفة .

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٣ـ الرسالة إلى العبرانيين

المسيح رئيس كهنتنا الأعظم

جاءت الرسالة إلى العبرانيين خلواً من إسم كاتبها، ويتواصل الجدل حول من الذي كتبها. وعلى الرغم من أن هوية الكاتب غير معروفة بشكل أكيد، إلاَّ أن غرضه معروف. فقد كتب رسالته لكنيسة محلية من المسيحيين العبرانيين، لعلها في أورشليم أو على مقربة منها، لكي يحول بينهم وبين الارتداد، والذي يرجع في جزء منه إلى تعرضهم للاضطهاد (١٠ : ٣٢ـ ٣٩)، غير أن السبب الأكثر هو ارتباكهم من ناحية فكرهم اللاهوتي، فهم في خطر واضح يتمثل في الارتداد إلى اليهودية. ويأمل الكاتب في أن يثبتهم في المسيح بتوضيح حقيقته.

أما، وأن الكاتب كان مؤهلاً لإنجاز مهمته، فهذا واضح من معرفته الشاملة بالعهد القديم وبقصة يسوع. وقد ضمن رسالته ما يقرب من سبعين إشارة إلى العهد القديم وخمس وعشرين إشارة إلى قصة العهد الجديد. وكان مؤهلاً تماماً لأن يجادل بسمو العهد الجديد على العهد القديم، وهذا ليوضح أن الخمر الجديد فجر الزقوق العتيقة. وكانت حجته ثلاثية، وهي أن كهنوت المسيح، وذبيحته، وعهده على درجة من الكمال بحيث لا يمكن أن يحل مكانها أي شيء آخر.

وقبل الدخول في هذا الموضوع، فإن الكاتب قدمه بقول مقتضب، ولكنه رائع عن شخصية المسيح. وقد أعلن أن الله الذي كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة هو نفسه كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل الخليقة. أما بالنسبة لشخصه فهو «**بهاء مجده**» (مؤكداً أنه مشاركاً لطبيعة الآب) ورسم جوهره (مؤكداً تفرد شخصه). ويسوع المسيح الفريد هذا، الذي لم يُذكر اسمه في الرسالة بعد، فإنه بعدما صنع تطهيراً لخطايانا، جلس عن يمين الآب. وعلى هذا، فالذي هو أعظم من

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الأنبياء، هو نفسه أعظم من الملائكة أيضاً. وهذا «الابن» الممجد الذي ليس له نظير من ناحية عظمة شخصه وعمله، هو الذي أُعطي فيه الإعلان الإلهي الأخير.

وبعد هذه المقدمة، ينتقل الكاتب صوب موضوعه العظيم الأول، والذي هو سمو كهنوت المسيح. وهو يؤكد سمو المسيح عن موسى و هارون. والواقع أن كهنوته ليس هارونياً (لأنه ليس من نسل لاوي) بل «على نظام ملكي صادق». وملكي صادق كان شخصية غامضة في العهد القديم، كان قد بارك إبراهيم، وقد أُشير إلى كهنوته الأبدي في (مزمور ١١٠ : ٤). وكان يتم استبدال الكهنة اللاويين القدامى بصفة مستمرة لأن الموت كان يحول بينهم وبين الاستمرار في وظيفتهم، ولكن يسوع يحتفظ بكهنوته إلى الأبد لأنه حي إلى الأبد.

وبعد أن أكَّد بصفة قاطعة سمو كهنوت المسيح، ينتقل الكاتب إلى الإنجازات التي حققتها ذبيحته. ولأنه كان لابد أن يكون لدى الكاهن شيء يقدمه. إذاً، ما الذي كان لدى يسوع كي يقدمه؟ الإجابة هي «دمه»، أي، أن يبذل نفسه من خلال موته بطريقة رهيبة. وعلى ذلك، كان هو الذبيحة كما كان الكاهن أيضاً، ويشرح الكاتب سمو ذبيحته. وكان رئيس الكهنة فقط هو الذي يُسمح له بالدخول إلى قدس الأقداس، ولكن يسوع حصل لشعبه كله على ميزة الدخول إلى محضر الله. وكان رئيس الكهنة يدخل مرة واحدة كل سنة (في يوم الكفارة)، لكن المسيح كفل لنا الدخول المستمر. ولا يمكن أن يدخل رئيس الكهنة إلا بدم ذبيحة حيوانية، لكن يسوع دخل بدم نفسه. ولم تكن ذبائح العهد القديم تطهر إلا من النجاسة الطقسية، لكن يسوع حقق لنا مغفرة خطايانا. ولم يكن بوسع الشعب أن يبقى طاهراً إلاّ بواسطة تقديم الذبائح بشكل منتظم، لكن يسوع مات عنا مرة واحدة وإلى الأبد. ونقطة بنقطة، أوضح الكاتب كيف تحقق في المسيح كل ما عجزت طقوس العهد القديم أن تحققه.

أما الآن، فيقدم الكاتب موضوعه الرئيسي. وهو أن هذا الكاهن الفريد، ومن خلال ذبيحته الفريدة، أقام عهداً فريداً. وهذا العهد الجديد هو «**عهد أفضل**» (٧ :

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٢٢). لأنه قام على مواعيد أفضل (٨ :٦). وقد سبق أن ذكر الله هذه المواعيد على لسان إرميا (إرميا ٣١ : ٣١- ٣٤) وقد اقتبسها كاتب العبرانيين مرتين. فقد وعد الله بأن (١) يكتب نواميسه على قلوبنا. (٢) يعلن عن ذاته لكل منا شخصياً، (٣) أن يغفر لنا خطايانا، ولا يعود يتذكرها بعد. وهذه المواعيد الخاصة بالقداسة الداخلية، والمعرفة الشخصية لله، والمغفرة التامة للخطايا، قد تحققت بواسطة المسيح.

وإذا ما عرفنا حقيقة كهنوت المسيح، وذبيحته، وعهده، فإنه لن يكون بوسعنا التفكير في أي بديل، ولن تكون هناك أية حاجة إلى كهنة آخرين لتقديم التكفير بالذبائح. لأننا - من خلال رئيس كهنتنا الأعظم - أصبحنا نتمتع بالدخول مباشرة إلى الله، ولن تكون هناك أية حاجة إلى ذبائح أخرى للخطية، لأن خلاصنا قد تحقق بذبيحة المسيح الفريدة، وذبائحنا الآن هي ذبائح حمد وشكر. ولن تكون هناك حاجة لعهد آخر، لأن العهد الجديد هو العهد الأخير، وهو الأفضل و الأحسن، ولن يُستبدل على الإطلاق. وأبدية خلاصنا النهائي الكامل تملأ ذهن الكاتب. فالمسيح كاهن « إلى الأبد »، قدم ذبيحة واحدة من أجل مغفرة الخطايا مرة واحدة وإلى الأبد « وبهذا أقام «**عهداً أبدياً**». أقامه مع شعب الله، «**وخلاصاً أبدياً**» (٥ : ٩)، «**وفداءً أبدياً**» (٩ : ١٢)، «**وميراثاً أبدياً**» (٩ : ١٥).

لقد كان هؤلاء المسيحيون العبرانيون معرضين لخطر الارتداد. فقد كانوا يعانون من اضطهاد وحشي، وحجج خادعة، وكانوا مزعزعين في إيمانهم المسيحي، ويفكرون في الارتداد إلى اليهودية. ولو فهموا فحسب حقيقة يسوع المسيح المطلقة، لا يمكن في هذه الحالة أن يرتدوا.

وإذ اختتم تفسيره لهذا الشخص الفريد (المسيح) وعمله وعهده، يواصل كاتبنا تقديم هذه النصيحة.

«فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع... وكاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أجسادنا بماء نقي. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة...» (١٠ : ١٩-٢٤).

ومن الصعب ألا ننتبه إلى إشارة الكاتب إلى الثالوث المسيحي الشهير، الإيمان والرجاء والمحبة. ويبدو أن بقية الرسالة تتوسع في هذا. ومن المؤكد أن الإصحاح (١١) يركز على الإيمان، حيث عرَّفه **أولاً**: ثم استعرض أمامنا بعضاً من أبطال الإيمان العظماء في العهد القديم. ولكنهم كانوا أناساً يتحلون بالرجاء والإيمان أيضاً لأن «**الإيمان هو الثقة بما يرجى**» (١١ : ١). وبعض المواعيد ورثوها أثناء حياتهم، ومع ذلك، وبمعنى آخر فإنهم «**لم ينالوا الموعد**» (١١ :٣٩) لأنه كانت هناك أعماق لمواعيد الله هذه لا يمكن وراثتها إلاّ في العالم الآتي. ومن هنا كانت الحاجة إلى الرجاء، وإلى قبول النظام الإلهي، فيما ننتظر بصبر تحقيق المواعيد.

أما الإصحاح ١٣، فيعرض بإيجاز لجوانب من المحبة المتبادلة في العائلة المسيحية، وكيف ينبغي علينا أن نستضيف الغرباء، وأن نتذكر المسجونين، وأن نحترم الزواج، وأن نفضل القناعة على اشتهاء ما للغير، وأن نحترم قادتنا المسيحيين، وأن نذهب إلى المسيح **خارج المحلة حاملين العار الذي احتمله** (١٣ : ١٣).

هذه المميزات والالتزامات المسيحية، وعلى وجه الخصوص الدخول إلى الله بالإيمان، والتحمل في إطار الرجاء، والمحبة الأخوية في عائلة الكنيسة، هذه كلها جاءت وليدة الحقيقة العظيمة التي جاهد الكاتب لتأكيدها، ألا وهي، التفرد المطلق للرب يسوع المسيح باعتباره المخلص الوحيد الذي ليس بأحد غيره الخلاص.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٤ـ رسالتا بطرس الأولى والثانية

المسيح المتألم المثالي

قد تكون مفاجأة إنه كان يجب أن أضع بطرس تحت عنوان «كتاب يهود»، بالنظر إلى أنه على يديه تجدد كرنيليوس الذي هو أول شخص من الأمم يعتنق المسيحية (أعمال ١٠). لكن بطرس أؤتُمن «**على إنجيل الختان**» (غلاطية٢ : ٧)، ويبدو جلياً أنه في رسالته الأولى، كان يضع في ذهنه أنه كان في الأساس يخاطب قراءً من اليهود (ولو أن ذلك ليس على سبيل الحصر). وقد أشار إليهم بأنهم في «الشتات» في خمس مقاطعات في آسيا الصغرى. كما أشار إلى الأمميين كجماعة منفصلة (٢ : ١٢، ٤ : ٣). كذلك كانت مفردات لغته بها ايحاءات بشكل مماثل وهو يشير ـ على سبيل المثال ـ إلى «**ميراثنا**» (١ : ٤)، والدعوة إلى أن يكونوا قديسين (١ : ٦ـ٧)، ودم المسيح كما أنه من حمل بلا عيب ولا دنس (١ : ٢و١٩). كما كانت اقتباساته من الأسفار الخمسة، والمزامير، والأمثال، والأنبياء، تشير إلى أنه كان على معرفة تامة بالعهد القديم.

وتسبحة بطرس الافتتاحية تمتدح الله الذي ولدنا ثانيةً لرجاء حي بقيامة المسيح من الأموات (١ :٣). وهذا الرجاء الحي كان يقوينا ـ على الرغم من المقاومة الشرسة للمسيحيين.

وعلى الرغم من أن بطرس تناول موضوعات أخرى كثيرة في رسالته الأولى، إلا أن ما ركز عليه بالدرجة الأولى، كان السلوك المسيحي في مواجهة الاضطهاد. وقد وردت كلمة «يتألم» «وآلام» سبع مرات في علاقتها بالمسيح، وتسع مرات بالنسبة للمسيحيين. وعلى قدر ما نعرف، فإنه حتى ذلك الحين لم يكن قد صدر مرسوم حكومي بتحريم المسيحية ونفي المسيحيين.

وعلى الرغم من ذلك، فإن المقاومة التي كان قرَّاء بطرس يختبرونها كانت على

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أشدها (٤ : ١٢)، وكانت على نطاق واسع (٥ : ٩). ويبدو أن سحب العاصفة لاضطهاد أشد خطورة وبشكل منظم، كانت تجعل الأفق مكفهرًّا. حيث بدأت بالفعل اضطهادات محلية التي تقع عليهم. فكيف يتصرف المسيحيون إزاء هذه الظروف؟ ما هو الموقف المسيحي بالنسبة للآلام بدون مبرر؟ كان على المسيحيين ألا يلجأوا إلى الانتقام، وهذا الأمر كان واضحاً. ولكن بطرس ذهب إلى أبعد من ذلك. وتتضمن رسالته الأولى ست فقرات عن الألم، وكل منها تتضمن نصيحة مختلفة، وكل منها توجّه قراءه نحو المسيح.

● (بطرس الأولى ١ : ٦ - ٧) وكان عليهم وهم يعانون من تجارب متنوعة، أن يتذكروا أن تحمل التجارب يقوي إيمانهم وينقيه كما تفعل النار بالذهب. وهذا سيؤدى إلى مجد الله عند استعلان يسوع المسيح.

● (بطرس الأولى ٢ : ١٨- ٢٥) هذه الفقرة تخص بصفة أساسية العبيد المسيحيين الذين يتسم سادتهم بالصرامة والشدة، فعليهم أن يتحملوا الألم الناجم عن الظلم. لماذا؟ لأن الصبر جزء من الدعوة المسيحية. وقد ترك لهم المسيح مثالاً في عدم الأخذ بالثأر، حتى يتبعوا خطواته.

● (بطرس الأولى ٣ : ٨ - ١٨). عندما يتألم المسيحيون من أجل البر، عليهم ألا يخافوا، وعليهم أن يضعوا المسيح رباً في قلوبهم، وأن يكونوا مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألهم عن سبب الرجاء الذي فيهم. فالآلام تتيح الفرص للشهادة.

● (بطرس الأولى ٤ : ١- ٦) يؤكد بطرس هنا على الطبيعة البدنية للاضطهاد. إنها آلام في «الجسد». وهي من أجل يسوع، وقد تكون من أجلنا. إذاً، لنتذكر أن «**من تألم في الجسد كَفّ عن الخطية**». وبالنظر إلى أن الآلام تطهرنا، فمن ثم، يجب أن نرحب بها.

● (بطرس الأولى ٤ : ١٢- ١٩). وعلينا ألاَّ نستغرب إذا واجهتنا تجارب أليمة، كما

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

لو أن شيئاً غريباً قد أصابنا، بل بالأحرى نبتهج لأن الآلام تتيح لنا فرصة المشاركة في آلام المسيح، ومن ثم نشارك في مجده (أنظر٤: ١٣، ١: ١١، ٥: ١، لوقا٢٤: ٢٥-٢٦).

● (بطرس الأولى ٥: ١٠-١١). يجب أن نتذكر أننا دُعينا إلى مجد الله الأبدي في المسيح، أما وأن نتألم قليلاً فهذا أمر ضروري في البداية لأن الألم هو الطريق إلى المجد، كما أن الموت هو الطريق إلى الحياة.

والمجد الآتي هو الموضوع الرئيسي في رسالة بطرس الثانية، والتي مازال بعض الدارسين يدافعون عن أصالتها. وهو في الإصحاح الثاني يصف المعلمين الكذبة بعبارات مثيرة ويحذر بأن دينونة الله ستحل بهم. ويجادل بطرس في الإصحاح الثالث مع المستهزئين حول يقينية المجيء الثاني للمسيح (الآيات ٣-٧)، ثم يعزو التأخير إلى رحمة الله (الآيات ٨-١٠)، ولكن يوم الرب سيأتي ويبدأ سموات جديدة وأرضاً جديدة.

فأي أناس يجب أن نكون ونحن ننتظر مجيء الرب (الآية ١١)؟ علينا أن نبذل كل جهد لكي «**نُوجد عنده بلا دنس ولا عيب في سلام**» (الآية ١٤) وأن نأخذ حذرنا من المعلمين الكذبة (الآية ١٧) وأن ننمو «**في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح**» (الآية ١٨).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خاتمة: تنوع في وحدة

هذا العرض المختصر لأسفار العهد الجديد (باستثناء سفر الرؤيا الذي سنتأمله في الجزء الرابع) كان كافياً لبيان تنوعه. فالعهد الجديد متنوع من حيث كتبته (اشترك في كتابته تسعة كتبة على الأقل) وفي أشكاله الأدبية (إنجيل، أخبار، رسالة، خطاب، كتابة رؤيوية)، وفي الموضوعات التي تم تناولها طبقاً لاحتياجات الكنائس المحلية، وفي تأكيداتها اللاهوتية، وفي تقديمها ليسوع.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا العهد الجديد نفسه يعلن وحدة الرسالة. نفس إنجيل المسيح - على أساس ما يقوله بولس - كرز به جميع الرسل وآمنت به كل الكنائس (كورنثوس الاولى ١٥: ١١). كذلك «**جسد واحد وروح واحد... رجاء واحد... رب واحد... إيمان واحد... معمودية واحدة. إله وأب واحد للكل**» (أفسس ٤: ٤-٦). ثم إن ما يُطلق عليها «حركة الفكر اللاهوتي الكتابي» والتي كان لها شأنها في أوربا أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، كانت تؤكد هذا. على سبيل المثال، كتب أ.م. هنتر في بريطانيا، «هناك اعتراف متزايد بالوحدة الجوهرية للعهد الجديد وتآلف عناصره ووحدتها، وهي وحدة سمت فوق كافة الاختلافات وسيطرت عليها».

وثمة كتاب آخر له تأثيره من نفس الحقبة وهو كتاب «لغز العهد الجديد» «The riddle of the New Testament». تأليف «أدوين هسكنز» و«نويل دافي» - ركز اهتمامه على العلاقة «بين شخصية يسوع التاريخية وإيمان الكنيسة المتقد حماسةً. وبعد فحص الدليل بكل عناية، انتهى «هسكنز» و«دافي» إلى أن مادة العهد الجديد المختلفة تركز كلها، وتأخذ أصلها من حدث تاريخي واحد ومنفرد وقائم بذاته وهو «حياة يسوع وموته».

غير أنه أثناء السنوات الأخيرة من القرن العشرين اتجه بندول الساعة إلى الاتجاه العكسي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

نحو التأكيد على التنوع في العهد الجديد. وكان هذا رد فعل جزئي ضد التناغمات المفتعلة، على الرغم من أنه أظهر أيضاً أن بعض دارسي العهد الجديد قد انتابهم ما أطلق عليه أوسكار كولمان «سرور يكاد يكون سادياً» لدى عثورهم على تناقضات ظاهرة. وقد قيل لنا إنه لا يوجد الآن شيء يُطلق عليه «فكراً لاهوتياً كتابياً»، فلا يوجد سوى عدد من «الأفكار اللاهوتية» المتنافرة. وتحولت أسماء الرسل إلى صفات، فكتب المختصون عن وجهة نظر «لوقية» نسبة إلى لوقا أو «بولسية» نسبةً إلى بولس بالنسبة لتعليم ما، أو وضع «بطرسي»، أو «يوحنّي» كما لو كانت على سبيل الحصر. ومن أكثر النقاد البارزين الذين ينتقدون محاولات توحيد شهادة العهد الجديد، هو البروفيسير «چيمى دن» من جامعة دورهام، فقد ذكر في كتابه «الوحدة والاختلاف في العهد الجديد. بحث في طبيعة المسيحية الأولى»، إنه لا يوجد مفهوم متسق من الرأي المستقيم في المسيحية الأولى، فلا يوجد إنجيل واحد. ويواصل كلامه قائلاً: يُوجد على الأقل أربعة أناجيل، واحد ليوحنا، وآخر للأناجيل المتشابهة (السينوبتية) واثنان آخران في سفر الأعمال، وكتابات بولس. «وأية محاولة لإيجاد إعلان موحد عن المسيح (Kerygma) لابد وأن يكون مصيرها الفشل». وفي ذات الوقت يسلّم البروفسيور دن بأنه يوجد «عنصر موحد» في العهد الجديد، وهو على وجه التحديد «الوحدة بين يسوع التاريخي، والمسيح الذي رُفع إلى المجد». غير أنه على ضوء كتابه كله، فإن هذا ينزل به إلى أدنى مستوى، بل ويتسم بالتقليل المتعمد.

كيف ينبغي علينا الرد على هذا؟ يجب أن نتفق بشكل جازم على أنه ليس لنا الحق في استغلال نصوص كتابية لإيجاد تناغم مصطنع، ولا ينبغي أن نحاول إزالة التناقضات الظاهرة، وأنه يتوجب علينا أن نتيح لكل كاتب من كتبة العهد الجديد أن يقول ما يقوله فعلاً. وحين نفعل ذلك، ستظل التوترات باقية. لكننا رأينا أيضاً فيما سبق أن الأناجيل الأربعة تكمل بعضها بعضاً، ولا يناقض أى منها الآخر. بل وليس ثمة تناقض بين يسوع وبولس. بل إن رسائل بولس الثلاث عشرة ليست متناقضة. وليس هناك تنافر بين الكتب التي تغلب عليها الصيغة اليهودية (رسالة يعقوب، والعبرانيين،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وبطرس الأولى). بل، وحتى بولس ويعقوب لا يكرزان بإنجيل مختلف. وهناك وحدة بين جميع كتبة العهد الجديد ـ كما يقول شارلى موول: في « تأملات في شخص يسوع المسيح » أن « يسوع التاريخي المعترف به الآن هو الرب المتسامي ».

أما الأسقف ستيفن نيبل فإنه في كتابه الذي جدده دكتور ن. ت. رايت والذي عنوانه « تفسير العهد الجديد » ١٨٦١-١٩٨٦، جمع بين ما فيه من عناصر الوحدة، وعناصر الاختلاف. «الأمور المتعلقة بيسوع المسيح أعظم بكثير جداً من أن تُحصر في تفسير واحد، وواحد فقط». ولذلك جمعت الكنيسة فى أسفار العهد الجديد القانونية الكثير من اتجاهات التقليد والتفسير المختلفة.. والأمر الرائع بالنسبة لكافة هذه التقاليد هو وحدتها، ذلك أنها تتعلق جميعها بحدث واحد، والذي لابد وأنه كان مذهلاً للغاية، وبشخص واحد لابد وأنه لم يكن مثل أي شخص آخر عاش في هذا العالم.

ونعود للقول إنه من وجهة نظر الكثيرين من المفسرين الأكفاء فيَ أيامنا هذه، أن كافة ما جاء في التقليد المسيحي الذي يتضمنه العهد الجديد يشهد بإجماع فريد لشخص تاريخي واحد، لا يشبه أي شخص آخر عرفته البشرية.... «فمبدأ الوحدة موجود في الأصالة الغالبة، والقوة الروحية ليسوع الناصري.

ونحن في جيلنا، ليس بوسعنا سوى أن نصادق ـ اعتماداً على قناعتنا واختبارنا ـ على شهادة العهد الجديد للمسيح. والشهادة تتسم بأنها **متحدة ومتنوعة** بدرجة هائلة في الوقت نفسه. ولكن هذا هو ما كان ينبغي لنا توقعه إذا ما كنا على قناعة بازدواجية تأليفه، وأعني بهذا أنه (العهد الجديد) هو كلمة الله التي تم التعبير عنها من خلال كلمات بشرية بكلمات بشرية. ثم إن وحدة الشهادة راجعة إلى الفكر الإلهي الواحد الذي جاءت منه، أما تنوعها فمردها العقول البشرية الكثيرة التي نطقته. ونحن نجل يسوع الحقيقي، يسوع الذي شهد له العهد الجديد، الذي هو المسيح الذي ليس له مثيل.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الجزء الثاني

يسوع

(كما قدمته الكنيسة)

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مقدمة : «يسوع آخر»

ستبدو فكرة يسوع «كما قدمته الكنيسة» فكرة غريبة عند سماعها لأول مرة. فهل كان يسوع شخصاً «كنسيا»؟ وهل كانت الكنيسة تحتكره بطريقة ما؟ كلا. إن ما أركز عليه في هذا الجزء هو بالأحرى الطرق التي قدمته بها الكنيسة عبر الأجيال، ومن المؤسف أنها كثيراً ما جعلته أسير تقاليدها وتحيزاتها.

تأمل التوبيخ الذي وجهه الرسول بولس لمسيحيي كورنثوس المتهاونين: «**ولكنني أخاف أن.... تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح، فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به... فحسناً كنتم تحتملون**» (كورنثوس الثانية ١١ : ٣-٤).

«يسوع آخر». هذا التعبير نفسه تعبير استفزازي وغير مقبول، لأنه لا يُوجد سوى يسوع حقيقي واحد، وهو يسوع الذي بحسب الشهادة الرسولية في العهد الجديد، ولا يوجد يسوع آخر. وهكذا أيضاً، لا يُوجد سوى «**رب واحد**» كما أنه لا يوجد سوى «**إيمان واحد**»، «**رجاء واحد**»، «**معمودية واحدة**» (أفسس٤ : ٥). ثم إنه على الرغم من وجود ما يزعم بأنها «**آلهة كثيرون**»، «**وأرباب كثيرون**» تطالب ولاء الناس. «**لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن له**» (كورنثوس الاولى ٨ : ٥-٦).

وبرغم ذلك، فالحقيقة هي أنه عبر قرون من الحقبة المسيحية، ظهر في أسواق العالم الدينية «مئات» ممن يدَّعي كل منهم بأنه يسوع. والبعض منهم يرددون صدى الثقافة المعاصرة، وذلك من خلال استخدام آيات الكتاب المقدس بطريقة تخدم أغراضهم. وهناك آخرون يخلصون للكتاب المقدس، غير أنهم غرباء عن الثقافة السائدة. وبرغم ذلك، فإن آخرين، وبدرجات مختلفة، ينجحون في الانتماء إلى الكتاب المقدس والثقافة معاً. وعلى العكس شهادة العهد الجديد، المتنوعة والمتحدة في ذات الوقت،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

«بالرب الواحد»، فقد أظهرت الكنيسة براعة عظيمة في تبني وتشكيل وتقديم صورها الخاصة عن المسيح.

وكما كان الحال في الجزء الأول من هذا الكتاب، حاولت أن أقدم فكرة عامة عن العهد الجديد في شهادته المتنوعة ليسوع الواحد، هكذا سأحاول في الجزء الثاني أيضاً أن أعرض فكرة عامة عن تاريخ الكنيسة في شهادتها المذهلة المتعددة الجوانب.

ويُلاحظ أنه ليس من السهل إلقاء نظرة عامة على تاريخ الكنيسة مثلما كان عليه الحال بالنسبة للعهد الجديد، وذلك بسبب أن قصة الكنيسة على مدى ألفي سنة تضمنت تشكيلة متنوعة وكبيرة جداً من الأشخاص والأحداث بحيث يصعب تضمينها كلها. وكل ما استطعت عمله هو أن أختار إثني عشر مثالاً تبين كيفية تقديم الكنائس وقادتها ليسوع عبر الأجيال.

وقد يتساءل القراء عن الأساس الذي استندت إليه في اختياري، لأنه قد يبدو للبعض أنه جاء بشكل عشوائي. وردي على هذا هو، أنه بالنظر إلى أن عمل عرض شامل ليس ممكناً، فقد حاولت أن أجمع بعضاً من الحركات الفكرية الرئيسية في الكنيسة وممثليها.

ونبدأ في القرن الميلادي الثاني، بعد الفترة الرسولية مباشرة. ومن بين معتقدات الكنيسة الأولى الراسخة في تلك الآونة أنه مع يسوع قد بدأ شيء جديد ورائع. حيث افتتح ملكوت الله وبدأ العهد الجديد. وكانت أقواله الأولى المسجلة حين بدأ خدمته الجمهورية: «**قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله**» (مرقس ١: ١٥). وعلى غرار ذلك كتب بولس: «**ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه...**» (غلاطية ٤: ٤)، وبمعنى آخر، لم تكن البداية الجديدة جديدة لأنه قد سبق التنبؤ والوعد بها لمدة قرون. وما حدث كان تحقيقاً لوعد، ولذلك كانت هناك استمرارية حيوية بين ما أُطلق عليهما العهد القديم والعهد الجديد.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١- المسيح الذي تحققت فيه جميع النبوات

يوستينوس الشهيد Justin Martyr

الأنبياء والفلاسفة

ربما كان يوستين الشهيد (١٠٠-١٦٥ تقريباً) هو أب الكنيسة الذي عبّر بقوة عن تحقق النبوات في شخص يسوع. وقد وُلد يوستين لأبوين وثنيين في السامرة. وإذ كان يتمتع بعقل ناضج قبل الأوان، فقد بدأ بحثه عن الحق أثناء صباه. وقد تعمق في دراسة فلسفات الرواقيين، أرسطو، فيثاغورس، وأفلاطون. وذات يوم، فيما كان بحسب التدبير الإلهي، على مقربة من البحر في أفسس، إذا به يتقابل مع رجل عجوز علمه عن أنبياء العهد القديم، وأيضاً عن المسيح.

وبعد اعتناقه للإيمان المسيحي، استمر يرتدي رداء الفيلسوف. وكان يسافر سيراً على الأقدام إلى عدد من المدن الكبيرة ليقوم فيها بالتدريس، وأسس مدرسة مسيحية في روما.

وأصبح يوستين من أعظم الآباء المسيحيين المدافعين في القرن الثاني. وقد صمم على التوفيق بين الإيمان والعقل، وإيجاد تناغم بين الكتاب المقدس العبري والفلسفة اليونانية، والدفاع عن المسيحية ضد تقديمها بشكل سيء وتشويه سمعتها. وقد وجَّه كتابه الدفاعي الأول إلى الامبراطور أنطونيوس بيوس، وإلى ابنه بالتبني وخليفته، ماركوس أورسيليوس. أما كتابه الدفاعي الثاني والذي وجهه إلى مجلس الشيوخ الروماني، فقد كان ملحقاً موجزاً بكتابه الأول. والذي حفزه على كتابته هو الاضطهاد الظالم الذي وقع على المسيحيين. أما كتاب يوستين الثالث وهو الأكبر حجماً، فهو كتاب «حوار مع تريفو اليهودي» والذي كان رابياً عالي الثقافة. وقد وُصف هذا الكتاب بأنه «أول

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تفسير مستفيض لأسباب اعتبار يسوع المسيح أنه المسيا الذي تحدث عنه العهد القديم، وكان يُعد المحاولة النظامية الأولى لبيان وضع اليهود الزائف بالنسبة للمسيحية. وبكل كياسة وصبر شهد يوستين للمسيح الذي تحدثت عنه كل نبوات الكتاب المقدس، على الرغم من أنه كان يلجأ أحياناً إلى تشبيهات مجازية خيالية، وكان يكرز بإنجيل المسيح المصلوب والمقام. وقد اختتمه بمناشدة مثيرة وجهها لتريفو وأصحابه يدعوهم فيها إلى الإيمان بالمسيح: «لا تقولوا شراً يا إخوتي ضد ذاك الذي صُلب.. وصعد، وعلى ذلك لا تسخروا من ابن الله». وفي عام ١٦٥م تقريباً، اتُّهم يوستين بأنه مسيحي، ويرفض تقديم الذبائح للآلهة، وذهب ليموت شهيداً في هدوء وشجاعة.

«**يسوع المسيح الذي تمت فيه جميع النبوات**»، هي العبارة التي أقترحها كموجز لفكر يوستين اللاهوتي. وفي كتابه الدفاعي الأول، استخدم الكثير من نبوات العهد القديم (مع إعجابه على وجه الخصوص، بموسى والمزامير وإشعياء) والتي كانت تشير إلى المسيح. ومعرفته بالعهد القديم كانت تُعد أمراً عجيباً. لكنه كان يعتقد أيضاً بأن المسيحية - إلى حد ما على الأقل - تُعد تجسيداً لكل ما هو أفضل في الفلسفة اليونانية. ولذلك، فعلى الرغم من أنه أصبح مسيحياً وتبرأ من الوثنية، غير أنه لم يفعل ذلك بالنسبة للفلسفة. فكيف تأتى إذاً أن يعرف الفلاسفة الحقائق التي يعرفونها، فى رأي يوستين إن ذلك مرده، كما ادَّعى، أن أفلاطون أخذ عن موسى والأنبياء. غير أن ما قد حدث أيضاً هو أن الكلمة الإلهية (Logos) الذي كان في العالم من البداية والذي تجسد في يسوع المسيح، كان قد انتشر بواسطة الزارع الإلهي في كل مكان. وهكذا، فإنه يبدو أنه كانت هناك بذور من الحق بين كافة البشر. وعلى سبيل المثال، كان تعليم الرواقيين الأخلاقي يلقى الإعجاب «بحساب» Logos spermatikos (البذرة العقلانية أو بذرة العقل المغروسة في كل جنس البشر). وهذا ينطبق على كافة الفلاسفة. لأن جميع الكتبة استطاعوا أن يروا الحقائق، ولو في إطار من الغموض من خلال البذرة المغروسة فيهم.. وبناءً على ذلك، «فإن أولئك الذين كانوا يعيشون طبقاً للعقل هم مسيحيون، على الرغم من وصفهم بأنهم ملحدون [في علاقتهم بالآلهة الوثنية]، كما

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

هو الحال بالنسبة لليونانيين السقراطيين، والبرابرة [أي غير اليونانيين]، مثل إبراهيم .... إيليا .... وآخرين كثيرين»، لأن «كل الذين كانوا يعيشون حسب العقل، والذين يعيشون هكذا هم الآن مسيحيون...»، أي مسيحيون قبل المسيح.

وهكذا فإن الأنبياء والفلاسفة شهدوا للمسيح، ولو بدرجات مختلفة، وما كتبوه تحقق في المسيح. وليس بوسع المرء إلا أن يعجب للغاية لاتساع رؤية يوستين، ولإصراره على أن ينسب للمسيح كل ما هو حق، حيثما يُوجد، ولروحه السمحة الكريمة.

ولعله أمر يفتقر إلى اللياقة والكرم من جانبي، أن أُضيف أنني كنت أتمنى لو أنه وضع أساساً كتابياً أكثر وضوحاً لموضوعه. وإشارته إلى Logos (الكلمة أو العقل) كانت ستؤدي به في الواقع إلى مقدمه إنجيل يوحنا. لأن ما جاء في (يوحنا ١: ٩) يبدو أنه يوجز اعتقاد يوستين: «**كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم**»، بمعنى أنه قبل أن «يأتي» بالتجسد كان «آتياً»، ومازال آتياً، ينير كل إنسان. وهذا لم يكن نوراً مخلصاً (كما اعتقد يوستين)، ومع ذلك فهو نور. ولذلك كل ما هو جميل وصالح وحق، أينما وُجد، يرجع أصله إلى Logos «النور الحقيقي» يسوع المسيح.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٢ـ المسيح الفريد «الله ـ الإنسان»

المجامع الأولى

أهمية التعليم الخاص بالمسيح وحياته وأعماله ورسالته

أكد يوستين الشهيد أن العهد الجديد متواصل مع العهد القديم، وعلى ذلك فالإنجيل ليس بدعة. وعلى العكس من ذلك، فقد تحققت في المسيح كل نبوات العهد القديم والفلسفة.

ولكن كان كثيرون في حاجة إلى أن يفهموا يسوع الناصري لذلك انهمك قادة الكنيسة في مناقشات جادة تدور حول شخص وطبيعة المسيح.

وجاء التقدم نحو اتفاق من خلال ما أصبح يُعرف بالمجامع المسكونية الأربعة الأولى. ولعله من الأفضل أن ننظر إليها في إطار كل مجمعين معاً. وهكذا فإن مجمع نيقية (٣٢٥م) توصل إلى حقيقة أن يسوع إله حقاً، في حين أن مجمع القسطنطينية (٣٨١م) توصل إلى أن يسوع إنسان حقاً. وبعد ذلك، جاء مجمع أفسس (٤٣١م) ليؤكد أنه على الرغم من أن يسوع إله وإنسان، إلا أنه شخص واحد فقط، في حين أن مجمع خلقيدونية (٤٥١) توصل إلى أنه على الرغم من أنه شخص واحد، إلا أن له طبيعتين، فهو إله وإنسان.

وكان تطوراً معقداً، كثيراً ما كانت تشوبه وبشكل غير ملائم، عوامل الغضب، والغيرة والحقد، والمكائد السياسية ـ غير أنه بوسع المرء في الوقت ذاته أن يستشف العمل الدؤوب للروح القدس، الذي كان يعطي الكنيسة القدرة على أن تفهم كل ما يخص المسيح على نحو سليم.

أولاً: جاء مجمع نيقية (٣٢٥م). والذي جاء انعقاده نتيجةللتعليم الذي نادى به آريوس. فقد قال إن المسيح لم يكن إلهاً، على الرغم من أنه أول خلائق الله وأعظمهم. وهو ليس أزلياً، لأن له بداية «حيث جاء وقت لم يكن له وجود»، بل إنه جاء إلى الكون من العدم. ولذلك دعا الامبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع لتعزيز الوحدة والسلام في الإمبراطورية. وقد حضر المجمع أكثر من مائتي أسقف، معظمهم من الشرق، وكثيرون

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

كانوا قد فقدوا بعض أطرافهم أو شُوّهوا أوبهم ندبات من إثر جروح بالغة أصابتهم نتيجة ما واجهوه من اضطهاد. وقد أدان المجمع أريوس، وأصدر قانوناً للإيمان عن مجمع نيقية (وهو يختلف عن قانون الإيمان النيقوي) ويؤكد أن ربنا يسوع المسيح «مولود غير مخلوق» واحد مع الآب في الجوهر. (homoousios). وعلى الرغم من أن بعض الأساقفة ترددوا بالنسبة لهذا التعبير، لأنه ليس كتابياً إلا أن الغالبية قبلته، وحقق المجلس انتصاراً مشهوداً بالنسبة لحقيقة أن يسوع إله كامل.

ثانياً: مجمع القسطنطينية (٣٨١م) دعا إليه الإمبراطور ثيودسيوس. وكان السبب في انعقاد هذا المجمع هو التعليم الذي نادى به أبوللينياريوس الذي أنكر أن المسيح كان لديه عقل بشري أو روح. وكما تم التأكيد من قبل ضد أريوس أن يسوع هو إله كامل، أكد هذا المجمع أيضاً ضد أبوللينياريوس بأنه كان إنسان كاملاً. ولكن كيف يمكنه في هذه الحالة أن يكون شخصاً واحداً؟ كان هذا هو السؤال التالي.

ثالثاً: مجمع أفسس (٤٣١م). وقد عُقد للنظر في تعليم نسطور أسقف القسطنطينية. وقد اُتهم نسطور بأنه يقسم المسيح إلى شخصين، هما الله الكلمة، ويسوع الإنسان و للنظر في إعلانه بأن يسوع كانسان كان يسكن فيه الروح القدس. وقد عارضه في ذلك كيرلس السكندري الذي أصر على التجسد (للتفرقة بينه وبين سكنى الروح القدس). فالكلمة حقاً صار جسداً حيث اتحد تماماً بطبيعته البشرية.

رابعاً: مجمع خلقيدونية (٤٥١)، وقد حضره ما يقرب من خمسمائة أسقف، وقد عُقد للتصدي لتعليم أفتيخوس Eutyckes الذي دمج بين إنسانية يسوع وألوهيته، وأنه أصبح له طبيعة واحدة، هي الطبيعة الإلهية. والذين أيدوا الطبيعة الواحدة للمسيح هم أعضاء الكنيسة القبطية الأرثوذوكسية، والكنيسة الحبشية الأرثوذوكسية[1]. وقد عارضهم في

(١) اجتمع ممثلي الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس الغربية في ڤينا عام ١٩٧١ لمناقشة الخلاف الذي حدث في مجمع خلقيدونية وأصدروا البيان الملحق لهذا الكتاب.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ذلك البابا ليو الكبير، الذي كان أسقفاً لروما (٤٤٠-٤٦١م) حيث قُرئت . فقرته الشهيرة، التي دحض فيها أفتيخوس، على المجمع وتمت الموافقة عليها . وأصدر المجمع ما أُطلق عليه « تعريف خلقيدوني »، والذي أكد على أنه برغم أن يسوع شخص واحد إلا أن له طبيعتين واضحتين . التعريف يتضمن التالي :

« نحن نعترف بصوت واحد أن الابن الواحد الوحيد ربنا يسوع المسيح إله كامل وإنسان كامل، إله حقيقي وإنسان حقيقي وهو واحد مع الآب في الجوهر « homoousios »، وكذلك واحد معنا في الجوهر (homoousios) كإنسان . . . وقد وُلد من الآب قبل كل الدهور، لكنه في هذه الأيام الأخيرة ومن أجل خلاصنا وُلد من مريم العذراء . . هذا المسيح الواحد الوحيد، يُعرف بأن له طبيعتين دون اختلاط أو تغيير أو انقسام أو انفصال . . »

ويمتعض بعض المسيحيين اليوم مما يبدو لهم جدلاً حول كلمات . ولكن يجب توضيح عدة نقاط للرد عليهم .

أولاً : كان آباء الكنيسة ـ الذين لم يتلوثوا مثلنا بثقافة ما بعد الحداثة ـ يولون اهتماماً بالغاً لحقيقة الله، ورأوا الحاجة إلى مواجهة المعلمين الكذبة من أمثال أريوس، وأبوللیناریوس وأفيتخوس . ليتنا نكون على نفس هذا القدر من الحماسة في أيامنا هذه مثلما كانوا هم على أيامهم .

ثانياً : اعتبروا أن الجدال بخصوص الأمور المتعلقة بالمسيح يُعد جدالاً من أجل الخلاص، لأن مخلصنا هو إله كامل وإنسان كامل، وهو فقط الذي بوسعه أن يمثل كلا الطرفين ويصالحنا مع الله .

ثالثاً : قاموا بعملهم خير قيام، ومن ثم فقد ظل باقياً حتى يومنا . وعلى سبيل المثال، فإن المصلحين في القرن السادس عشر، الذين دخلوا في جدال مع كنيسة روما حول سمو الكتاب المقدس وكفايته، وحول التبرير بالإيمان فقط، لم يروا حاجة لتغيير الأقوال الأولى فيما يتعلق بشخص المسيح وحياته وإرساليته . وعوضاً عن ذلك فقد صادقوا عليها . وهكذا جاء « الابن، الذي هو كلمة الآب، المولود من الآب الأبدي الله الأزلي نفسه، والذي هو من

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

جوهر واحد مع الآب،أخذ طبيعة الإنسان وهو في بطن المباركة مريم، ومن جوهرها، ولذلك فإن الطبيعتين الكاملتين كلتيهما، أي الألوهية والبشرية، اتحدتا معاً في شخص واحد، هكذا دون انفصال إلى الأبد، وهكذا نحن أمام مسيح واحد، إله كامل وإنسان كامل...».

البند الثانى من عقيده الكنيسة الانجليكانية (الأسقفية ١٥٦٣م) على النحو التالي:

رابعاً: السبب في أن المصلحين استطاعوا أن يقبلوا هذا التعليم، مرده أنهم أدركوا أساسه الكتابي القوي. وكما كتب ب. وارفيلد من برنستون. «إقرار مجمع خلقيدونية عن شخص المسيح وحياته ورسالته... ما هو إلاّ تركيب جيد وكامل للغاية لبيانات كتابية».

خامساً: على الرغم من أننا نبدي إعجابنا بالتوازن الدقيق لآباء الكنيسة الذي اتسم به تعريفهم لشخص المسيح، فإننا نقرّ أيضاً أننا نحن أنفسنا محدودون وساقطون، وأن الله في كماله غير المحدود يساندنا تماماً، وأن التجسد سرّ، سنظل بلا ريب نستكشفه طوال الأبدية.

سادساً: إنه من الحكمة والتواضع أن نقبل السر الأعظم دون افتراض أنه بمقدورنا أن نحلّه. وقد كتب البابا ليو في إعلانه: «المسيح إله، والمسيح إنسان. والطبيعتان تتعايشان معاً. ولا تنقص أي من الطبيعتين شيئاً من خصائص الأخرى أو تزيد عليها».

ولم يعبر أحد عن هذه النقطة بشكل أروع من تشارلز سيميون من جامعة كمبردج، والذي كان راعياً لكنيسة الثالوث الأقدس لمدة أربع وأربعين سنة في بداية القرن التاسع عشر، وكان له تأثير عميق على أجيال من الطلبة. وفيما يلي نورد رأيه الذي أصرّ عليه:

«الحقيقة ليست في الوسط، ولا هي في أقصى أحد الطرفين، بل في كليهما» وكان سيميون يتكلم عن سيادة الله ومسئولية الإنسان. لكن مبدأه ينطبق بنفس القدر على شخص يسوع المسيح. فإنه لم يكن إلهاً يتظاهر بأنه إنسان، بل ولم يكن إنساناً يتمتع بقدرات إلهية، وما كان نصف إله ونصف إنسان، لكنه كان إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً، فريداً كإله وإنسان معاً.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٣ـ المسيح الراهب الكامل

القديس بنيديكت St. Benedict

سؤالان عن الرهبنة

ما جاء في (مرقس ٨ : ٣٤) كان يبدو دائماً للمسيحيين أنه نص أساسي ومحدَّد. إنه رسالة يسوع لمن سيكونون له تلاميذاً في المستقبل: « من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ». وعلاوة على ذلك، فمن الواضح أن « إنكار الذات »، « واتباع المسيح » يعتبران جانبان مكملان لنفس العلاقة. ولكي نتبع المسيح، يتوجب أن ننكر أنفسنا. ولكن ما الذي يتطلبه إنكار النفس هذا؟ هل يتطلب بالضرورة حياة الرهبنة؟

إن الرهبنة لم تنشأ مع المسيحية. فأن نظام الاعتزال الديني الهندوسي (الأشرم[١] ashrams) يرجع تاريخه إلى ما قبل المسيحية، كما كان ذلك فى مجتمعات يهودية أيضاً. ولذلك، فليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة فى أن بعض المسيحيين قد صمموا على أن يأخذوا تعليم المسيح بجدية، فلابد وأنهم اختبروا أساليب مختلفة من الحياة كرهبان أو متوحدين.

وعلى الرغم من ذلك، فإن أسلوب الحياة الرهبانية المسيحية[٢] لم يُنظم إلا بحلول القرن السادس، وكان ذلك على يد القديس بنيديكت من نيرسيا بوسط إيطاليا (٤٨٠-٥٥٠). وعندما أُرسل إلى روما ليدرس وهو في سن المراهقة، هاله التفسخ الأخلاقي السائد في المدينة. وكرد فعل لما شاهده، اعتزل في مغارة في سوبياكو. وفي وقت لاحق، أسس إثني عشر مجتمعاً رهبانياً، كل منها يضم إثني عشر راهباً ورئيسا للدير، وأخيراً أقام الدير الخاص به في مونت كاسينو التي تقع بين روما ونابولي، حيث ظل به حتى وفاته. وهناك طوّر بعض القواعد البدائية للجماعات الأخرى،وألف كتابه الكامل الذي أُطلق عليه فيما بعد »قواعد القديس بنيديكت »، وهو الكتاب الذي بفضله لُقّب بأنه « أبو الرهبنة الغربية »، والذي وُصف بأنه « من بين أكثر الوثائق تأثيراً في الثقافة الغربية ».

---

(١) الأشرم هو منعزل ديني ـ المترجم.

(٢) بدأت الرهبنة المسيحية بواسطة القديس أنطونيوس (أبو الرهبنة) في مصر في بداية القرن الرابع ـ المترجم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

والمرء يُذهل فوراً بالسمتين اللتين كانا يتصف بهما مؤلف كتاب «القواعد». **أولاً**: كان يتمتع بذهن منهجي إلى أقصى درجة، ذلك أن هذا الكتاب ينقسم إلى ثلاثة وسبعين فصلاً قصيراً، كل منها يتناول موضوعاً مختلفاً، كما يتضمن ثلاث وسبعين عبارة إضافية كل منها تتكون من جملة واحدة تتناول الواجبات المسيحية. **ثانياً**: كان المؤلف يعرف الكتاب المقدس معرفة جيدة، لأن كتاب «القواعد» ملئ بالآيات الكتابية.

ثم إن محتوياته تغطي مجموعة واسعة ومتنوعة من الموضوعات العملية، من بينها تعليمات لرئيس الدير وللرهبان أيضاً. ورئيس الدير مسئول عن نظام الجماعة «حيث يمتزج اللطف بالحزم» (الفصل٢). أما بالنسبة للرهبان، فالتركيز منصب على الاتضاع والطاعة. أما «رذيلة الملكية الخاصة» فقد رُفضت تماماً (الفصل٥٥). أما طعام الرهبان وثيابهم الضرورية، فيحددها رئيس الدير. ويصف هذا الكتاب برنامجاً صارماً ولكن ليس بدرجة قاسية للعبادة والصمت، وقراءة كتب المكتبة، والعمل اليدوي في المطبخ أو في المغسل، أو الحديقة، أو المخبز الخاص بالدير. أما الواجبات الأخرى، فتتراوح ما بين تطوير مواهبهم الفنية، والقيام بواجبات الضيافة للغرباء، تعليم الصغار، والعناية بالمرضى، والمسنين والفقراء والمساكين.

والشروط الأساسية لحياة الرهبنة كانت دائماً عبارة عن العهود الثلاثة على حياة الفقر، والعفة (بمعنى العزوبية)، والطاعة (لرئيس الدير). وكل هذه النواحي الثلاث - كما قيل - صيغت على أساس التشبه بالمسيح الذي يمكن اعتباره الراهب الأمثل. كان المسيح يعيش في فقر، لم يكن له «**أين يسند رأسه**» (متى ٨: ٢٠)، ولم يتزوج إطلاقاً، وهو القائل: «**لأني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني**» (يوحنا ٦: ٣٨).

وليس ثمة شك في أننا ندين بالكثير جداً للتقليد الرهباني.

أولاً: كان يُعد احتجاجاً جذرياً ضد عالم شرير وكنيسة فاسدة. وكان تعبيراً عن التعطش المسيحي للقداسة، وعن الالتزام المسيحي بإنكار الذات.

ثانياً: حافظ على بقاء الرؤية المسيحية للثقافة الدينية، والتي أمكن الحفاظ عليها حتى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

في أزمنة الهمجية من خلال مكتبات قيمة، ولذلك ظلت لدينا ثقافة مسيحية مميزة.

ثالثاً: كرس رهبان القرون الوسطى أنفسهم لكل من الكرازة والاهتمام بالفقراء، وكان بعض الرهبان من أروع المرسلين مثل فرانسيس زافييه، وكانوا في هذه الناحية يقدمون شهادة حية للمسيح. والأب زوسيما، في قصة «الإخوة كارامازوف» لدوستويفسكي، كان على حق عندما قال إن رهبان الكنيسة الأرثوذوكسية في روسيا، وهم في عزلتهم، كانوا «يحافظون على صورة المسيح رائعة بلا دنس».

وبعد أن عبّرتُ عن تقدير حقيقي للتأثير الإيجابي للرهبنة، أجد نفسي ـ في ذات الوقت ـ ملزماً بطرح بعض الأسئلة: هل من الصواب، أو من المفيد أن نصور الرب يسوع على أنه النموذج الأمثل للراهب؟ وهل من الصواب أن نعتبر الرهبنة وكأنها المثل الأعلى للحياة المسيحية، لا شك إننا نعجب بما يبديه الرهبان المسيحيون من تكريس وحماسة وإنكار الذات، فمن ثم يتردد المرء في انتقادهم. وبرغم ذلك، علينا القيام بذلك، إذا أردنا أن نكون مخلصين لصورة العهد الجديد عن الرب يسوع.

أولاً: الرهبنة تمجد العزلة عن العالم. وكما أن يسوع انسحب من خدمته الجمهورية التي تشغله كثيراً وتوجه إلى الجبال ليأخذ قسطاً من الراحة ولكي يصلي، كان من الطبيعي أن يلتزم التلاميذ بأن يفعلوا هكذا أيضاً، ومازالوا يعملون ذلك. وإنه لأمر سليم بالنسبة لكل المسيحيين أن يحافظوا على كل من الاندماج في الخدمة والخلوة أو الانسحاب المؤقت. غير أن الانسحاب من العالم بصفة مؤقتة، هو شيء حياة العزلة المستمرة هو شيء آخر. وجوهر التجسد هو أن ابن الله جاء إلى عالمنا، رافضاً أن يظل بمعزل عنه. ولقد أوضح المسيح أنه يريد من أتباعه أن ينخرطوا أيضاً في العالم. لذلك صلى لله الآب: «**لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير**» (يوحنا ١٧: ١٥). ثم قال أيضاً «**كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم**» (يوحنا١٧ :١٨). ولذلك لا يتوجب علينا أن نمتدح الإنسحاب من العالم، إلا بشكل مؤقت فقط، لأن هذا قد يكون إنكاراً للتجسد.

ثانياً: وضعت الرهبنة معياراً مزدوجاً. وهذا يُستشف منه أنه تُوجد نوعيتان من

المسيحيين، نوعية من الدرجة الأولى ونوعية من الدرجة الثانية، أو أنه يوجد معياران للنواحي الأخلاقية. أحدهما جيد والآخر أفضل. إن الأساس الكتابي المفترض لهذا هو ما جاء في إنجيل متى فيما يتعلق بما قاله يسوع للشاب الغني: «**إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء..**» (متى ١٩: ٢١). ونجم عن هذا القول الفرق بين «الوصايا» (وهي ملزمة لجميع المسيحيين) و «مجامع الكمال» (وهي ملزمة للرهبان). ولكن ما يضعه العهد الجديد أمامنا لا يشكل معيارين أحدهما أعلى أو أفضل من الآخر، بل تشكيلة متنوعة من المهام والخدمات، وهي جيدة بنفس القدر، ولكنها تختلف بعضها عن بعض. وبعض المسيحيين مازالوا مدعوين أن يتركوا كل شئ، مثل الشاب الغني الذي ذُكر في الإنجيل، ومثل الراحلة الأم تريزا، وأخواتها في أيامنا هذه. غير أن غالبية المسيحيين مدعوون أن يكونوا ذوي ضمير حي، ووكلاء يتسمون بالكرم فيما يتعلق بممتلكاتهم. وكما قال الرسول بطرس لحنانيا عن ممتلكاته (حقله): «**أليس وهو باق كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك**» (أعمال ٥: ٤). وليس من بين هذين الأمرين (الفقر والوكالة) ما يُعد أعلى من الآخر.

و لنأخذ موضوع العزوبية (التبتل). ولا ريب أن أقلية من المسيحيين قد دُعوا للعزوبية. لقد قال يسوع هكذا (متى ١٩: ١١ - ١٢). وهذا ما قاله بولس أيضاً فى (كورنثوس الأولى٧: ١-٧). وليس معنى هذا أن العزوبية أفضل من الزواج، أو أن الزواج أسمى من العزوبية. بل إن كليهما هبة من الله (كورنثوس الأولى ٧:٧)، غير أن البعض قد دُعوا لإحداهما وآخرون دُعوا للأخرى. وهذه الآية (كورنوثوس الأولى ٧:٧) هي مفتاح فهم الإصحاح كله.

وخلاصة القول هي أن هذا التناقض الظاهري ينطبق على جميع المسيحيين. فإذا خدمنا فسوف نختبر الحرية. وإذا سكبنا أنفسنا في المحبة، فإننا نجدها. وإذا متنا عن محبة الذات، عندئذ فقط نبدأ في الحياة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٤ـ المسيح الفادي

« أنسلم » Anselm

الفكر اللاهوتي للكفارة في القرون الوسطى

طوال عدة قرون، ومنذ أيام أوريجان في القرن الثالث، والآباء الكبدوكيين في القرن الرابع، ظلت نظرية ـ « الفداء » المتعلقة بالكفارة قائمة، ومفادها أن الخطية جعلت البشر في عبودية الشيطان، وأن المسيح قد افتدانا بدفعه قيمة الفدية للشيطان. وهذه النظرية غير المقبولة لم تُواجه بأي تحد جدّي حتى ظهور كتاب أنسلم العظيم « لماذا صار الله إنساناً Cur Deus Homo » . وفيه جادل بأن الدَيْن مستحق لله وليس للشيطان.

وُلد أنسلم في إيطاليا سنة ١٠٣٣م تقريباً، وأقام سنوات كثيرة في نورماندي، جاء إلى إنجلترا بعد الغزوة النورماندية سنة ١٠٦٦م، وخلف لانفرانك كرئيس أساقفة كانتربري سنة ١٠٩٣م. وكان رجلاً ذا ثقافة عميقة، حسن التفكير، ويتسم بالتقوى. وكان كتاب « لماذا صار الله إنساناً » عن الصليب، من بين أكثر الكتب تأثيراً فيما يتعلق بموضوع الكفارة إبان القرون الوسطى، وقد أدى إلى أن تغير فكر الكنيسة. بل إن جيمس دينای ذهب إلى حد قوله عن هذا الكتاب « إنه أصدق وأعظم كتاب عن الكفارة على الإطلاق » .

لقد بدأ أنسلم تفكيره بتأمل حالة البشر، والخطية ليست هي « عدم سداد ما يستحقه الله » . وعلى ذلك فهي « أن نأخذ من الله ما هو ملكه » ، وبذلك نهينه. ولكن، لماذا لا يغفر لنا الله ببساطة دون الحاجة إلى الصليب؟وكما قال هايني ـ وهو سيني من القرن التاسع عشر: « الله الطيب قد غفر لي، وهذا عمله » . وعلى أية حال، قد يقول أحد المعترضين: لقد طلب منا أن نغفر بعضنا لبعض. فلماذا لا يعمل الله ما يوصينا به ويكون كريماً بنفس القدر؟ وكان رد أنسلم صريحاً ومباشراً: « إنك لم تدرك بعد مدى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خطورة الخطية». وأيضاً لم ندرك عظمة وجلالة الله الذي نخطئ إليه. وعلى الرغم من ذلك، فإننا عندما نعرف الله في قداسته، وندرك مدى تمردنا عليه، لن يكون السؤال المناسب طرحه لماذا يجد الله صعوبة» في غفرانه لنا، بل كيف يحصل ذلك ممكناً؟

وقد رفض أنسلم نظرية الفدية التي فكر فيها بعض آباء الكنيسة على أساس أن «الله ليس مديناً بشيء للشيطان سوى أن يعاقبه». والأكثر من ذلك، فإن الإنسان مدين بشيء لله، وهذا الشيء هو الدين الذي يجب سداده. وعلى الرغم من ذلك، فإنه ليس بمقدورنا سداده. وقد اُختتم الكتاب الأول بهذه العبارة: «الإنسان الخاطئ مدين لله» ـ بسبب الخطية ـ بما لا يستطيع سداده، وإذا لم يسدده، فلن يستطيع أن يخلص. ولذلك لا يُوجد سوى سبيل واحد للخروج من هذه الورطة: «لا يوجد أحد... يمكن أن يصنع هذه الترضية سداد الدين سوى الله نفسه... غير أنه لا ينبغي أن يعمل هذه الترضية أحد سوى الإنسان، والإ لن يكون الإنسان قد أرضى الله». وعلى ذلك، «فإنه من الضروري أن يقدم هذه الترضية شخص هو إله وإنسان في ذات الوقت. وعلى ذلك فمن الضروري أن نفس الشخص الذي سيصنع الترضية، يجب أن يكون إلهاً كاملاً وإنساناً كاملا في ذات الوقت، بالنظر إلى أنه لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك إلا الشخص الذي يكون إلهاً حقاً، ولا يجب لأحد أن يقوم به إلا إذا كان إنساناً حقاً أيضاً» ومن هنا جاءت الحاجة إلى تجسد الله في المسيح، الذي سلَّم نفسه للموت بمحض إرادته لمجد الله. فهو المخلص الوحيد، لأن فيه وحده يمكن أن يتحد الإنسان مع الله.

ومن المزايا العظيمة لكتاب أنسلم (لماذا صار الله إنساناً) أنه يؤكد بشدة: (١) على خطورة الخطية باعتبارها تمرداً لا يُغتفر على الله. (٢) واستحالة أن يخلص الإنسان نفسه. (٣) وضرورة التجسد، بالنظر إلى أن الترضية لا يجب أن يقدمها سوى إنسان (لأنه هو الذي أخطأ) ولا يستطيع ذلك سوى الله.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لأنسلم منتقدوه أيضاً.

أولاً: كان من مفكري العصور الوسطى الذين كانوا يحاولون التقريب بين الفكر

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الفلسفي والفكر اللاهوتي. ذلك على الرغم من أنه كان تواقاً إلى أن يخضع للكتاب المقدس، لكن اهتمامه البالغ، هو أن يكون تعليمه «متفقاً» مع المنطق. ولذلك، تراه في بعض الأحيان مستغرقاً في التفكير، ويبدو دائماً أنه يخضع للمنطق الذي لا يعرف العاطفة. ومن ثم، لا يشعر بالنار التي أضرمها بيتر أبيلارد في القرن الثاني عشر عندما كان يتحدث عن محبة الله التي تجلت في صليب المسيح.

ثانياً: يعكس أنسلم طوال رسالته ثقافة الإقطاع التي كانت سائدة على أيامه. والإقطاع كان نظاماً اجتماعياً في القرون الوسطى يتعلق بامتلاك الأراضي، والعلاقات الشخصية من جانب كل من المالك وعبيده. كان السيد يستغل العبد بأرضه أو مقابل الأجر الذي يعطيه له، ويتعهد بحمايته. وفي مقابل ذلك، على العبد أن يقدم فروض الولاء لسيده، ويؤدي خدمات معينة. وإذا انتهك العبد واجباته، فذلك يُعد إساءة بالغة بل ويُعد جريمة، ويجب التكفير عن الإهانة البالغة التي سببتها هذه الجريمة لكرامة سيده. وعلى الرغم من ذلك، هل من المناسب أن نصور الله على أنه سيد أعلى وإقطاعي يطلب مجداً، ونصور المسيح كمدين في نظام إقطاعي يقدم تكفيراً نيابة عنا؟

يا ليتنا نستطيع أن نضيف فحسب شغف أبيلارد بمنطق أنسلم. ليتنا نستطيع فحسب أن نغير صورة أنسلم عن الله من سيد أعلى إقطاعي، يرضي كرامته الشخصية كما لو أنه شعر بإساءة، ونحولها إلى صورة «القدوس» الذي عزم على أن يحقق ويمارس بنفسه كيانه الداخلي العامر بالمحبة والعدل فيخلص الأنسان. وهنا يكون التوازن الذي عملناه أكثر تناغماً مع الكتاب المقدس ذاته.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٥- المسيح العريس السماوي
بيرنارد الكليرفوي Bernard of Clairvaux

التصوف المسيحي

ازدهر التصوف المسيحي ووصل إلى ذروته في أوروبا في الفترة ما بين القرن الثاني عشر والقرن الرابع عشر. وكان يركز على يسوع المسيح المحب وعريس الكنيسة، وكان بيرنارد الكليرفوى (١٠٩٠-١١٥٣) أشهر من فسروا هذا الموضوع.

وعلى الرغم مما يتسم به برناردو من حياء، واعتلال صحته دائماً نتيجة لصرامة ما يفرضه على نفسه من ضبط النفس، إلا أنه كان يتمتع بمواهب كثيرة ومتنوعة. وكان يعظ ويكتب بأسلوب في غاية الفصاحة وكرس نفسه لاصلاح الأديرة، مع ذلك فقد انجذب إلى السياسات الكنسية، وكان له نفوذ هائل على عدد متعاقب من الباباوات والأساقفة والمجالس الكنسية، وعلى الكنيسة كلها. وأثناء العقدين الأخيرين من حياته، واللذين شهدا كثيراً من الاضطرابات، كان يُنظر إليه، وعلى نطاق واسع، بأنه « ضمير أوروبا برمتها ».

وكان في ذات الوقت، تلميذاً مثابراً ونجيباً في دراسة الكتاب المقدس، فضلاً عن كونه مفكراً لاهوتياً مستقيم الرأي - والواقع، أن رسالته التي تركز على المسيح كانت تشكل ناحية أساسية من احتجاجه ضد التركيز المبالغ فيه على العقل، كما كان ضد النزعة المؤسساتية[١]، والإسمية التي اتسمت بهما كنيسة القرون الوسطى.

أما أكثر كتب بيرنارد شهرةً فهو كتاب « عظات عن نشيد الأنشاد ». و كان أول كاتب على الإطلاق يضع تفسيراً مجازياً لنشيد الأنشاد. ودفاعاً عن وضع هذا السفر ضمن الأسفار المقدسة القانونية للعهد القديم، قال الرابي اليهودي عقيبة: « كل أسفار الكتاب

---

(١) التأكيد على التنظيم في الدين على حساب العوامل الأخرى (المترجم).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مقدسة غير أن سفر نشيد الأنشاد هو قدس الأقداس». وكانت هناك أيضاً تفاسير مسيحية لسفر نشيد الأنشاد لآباء الكنيسة الأولى، ومن بينها تفسير أوريجان في القرن الثالث، وآخر لأغريغوريوس النيسي في القرن الرابع. غير أن عظات بيرنارد كانت الأوسع انتشاراً والأكثر تعلقاً بالأذهان. ولقد عُرف بأنه «اللاهوتي الرائع»، ومن وجهة نظر لوثر، كان بيرنارد يفوق كافة لاهوتيي الكنيسة الآخرين.

وأثناء السنوات الثماني عشرة من حياته (١١٣٥-١١٥٣) ألقى بيرنارد ثماني وعشرين عظة عن نشيد الأنشاد، على الرغم من أنه في ذلك الحين، لم يكن قد أكمل من تفسيره سوى الإصحاحين الأولين من السفر. ولم يكن بأي حال يكتب تفسيراً، بل كان يكتب بالأحرى سلسلة من التأملات لمؤمنين على مستوى عال، كانوا مستعدين «لعرس العريس السماوي». وعظاته الثماني الأولى كانت كلها على نفس النص، وهو الآية الثانية من سفر النشيد، وهي على وجه التحديد: «**ليقبلني بقبلات فمه**» ولسنا في حاجة إلى القول إن معالجته للنص كانت من خلال تشبيهات مجازية رائعة. وعلى سبيل المثال، توسع في الحديث عن ثلاث قُبلات (على القدم وعلى اليد وعلى الفم)، وهذا يرمز إلى ثلاث مراحل من تقدم النفس نحو الكمال. وأن نقبل قدم المسيح معناه أن نسجد أمامه في توبة واتضاع على غرار ما فعلته مريم في قصة الإنجيل. وهذه هي بداية التجديد. أما أن تقبل يد المسيح فهذا يُعد اعترافاً بأنه معطي كل المواهب الصالحة، وأن علاقتنا به قائمة على رحمته وليس على استحقاقنا. وعلى الرغم من ذلك، قليلون هم الذين يصلون إلى مرحلة القبلة الثالثة. وهذه هي «القبلة الأسمى» حيث إننا بخوف ورعدة نجازف بأن نرفع أنفسنا إلى ذاك الفم الإلهي الرائع البهي، وبذلك نتمتع بقبلة الاتحاد الحلو مع الله الآب، والابن والروح القدس. الأمر الذي أُوجز في القول «**حبيبي لي وأنا له**» (٢: ١٦)، وهذا تعبير عن وحدة الروح السامية مع الله، الأمر الذي يشتهيه الصوفي.

ولعل الكثيرين منا قد شبُّوا على الاعتقاد بأن عبادة بيرنارد الشخصية للمسيح، تم التعبير عنها بأفضل ما يكون في ترانيمه. وإني أفكر على وجه الخصوص في الترنيمة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

التالية: «إن مجرد التفكير فيك يايسوع / تمتلئ نفسي حلاوة..»، و«فالتفكير فيك يا يسوع هو نفسه حلاوة / في ذلك الاسم الغالي تتضافر كل أفراح القلب، و...»

«يسوع، أنت فرح القلوب المحبة — أنت ينبوع الحياة ونور البشر
ولا تشبعنا كل خيرات الأرض — فنعود إليك من جديد لتشبعنا»

وعلى الرغم من أن هذه الترانيم قد نُسبت ولمدة طويلة إلى بيرنارد، إلا أن المتخصصين في دراسة الترانيم يقولون لنا الآن إنه لا يوجد دليل على أن كاتبها هو بيرنارد. وكانوا على قناعة أن يقولوا ببساطة إن أصول الترانيم المكتوبة باللغة اللاتينية يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر. غير أن مرجعاً يُعتد به مثل رئيس الأساقفة ترنش Trench كتب يقول: «إن لم يكن بيرنارد هو مؤلفها، فلن يكون من السهل تخمين من الذي كان بمقدوره كتابتها، لأنها» تحمل بكل عمق بصمة فكره، حيث إنها لا تقل جمالاً عن كتاباته النثرية».

وقبل أن نترك الحديث عن بيرنارد الكليرفوى، والتصاقه الصوفي بالمسيح، نحتاج إلى طرح سؤالين:

أولاً: ما هي طبيعة التصوف المسيحي؟ لأن لغة التصوف تُستخدم في الهندوسية والبوذية، والطاوية (مذهب ديني في الصين) والأفلاطونية المحدثة، واليهودية، والإسلام، وكذلك في المسيحية. وهناك افتراض مفاده «أن تكون» (صوفيا) أمر له نفس المعنى في كافة الديانات «ولكن الأمر ليس كذلك. والشيء المؤكد، أن كل واحد يقصد «بالصوفية» اختباراً ما، لم يُحدد على نحو جيد مثل «الاتحاد مع الجوهر». غير أنه يوجد على الأقل فرق جوهري بين التصوف الشرقي والتصوف المسيحي. فالهدف الذي يرمي إليه المتصوفون الشرقيون هو أن يفقدوا هويتهم ويذوبوا فيما هو إلهي، مثل ذوبان نقطة ماء في المحيط. إلا أن المؤمن في التصوف المسيحي يحتفظ بهويته كفرد. ذلك لأن الله خلقنا ولكل منا هويته التي يتفرد بها، وقد خلصنا حتى نصبح على حقيقتنا بشكل أكثر لا أقل. ومصيرنا هو ألا نفقد أنفسنا، بل بفقدنا لأنفسنا فإننا نجدها. وأن تكون

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

«في المسيح» (تعبير مفضل يستخدمه بولس) معناه أن تكون متحداً معه بشكل وثيق وتام بحيث تشاركه حياته. وقد صلى يسوع من أجل أن يكون أتباعه «واحداً» كما أنه هو والآب «**واحد**» (يوحنا١٧: ٢١-٢٣). غير أن أقانيم الثالوث القدوس الثلاثة، على الرغم من أنهم واحد، إلا أنه منذ الأزل لكل منهم شخصيته التي يتميز بها.

ثانياً: السؤال الثاني الذي يتوجب طرحه هو: هل من المشروع أن نستخدم نشيد الإنشاد كتشبيه مجازي للمحبة بين المسيح والنفس المسيحية. والإجابة هي، أنه بوجه عام، من المشروع استخدام التشبيه المجازي للتوضيح، ولكن ليس من أجل إقامة الدليل على حق ما. بمعنى أنه إذا كان هناك تعليم أو واجب ترسخ بالفعل بواسطة فقرة كتابية معناها واضح، فإنه من غير المشروع استخدام التشبيه المجازي لتوضيح هذا الحق. وهكذا فإن الكتاب المقدس يعلمنا بكل وضوح وفي آيات كثيرة، أن الله وشعبه ملتزمان كلٌ تجاه الآخر بعهد المحبة. وعلى ذلك، فإنه من المشروع استخدام سفر النشيد - الذي يعبر عن المحبة المتبادلة بين العريس والعروس لتوضيح هذا الحق.

وسفر نشيد الأنشاد - على وجه الخصوص - أضفيت عليه السمة الشخصية في كثير من الأحيان، واستُخدم ليوضح المحبة الخاصة الشخصية التي تربط الله والشخص كفرد - وعلى العكس من ذلك، نجد أن النبيين اللذين يتحدثان عن المحبة الإلهية باستفاضة وهما (هوشع وإرميا) يرسمان صورة لمحبة الله للشعب الذي قطع معه عهداً. وعلى سبيل المثال فإن الوعد مثل: «وأخطبك لنفسي إلى الأبد» لم يوجه لأفراد بل إلى الأمة غير الأمينة (هوشع ٢: ١٩). وهكذا أيضاً يكتب بولس في العهد الجديد بأنه «... **أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها**» (أفسس٥: ٢٥). وإنها لحقيقة أن بولس استطاع أيضاً أن يكتب: «... **ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي**» (غلاطية٢: ٢٠)، لكن هذه الومضات الفردية نادرة، ولعل ذلك مرده المخاطرة الناجمة عن الإثارة الروحية، وهي مخاطرة على الأقل في لغتها - لم يحاول المتصوفون المسيحيون دائماً تجنبها.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٦ـ المسيح، النموذج الأخلاقي الأسمى

توما القمبيزى Thomas à Kempis

التمثل بالمسيح في الزهد والعفة

في كتاب توما القمبيزى «التمثل بالمسيح» والذي لاقى قبولاً شعبياً كاسحاً، وامتُدح على المستوى العالمي، نجد أن الكنيسة في أواخر القرون الوسطى تقدم المسيح كمثال أسمى للتلمذة المسيحية.

وُلد توما القمبيزى سنة ١٣٧٩م في كيمبين kempen (ومنها أُخذ اسمه) في ألمانيا. وفي سنة ١٤٠٠م، وعندما بلغ الحادية والعشرين من عمره، التحق بدير أوغسطيني في أبروشية كولون، وتمت رسامته سنة ١٤١٣م. وقد ظل في نفس هذا الدير طوال حياته، وقد توفي وهو رئيسه سنة ١٤٧١م، وكان قد بلغ من العمر إحدى وتسعين سنة.

وقد ذُكر أنه كان يتسم بالخجل والمثابرة في الدراسة. وكان يقضي وقته في القراءة والكتابة، والنسخ والصلاة. وفي مقدمة ترجمة جديدة لكتاب «التمثل بالمسيح» كتب د.ل.م. ديليسيه يقول: «لقد أخذ هذا الكتاب مكانته على مر القرون، وأصبح ـ بعد الكتاب المقدس ـ أكثر الكتب الدينية تأثيراً في العالم المسيحي»

والقبول الكاسح الذي لاقاه هذا الكتاب ربما كان مرجعه أنه جمع بين النسك (حياة الزهد) والتصوف. وقد خصص أول جزئين من هذا الكتاب للقداسة النسكية. أما الموضوعات المتكررة، فتتعلق باستئصال الرذائل ومقاومة الإغراءات، واحتقار غرور العالم، والاتضاع وعدم النظر للآخرين كأشرار، وتحمّل المحن «والصلبان»، وعدم التهور في الحكم على الآخرين، والاستعداد لاقتراب الموت.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الجزء الثالث، يأخذ شكل الحوار بين «صوت المسيح»، «وصوت التلميذ»، حيث نجد أن توما في بعض الأحيان ينطق بتعبيرات عاطفية تفيض بمحبة المسيح.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفيما يلي نموذج من الفصل الحادي والعشرين:

«يا رفيق روحي البالغ الحلاوة يا يسوع، أنت المحب الفائق الطهارة، رب الخليقة كلها. الذي سيعطيني أجنحة الحرية الحقيقية، حتى أطير بها إلى موضع راحتي الأخير فيك. متى سأحظى بهذه النعمة الروحية، حتى يمكنني في الهدوء الذي يتمتع به ذهني، أن أري كم أنت حلو أيها الرب إلهي؟ متى سأكون واحداً معك «ومتى سأكون بسبب حبي المتقد لك لا أعود أشعر بنفسي، ولا أشعر إلا بك أنت وحدك..»

وبعد ذلك بقليل، وفي نفس الفصل تتفجر عواطفه ثانية فيقول:

«ربي يسوع، إن بهاء مجدك الأبدي، والراحة التي تشعر بها نفسي الهائمة...كم سيتوانى ربى قبل أن يأتي؟ ليته يأتي إليَّ، أنا عبده الفقير، ويجعلني سعيداً، تعال.. نعم تعال لأنه بدونك لن يكون هناك يوماً أو حتى ساعة من السعادة، لأنك أنت فرحي، وبدونك تكون مائدتي خالية...».

«ليبحث الآخرون عما يسرهم بدلاً منك، أما بالنسبة لي، فإنه ليس هناك شيئاً آخر يسرني، فلا أجد سروي إلا فيك أنت وحدك إلهي ورجائي وخلاصي الأبدي».

وعلى الرغم من أن محبة توما ليسوع، وتلهفه على القداسة يأتيان على وجه العموم منفصلين في كتابه، إلا أنه من المؤكد أنه تُوجد بعض الفقرات التي اندمج فيها هذان الأمران معاً. وعلى سبيل المثال: «مبارك ذاك الذي يعرف ماذا يعنى أن يحب يسوع، وأن يحتقر نفسه من أجل يسوع. فإنه جدير بالعاشق أن يضحي بكل شيء من أجل المحبوب...» كما يقول أيضاً، «في وجود يسوع، كل شيء يكون على أفضل حال، ولا يبدو أي شيء أنه مستحيل، غير أنه في غياب يسوع، يكون كل شيء صعباً، ثم إن محبتنا الخالصة ليسوع تلهمنا لعمل أشياء عظيمة، وتدفعنا دائماً إلى اشتهاء الكمال.»

ولذلك، فالهدف والباعث واضحان ـ أن تسعى للقداسة بدافع محبتك للمسيح. وقد تم إيجاز ذلك في أحد أقوال توما الحكيمة: «الذي يعمل كثيراً يحب كثيراً» وهذه

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يسوع المسيح يكونون جياعاً وعطاشاً إلى البر، على غرار ما عمله توما، ويلتهبون في إخلاصهم للمسيح على نحو ما كان عليه توما.

ربما يبدو أمراً فظاً وتعالياً أن نذكر أي تحذير ولو بصفة مؤقتة، غير أنه من الضروري على الأقل أن نطرح بعض الأسئلة. هل كانت الكنيسة على صواب في أواخر القرون الوسطى أن تقدم يسوع على أنه النموذج الأخلاقي الأسمى، وتقدم الحياة المسيحية على أنها محاكاة للمسيح؟ ومن المؤكد أن يسوع قال: «اتبعني»، وكتب بولس: «**كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح**» (كورنثوس الأولى ١١: ١). إذاً ما الذي كان ناقصاً في كتاب توما القمبيزى الكلاسيكي؟ سأطرح أربعة أسئلة أخرى.

أولاً: هل استوعب توما «جوهر دعوة الإنجيل» التي لا تدعونا إلى عمل الأعمال الصالحة تمثلاً بالمسيح، بل أن نضع أولاً ثقتنا في المسيح المصلوب باعتباره مخلصنا؟ الواقع أنه لا يبدو أنه كان لديه أي يقين في قبول الله له، لأنه كان يعيش في خوف مستمر من الدينونة، والمطهر وجهنم. وعلاوة على ذلك، كانت إشاراته إلى محبة المسيح في جملتها تقريباً تشير إلى محبته للمسيح وليس إلى محبة المسيح له. ولم يقتبس إطلاقاً التأكيدات العظيمة بأن «...**محبة المسيح تحصرنا**» (كورنثوس الثانية ٥: ١٤) وأنه لا شيء يمكنه أن يفصلنا عن محبة المسيح (رومية ٨: ٣٥-٣٩).

ثانياً: هل فهم توما معنى «طريق القداسة» وهو ليس بتقليد المسيح، بل بالاتحاد بالمسيح؟ لا أحيا مثل المسيح بقدر ما يحيا المسيح فيّ. وكما قال جيمس ستوكر James Stalker: «يدور تعليم القديس بولس كله بين قطبين هما: البر بموت المسيح من أجلنا، والقداسة التي تتأتى نتيجة حياة المسيح فينا».

ثالثاً: هل فهم توما سياق الأخلاقيات المسيحية. إن سياقه - بحسب ما ذكره ستوكر أيضاً- كان «العالم الصغير الذي يتسم بالرتابة وهو عالم الدير». غير أن سياق العهد الجديد للحياة المسيحية هو الحياة الحافلة بالضوضاء، والانشغال بالعمل، وميادين الصراع في أماكن العمل والأسواق. وحقاً أننا «غرباء ونزلاء» في العالم؛ عبارة مأخوذة من (رسالة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بطرس الأولى ٢ : ١١)، وهي عبارة ذكرها توما عدة مرات ولكن هذا لا يفرض علينا الانسحاب، كما يفترض توما. وقد كتب يقول:

«لترغب في شركة الله وحده، وفي ملائكته القديسين وتجنب معرفة الناس» وكتب أيضاً: «اهرب من ضغط الناس وجلبة العالم على قدر ما تستطيع» وهو يرى المسيحيين «منغمسين تماماً» ليس في العالم، بل في الله. لأنه بحسب رأيه، كان القديسون العظماء يتجنبون مجتمع الناس، يختارون بالأحرى أن يعيشوا في الله في عزلة، ويضيف «كما فعل يسوع». ولكننا هنا أمام خلاف، أو سوء فهم خطير. لم يسع يسوع حقاً وراء العزلة للراحة والصلاة، على النحو الذي تنتهجه حياة الرهبانية، بل لكي يعود، وقد تقوى لتحمل متطلبات خدمة الجموع فحسب.

رابعاً: هل استوعب توما النتائج المترتبة على التمثل بيسوع أو تقليده؟ تقليد يسوع هو اللقب الشعبي الذي يروق للكثيرين والذي أطلقه على كتابه، ولعله كان إلى حد كبير سبب رواجه وشعبيته. غير أنه حينما يبدأ المرء قراءته يشعر بالإحباط في الحال لفشله في تناول الموضوع على النحو الذي تناوله به العهد الجديد. والواقع أن اتّباع المسيح الوحيد الذي أشار إليه توما هو التكليف الخاص بأن نحمل صليبنا، وأن نتحمل الآلام تقليداً للمسيح، فلا نجد أية إشارة إلى التمثيل بالمسيح في اتضاعه، في تجسده وموته (فيلبي٢ : ٥-٨)، أو من ناحية أن نحب الآخرين كما أحبنا المسيح (أفسس٥ : ٢)، وإلى أن نتسامح مع الآخرين كما سامحنا الله أيضاً في المسيح (أفسس٤ : ٣٢)، وأن نطهر أنفسنا كما هو طاهر (يوحنا الأولى ٣ : ٣)، وأن نتبع خطواته في تحمل الألم ظلماً وافتراءً دون أن نفكر في الأخذ بالثأر (بطرس الأولى٢ : ١٨-٢١)، أو أن نخرج إلى العالم في إرسالية، كما أُرسل يسوع إلى العالم من قبل الآب (يوحنا ١٧ : ١٨،٢٠ : ٢١)؟ وموضوعات العهد الجديد العظيمة هذه، التي توضح معنى اتّباع المسيح، لا نجدها في كتاب توما، الأمر الذي يعُد نقصاً كبيراً.

وكنا نتمنى لو أن توما كان أكثر التزاماً بتعليم العهد الجديد وتحدث عن المسيح المخلص، والمسيح القدوة (بطرس الأولى ٢ : ٢١و٢٤). المسيح من أجلنا، والمسيح فينا. والدعوة لاتباع المسيح تشمل اتّباعه في الانسحاب وأيضاً في الانخراط.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٧- يسوع الذي خلصنا بنعمته

مارتن لوثر Martin Luther

التبرير بالإيمان فقط

يصعب علينا في هذه الأيام أن ندرك عبء الخطية والإثم. هذا العبء الذي في ظله عمل شعب الكنيسة في القرون الوسطى. لقد نشأوا على التركيز على غضب الله، وعلى فظاعة الدينونة وآلام المطهر وجهنم. وعاشوا في خوف وجاهدوا لاكتساب رضاء الله بأعمال البر الصالحة. و هذا كان تعليم الكنيسة. ومارتن لوثر فى بداية حياته لم يكن استثناءً. فقد وُلد سنة ١٤٨٣م، وكان أبوه طموحاً بالنسبه له، فأرسله إلى المدرسة ثم الجامعة. غير أنه طوال الوقت كان يغمره اضطراب روحي عميق. وعندما رأى أحد أصدقائه يموت نتيجة صاعقة جوية، تملكه الخوف من الموت والدينونة. ولذلك نذر نفسه دون أي تحفظ لخدمة الله، ودخل ديراً من الأديرة الأوغسطينية، وكان على ثقة من أنه سيكون هناك قادراً على انقاذ روحه. كان يصلي ويصوم ويمارس أموراً تقشفية أخرى بالغة الشدة. وكتب في وقت لاحق يقول: «إني راهب صالح. وإذا كان لراهب أن يدخل السماء نتيجة رهبانيته، فهو أنا»، غير أن ممارسته التقشفية زادت ولم تنتقص من عذابه. لقد اعترف، وفرض على نفسه عقوبة تكفيراً عن خطاياه، وأخذ على نفسه عهداً ثلاثياً بأن يلتزم بعيشة الفقر والطهارة والطاعة. وانغمس في دراساته اللاهوتية، ثم رُسم قساً. ثم قام برحلة إلى روما وزحف على ركبتيه صاعداً على الدرجات الثماني والعشرين لـ «Scala Sancta». تعبيراً عن التوبة ولكن كل هذا لم يُجد نفعاً. وأصبح متحيراً في أمر الكنيسة مقتنعاً بأنها فقدت مفاتيح الملكوت.

وفي عام ١٥١٢م، أصبح لوثر أستاذاً لدراسات الكتاب المقدس بجامعة ويتنبرج.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفي البداية تواصلت شكوكه ومخاوفه على ما هي عليه من شدة. وصمم على استرضاء الله، لكنه لم يجد سلاماً. وقال ذات مرة: «عندما بحثت عن المسيح بدا لي أنني رأيت الشيطان». وهذا القول المريع ينم عن الصورة الزائفة ليسوع المسيح التي كانت بمخيلته، والناجمة عن شدة صراعه الأخلاقي. والمسيح بالنسبة له في ذلك الحين، كان غاضباً ولم يكن ودوداً، وكان مخيفاً لا رحيماً، وديناً وليس مخلصاً. فأين يجد إلهاً رحيماً؟ كانت هذه هي صيحته المليئة بالألم الشديد.

حينئذ، تحول لوثر إلى الكتاب المقدس. وحتى يعد لمحاضراته الجامعية، درس المزامير في الفترة ما بين (سنة ١٥١٣- ١٥١٥)، ودرس رسالة رومية في (١٥١٥- ١٥١٦). وقد انزعج لدى قراءته الصلاة الواردة في (مزمور ٣١: ١) «**بعدلك نجني**»، وبما جاء في (رومية١: ١٧) من أن بر الله معلن في الإنجيل. وإذا كان بر الله هو عدله، فقد سأل نفسه كيف يمكن أن يتحقق الخلاص أو يكون جزءاً من الإنجيل؟ كان لوثر يصارع مع هذا السؤال، لأنه لا يزال يفهم بر الله كما يُعبر عنه في معاقبة الأشرار. وهذه ليست بالأخبار السارة.

كتب لوثر: «لقد استغرقت في التفكير ملياً، ليلاً ونهاراً... وأدركت حقيقة أن بر الله هو ذلك البر الذي به - من خلاله النعمة والرحمة فحسب، «يبررنا» بالإيمان. وللتو، شعرت في نفسي أني ولدت ولادة ثانية وأنني ذهبت إلى الفردوس من خلال أبواب مفتوحة. وبدأ الكتاب المقدس كله يأخذ معنى جديداً، وفيما كانت عبارة «بر الله» تملأني قبلاً بالكراهية، أصبحت الآن بالنسبة لي حلوة تنم عن حب أعظم لا يُعبر عنه. وأصبحت هذه الفقرة التي ذكرها بولس بوابة السماء بالنسبة لي».

وهكذا فإن فكر لوثر اللاهوتي وخبرته قد اجتمعا معاً. ومن خلال إنجيل التبرير بالنعمة وحدها بالمسيح يسوع وحده، وبالإيمان وحده بحسب ما أصبح واضحاً له، اكتشف لوثر القبول لدى الله، وهو الأمر الذي كان يبحث عنه يائساً طوال سنوات. ولم يصبح لوثر ممن يناقضون المبادئ كما كان منتقدوه يدَّعون في بعض الأحيان،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بأنه يقول إن الأعمال الصالحة ليست لها أهمية، لأنه كان يصرُّ على أنها من ثمر الإيمان. بل وما كان لوثر مبتدعاً، لكنه استعاد بالأحرى الإنجيل الرسولي الأصلي الذي فقدته الكنيسة لفترة ما. وقد كتب وهو بمعرض تفسيره لرسالة غلاطية. «هذا هو حق الإنجيل» وهو أيضاً البند الرئيسي لكل التعليم المسيحي، والذي تتوقف عليه معرفة كل صلاح وتقوى. ولذلك، فمن الضروري تماماً أن نفهم هذا البند جيداً، وأن نعلمه للآخرين، وأن نذكرهم به دائماً. وقد أضاف قائلاً: «إن هذا التعليم هو الذي يصنع في الواقع مسيحيين حقيقيين، لأنه إذا فقدنا بند التبرير، فإننا نفقد أيضاً كل تعليم مسيحي حقيقي».

وعلى ذلك، فإن الأمر يتطلب من الكنيسة، في كل جيل، أن تعيد اكتشاف تعليم التبرير. وقد أطلق عليه بولس «**بشارة نعمة الله**» (أعمال٢٠ : ٢٤، انظر غلاطية ١ : ٦)، والنعمة هي محبة الله التي لا نستحقها والتي لا يمكن أن تُستجدى. وقد تجسدت في أوج بهائها على الصليب. وهي تقدم الخلاص للخطاة كهبة مجانية خالصة. ولذلك فهي لا تترك مجالاً لافتخار الإنسان. وهي تمجد يسوع المسيح وحده. يسوع المسيح مخلصنا الرحيم.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٨ ـ المسيح المعلم الإنسان

إرنست رينان وتوماس جيفرسون

Ernst Renan and Thomas Jefferson

الشكوك التي صاحبت حركة التنوير

إن ما أُطلق عليها «النهضة التنويرية الأوروبية» أو «عصر العقل»، التي ازدهرت أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر، كانت تشكل هجوماً مباشراً على معتقدات الكنيسة التقليدية. و كان قصدها المعلن هو إعلان استقلالية العقل البشري، واستبدال الوحي الإلهي بالعقل، والعقيدة بالعلم، وما هو خارق للطبيعة بما هو طبيعي، وبالنظرة التشاؤمية لحالة الإنسان، بالثقة في كل من الصلاح الجوهري لطبيعة الإنسان، وما ينجم عن ذلك من تقدم اجتماعي لابد منه.

وفي هذه الهجمة العامة على المسيحية القويمة (الأرثوذوكسية)، لم يُترك شخص المسيح دون أن يلحقه أذى. وقدمته حركة التنوير في صورة معلم بشري نحبه. وأكثر التعبيرات وضوحاً لهذا، نجدها في الكتب التي صدرت وهي تحمل عنوان «حياة المسيح» التي انتشرت مع نهاية القرن الثامن عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر، والتي سجل ألبرت سكويتزر ثمانين كتاباً منها في كتابه الشهير، والذي صدر بعنوان: «البحث عن يسوع التاريخي». وكتب سكويتزر يقول «إن الكتبة الأساسيين لهذه الكتب، كانوا شغوفين بأن يصوروه على أنه إنسان خالص حقاً، وأن يجردوه من ثياب البهاء والمجد التي كان يرتديها، وأن يلبسوه مرة أخرى تلك الثياب الخشنة التي كان يرتديها أثناء سيره في الجليل». ومن أشهر الكتب التي صدرت بعنوان «حياة يسوع»، الكتاب الذي كتبه دافيد فريدريك شتراوس بعنوان «حياة يسوع» والذي نُشر في جزئين و١٤٨٠ صفحة، حين كان في السابعة والعشرين من عمره فحسب، وكان ذلك سنة ١٨٣٥،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٨٣٦ . وقد خصص سكوتيزر ثلاثة فصول لهذا الكتاب، وأعلن أنه على الرغم من أنه لم يكن أعظم مفكر لاهوتي ولا أعمقهم، إلا أنه كان أكثرهم إخلاصاً على الإطلاق. وقد وجد أن الأمانة تفرض عليه ألا يعظ بما كان يؤمن به سابقاً. وقد تفحص الأناجيل، من ناحية كل حدث، وطبق مفهومه عن «الأسطورة» على الأمثال الموجودة فيها، حيث وصفها بأنها محض أساطير، على الرغم من أنه كان يؤمن بأن يسوع هو المسيح، وقد اكتسب شهرة وقتية في خضم عاصفة فكر لاهوتي، الأمر الذي دمر مستقبله.

أرنست رينان

ولعل ما هو معروف بالأكثر للقراء الإنجليز هو كتاب «حياة يسوع» «La vie de Jesus» الذي كتبه إرنست رينان (١٨٦٣). وما حدث بالنسبة لشتراوس، حدث أيضاً بالنسبة لرينان، فقد قوبل كتابه بفزع وغضب. والنقد بالنسبة لرينان جاءه من الجانبين. فبالنسبة للأرثوذكس كان هرطوقياً، وبالنسبة لمن ينادون بتحكيم العقل (الليبرالية البروتستانتية) إنه لم يكن ليبرالياً. وقد كتب في مستهل كتابه: «أما وأن الأناجيل تأخذ سمة الأسطورة في جزء منها، فهذا أمر جلي، لأنها عامرة بالمعجزات وما هو خارق للطبيعة. وعلى الرغم من أن يسوع كان يؤمن بأنه المسيا (المسيح) إلا أنه لم يكن الإله المتجسد، وأن «الأناجيل» عامرة بالأخطاء والمعتقدات الخاطئة، وبدلاً من قيامة حقيقية من الأموات، فإن حب امرأة بها مس من الشيطان [وهذه إشارة إلى مريم المجدلية] قدم للعالم إلهاً أُعيد إلى الحياة بعد نوبة إغماء»!

غير أن السبب الذى جعل كتاب رينان عن «حياة المسيح» يجذب أيضاً قراء يقدرونه، هو ما كان يبديه مؤلفه من إعجاب واضح، بل وإخلاص ليسوع. وقد كتب رينان عن «قلب يسوع الحساس العطوف»، وعن «شخصيته الوديعة الجذابة». بل إنه كتب عن «ألوهية يسوع»، ولكنه لم يكن يعني ما يقول. وبعد أن حكى رينان قصة موت يسوع، خاطبه شخصياً بقوله: «استرح الآن في المجد أيها المبدع النبيل. لقد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أكملت عملك، وترسخت ألوهيتك. وسوف يمتدحك العالم لآلاف السنين... ولن يفرق الناس بعد، بينك وبين الله». ومع ذلك، لا يجب أن تخدعنا هذه النوعية من الإطراء البلاغي. فهو يقول لنفسه. «هذا الشخص المهيب... قد ندعوه إلهاً، ولكن ليس بمعنى أن يسوع قد توافرت فيه كل السمات الإلهية... بل بمعنى أن يسوع هو الذي دفع أتباعه لاتخاذ أعظم خطوة نحو الله». غير أن المحصلة النهائية هي أنه إنسان. دعونا إذاً نضع شخص يسوع في أعلى قمة العظمة البشرية. لأنه بين الأشخاص المتوسطي المقدرة وهي السمة الشائعة، توجد أعمدة ترتفع نحو السماء. «وكان يسوع أكثر هذه الأعمدة علواً».

وفيما يلي نوجز ما انتهى إليه رينان:

وأياً كانت الظواهر غير المتوقعة التي قد تظهر مستقبلاً، فلن يوُجد من يتفوق على يسوع. وأن عبادته سوف تجدد شبابها بشكل مستمر. وسوف تسبب قصة حياته دموعاً لا نهاية لها، وسوف ترق لآلامه أفضل القلوب، وسوف تعلن كل الأجيال أنه من بين أبناء الرجال لم يولد من هو أعظم من يسوع.

توماس جيفرسون

وثمة مثال بارز بصفة خاصة لتفكير أتباع حركة التنوير نجده في شخص توماس جيفرسون، وهو المهندس الرئيسي لإعلان الاستقلال الأمريكي (١٧٧٦) وثالث رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٠١-١٨٠٩). وكان رجلاً عبقرياً، وكان في ذات الوقت مخترعاً، مهندساً، ومزارعاً، وفيلسوفاً، ورجل دولة، ودبلوماسياً، ومؤسساً لجامعة فيرجينيا. وكان في الوقت نفسه مفكراً حرا، يؤمن بمذهب الربوبية (deist). وعلى الرغم من أنه كان يبجل يسوع لنزعته الخيرية وتعليمه الأخلاقي، إلا أنه رفض المعجزات لتنافيها مع العقل وطبيعة الأمور، كما رفض كل الأسرار، مثل عقيدة الثالوث القدوس. وعلى ذلك كان مصراً على إيجاد مسيحية دون عقيدة، ويسوع دون معجزات، و كتب يقول: عندما نتخلى فعلاً عن الكلام غير المفهوم عن ثالوث قدوس

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

حسابي بأن ثلاثة هم واحد، وأن واحداً هو ثلاثة. وباختصار.. عندما نتخلى عن كل شيء تم تعليمه منذ أيامه [المسيح]، ونعود ثانية إلى التعاليم النقية البسيطة التي غرسها في أذهاننا، هنا فقط، سنصبح تلاميذه حقاً وعن جدارة.

وبناءً على ذلك، استخدم جيفرسون طريقة القص واللصق وأخرج طبعته الخاصة من الأناجيل، والتي استبعد منها كل المعجزات والأسرار. الأول لم يستغرق عمله سوى ليلتين أو ثلاث ليال في «البيت الأبيض»، وقد أطلق عليه اسم «فلسفة يسوع الناصري» (١٨٠٤). ولم يتضمن سوى تعليمه الأخلاقي، وقد جمعه في إطار موضوعات. أما الثاني الذي أُطلق عليه «إنجيل جيفرسون» فقد ظهر سنة ١٨٢٠ وكان عنوانه «حياة يسوع الناصري وأخلاقياته». وتضمن سرداً لحياته، ولكنه اختُتم فجأة بموته:

«لقد دحرجوا حجراً كبيراً على مدخل القبر، وانصرفوا» هذه هي الكلمات الأخيرة، ولا نجد فيه ذكراً للقيامة!

وادَّعى جيفرسون أن عمله جاء وليد العقل. وكما كان الحال بالحقائق البديهية الخاصة «بإعلان الاستقلال» الذي أعلنه، هكذا أيضاً بالنسبة لتعليم المسيح، فقد نظر إليه كموضوع بسيط لا يتطلب سوى فرز ما هو حق من بين السخافات التي دُفن فيها... أي أن تُفرز الجوهرة من النفايات. ولكن هذه الطريقة جاءت وليدة ثقة بالنفس لا مبرر لها، وأن معاييره كانت إلى حد كبير غير موضوعية. وبينما ضاع الإنجيلان اللذان أعاد جيفرسون تركيبهما ولم يعد لهما أي وجود الآن، فإن الأناجيل نفسها مازالت باقية حتى الآن.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٩- المسيح الضحية المأساوية

چون مكاي John Mackay

الجمعة الحزينة بدون القيامة

ترتبط صوره يسوع، النموذج الأخلاقي الأمثل، بالقرون الوسطى، وينتمي يسوع الذي بنعمته خلصنا إلى حركة الإصلاح الديني، أما يسوع المعلم الإنسان فينتمي إلى القرن الثامن عشر (حركة التنوير). وهذه النواحي الثلاث كلها أوروبية. ولذلك، فقد حان الوقت لنتأمل صورة كنسية أخرى ليسوع، بدأت في أسبانيا ثم تطورت، وأخذت شكلها الأهلي في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية.

وفي هذا العرض، سأعتمد على كتاب شهير نُشر سنة ١٩٣٢م تحت عنوان: «المسيح الآخر الأسباني» وكان مؤلفه اسكتلندياً يدُعى چون مكاي، الذي بعد دراسته في أسبانيا واكتشافه النفس الأسبانية، أمضى عشرين سنة كمرسل مشيخي في ليما، وبيرو (حيث كان أول شخص بروتستانتي يشغل كرسي الفلسفة في جامعة بيرو الأهلية) وفي مونتفيديو بأورجواي، وفي مكسيكوسيتي. وفي وقت لاحق من (سنة ١٩٣٦إلى ١٩٥٩م)، أصبح چون مكاي، الرئيس الشهير لكلية اللاهوت في برنستون.

أما كتاب مكاي الكلاسيكي والذي يحمل عنوان: «المسيح الآخر الأسباني» دراسة في التاريخ الروحي لأسبانيا وأمريكا الجنوبية، فهو يعيد سرد القصة الرهيبة للغزاة الأسبان الذين قهروا شعوب القارة الأصليين، واستعمروهم بالقوة الغاشمة مع بداية القرن السادس عشر.

ولكن، ما هي صورة يسوع التي قدمتها الكاثوليكية الأسبانية لأمريكا اللاتينية؟ يرد مكاي على هذا السؤال بقوله إن المسيح الذي جاء إلى أمريكا اللاتينية كان شخصاً مأساوياً. لقد كان المسيح أمامنا باعتباره الضحية المأساوية. وقد رسمه الفنانون الدينيون الأسبان «وهو مجروح، ذو وجه شاحب، فاقد الحيوية، ملطخ بالدماء»، ورسمه آخرون مسيحاً

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مشوهاً يناضل ضد الموت، وثمة صور أخرى تظهره مستكيناً وقد استسلم للموت... وهذه إشارات إلى مأساة لم يتم الخلاص منها.

كتب مكاي عن صورة معينة: «لقد مات وإلى الأبد. وأصبح تجسيداً للموت نفسه...» هذا المسيح... لم يقم ثانيةً، وبعد ذلك يستشهد بما قاله الفيلسوف الوجودي مجويل دى أونامونو الذي عاش في بداية القرن العشرين، والذي قال: «هذا الجثمان ... المسيح... يرقد أفقياً ويمتد مثل الطائرة، بدون روح، وبدون رجاء، وبعينين مغلقتين تواجهان السماء». ويعلق مكاي بقوله: في الديانة الأسبانية كان المسيح مركز ديانة الموت، وهو مسيح عُرف في الحياة كطفل، وفي الموت كجثمان، وكانت الأم العذراء تشرف على طفولته البائسة ومصيره المأساوي.

وعلى غرار ذلك، يظهر المسيح الكريبولى[1]، في دورين مثيرين - دور طفل بين ذراعي أمه، ودور ضحية متألم ينزف دماً. وهي صور مسيح وُلد ومات، ولكنه لم يعش أبداً - ويمكن أن نضيف أنه لم يحيا ثانيةً على الإطلاق، أي أنه لم يقم إطلاقاً!

ومما يجذب الانتباه بالتأكيد، أنه بعد خمسين سنة من بقاء چون مكاي في بيرو، قام الراحل هنري نووين بزيارة إليها، وقد توصل الرجلان - المرسل المشيخي والقس الذي من طائفة الروم الكاثوليك - إلى نفس النتيجة. فقد كتب هنري نووين في مذكراته، أنه في كنائس وسط المدينة في ليما، أصبح التقديم المتعدد الصور للمسيح المتألم هو الانطباع الطاغي. غير أن أكثرها تكراراً، كما يقول نووين مواصلاً كلامه: «كان مذبحاً ضخماً تحيطه ست كوات في حائط، وبداخل كل منها صور ليسوع في أوضاع مختلفة أليمة: يظهر فيها مقيداً إلى عمود، أو راقداً على الأرض، أو جالساً على صخرة، الخ...، وفي جميعها يظهر عرياناً تغطيه الدماء.... ولم أر أية علامة تشير إلى القيامة، ولم يذكرني أي مكان بحقيقة أن المسيح غلب الخطية والموت، ثم قام من الموت منتصراً وخرج من القبر. كل ما رأيته كان يذكرني بالجمعة العظيمة. أما القيامة فلم يكن لها في هذه الصور وجود.... والتركيز الذي اقتصر تقريباً على جسد يسوع الممزق لمست فيه تغييراً لإنجيل الأخبار السارة حيث جعلوا منه قصة تخيف الناس، ولكنها لا تحررهم».

---

(١) الكريبولى: أحد مواليد أمريكا اللاتينية المنحدرين من أصل أوروبي أو أسباني. (المترجم).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وإذ ألفت الانتباه إلى هذه الصور الشائعة في أمريكا اللاتينية والتي تصور المسيح عاجزاً، لست أعني بهذا أنها الصور الوحيدة المعروفة لمسيحيي أمريكا اللاتينية. ذلك أن كتاب مكاي، كان وعن عمد يحمل عنوان: «المسيح الأسباني الآخر» لكي يبين أن هناك تقليداً بديلاً، حتى وإن لم يكن له وجود الآن تقريباً. إنه تقليد الصوفيين الأسبان في القرن السادس عشر، وكان رائدهم هو النبيل ريموند لول.

وُلد ريموند لول في مايوركا سنة ١٢٣٦م، وكان وهو شاب، أحد افراد الحاشية الملكية، وكان يبحث عن الملذات، كما كان جندياً. وعلى الرغم من ذلك، فإنه بعد تجدده، تبلورت في ذهنه ثلاثة أهداف للحياة:

(١) أن يكتب كتاباً دقيقاً يثبت فيه أن المسيحية ديانة صحيحة وأن الديانة التي تهاجمها ديانة باطلة.

(٢) أن يؤسس كليات تعلم لغات الإرسالية.

(٣) أن يموت كشهيد من أجل اسم المسيح. ثم قام بعد ذلك بثلاث رحلات تبشيرية لشمالي أفريقيا عندما كان في سن الخامسة والستين، والسبعين، والثمانين من عمره. وكان في كل سفرية يتسم بالشجاعة ويكرز بالمسيح علانية باللغة العربية في ساحة المدينة. وفي المرتين الأوليين، تم القبض عليه وسُجن ثم طُرد من البلاد. أما في زيارته الثالثة فقد قام الجمهور الغاضب بجره على الأرض حتى شاطئ البحر ورجموه حتى الموت.

وفيما يلي واحدة من أروع عباراته التي لاتُنسى: «إن صورة المسيح المصلوب نجدها بالأكثر في الناس الذين يتمثلون به في سلوكهم اليومي عن التي نجدها على الصلبان المصنوعة من الخشب.... والذي لا يحب لا يعيش. والذي يعيش بواسطة الحياة [يقصد المسيح] لا يمكن أن يموت».

ثم جاء الصوفيون الأسبان في القرن السادس عشر، وكان أكثرهم شهرةً سان جوان

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

دى لاكروز، وسانت تريزا من أفيلا. أما القديس يوحنا الصليبي، فقد اشتهر بقصائده الشعرية: «الليلة المظلمة للنفس»، «أنشودة روحية للنفس»، في حين أن كتابي «طريق الكمال» و«القلعة الداخلية» يذكراننا بالقديسة تريزا. وكلاهما كانا يعبران عن «نفوس عظيمة متوحدة» كما كانا يعبران عن النزعة الفردية الإسبانية. وكلاهما كُرسا بحب للمسيح. وكانت القديسة تريزا تجمع بين شخصيتي مريم ومرثا. وكانت تردد دائماً قولها لراهباتها: «الرب يمشي بين القدور والأواني»، وكانت تصف المسيح دائماً بقولها «عظمته الإلهية» وكان يوحنا الصليبي وتريزا - كل بطريقته الخاصة - يتمردان على المؤسسة. وقد استمر تقليدهما حتى القرن العشرين على يد دون مجويل دى أونامونو، الذي كان مكاي يقول عنه إنه «قديس مسيحي متمرد»، وريكاردو روجاس، رئيس جامعة بيونس أيرس في عشرينيات القرن الماضي، ومؤلف الكتاب المثير بل والاستفزازي «El Cristo Invisible» (المسيح غير المنظور) والذي صدر سنة ١٩٢٧، وهو الناقد الراديكالى لكاثوليكية أمريكا اللاتينية.

ولو كان چون مكاي يكتب عن أمريكا اللاتينية في النصف الثاني وليس في النصف الأول من القرن العشرين، لكان دون ريب قد ضَّمن كتاباته أجزاء كبيرة عن ظهور لاهوت التحرير وعن ظاهرة نمو كل من الكنائس الخمسينية، والحركة الكاريزماتية في إطار الكنائس الرئيسية. وهذه التطورات تشكل نواحي أخرى من كتاب «مسيح أسباني آخر». وسوف نناقش ظاهرة الكنائس الخمسينية الآن، أما لاهوت التحرير فسوف نناقشه لاحقاً.

وحيث أن الكنائس الخمسينية أصبحت ظاهرة عالمية، فمن المؤكد أنه يجب نسبتها إلى عمل الروح القدس ونشاطه، في الوقت نفسه لا يكون عادةً بشكل مباشر، بل من خلال مناسبات اجتماعية جارية. وأفضل تحليل ربما لا يزال يتمثل في كتاب دافيد مارتن «ألسنة النار»: وهو شرح لانتشار البروتستانتينية في أمريكا اللاتينية.

وعلى عكس التهديد بتغير اجتماعي سريع، تقدم العقيدة الخمسينية المأوى، أو

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ماأُطلق عليه «ملاذاً آمناً للجماهير»، وتوفر الشعور بالقرب والحماية في المزارع الأمريكية اللاتينية. وللعقيدة الخمسينية أربع سمات رئيسية: (١) أصلها لاتيني: فهي ذات صبغة أهلية (في حين أن كهنوت كنيسة الروم الكاثوليك أجنبي في أساسه)، كما أنها حماسية وعاطفية، (٢) المشاركة الفعلية، فهي من الناس العاديين وتدعو إلى المساواة، وتضم أناساً لم يكن لهم في السابق أي صوت، ولا قوة، وكانوا من المهمشين، (٣) بركات مادية، تعد بتحسين النواحي الاقتصادية، والشفاء البدني، والحرية من القلق، (٤) عائلة بديلة، «فالعقيدة الخمسينية» تخلق شبكة توفر الحماية وتعيد بعضاً من التضامن، وهياكل السلطة التي نجدها في المزارع الكبيرة في أمريكا اللاتينية.

وخلاصة القول، في مواجهة الارتباك الناجم عن الانتقال من المزارع الكبيرة إلى المدن الكبرى، ونتيجة تأثير الحداثة، تقدم العقيدة الخمسينية رجاءً، وعلاجاً، ومجتمعاً وشبكة تربط فروعها. وتقدم تأكيداً للقيمة والكرامة الشخصية، وبذلك تؤدي إلى اكتشاف هُوية جديدة.

وعلى ذلك، نجد في كنائس أمريكا اللاتينية العديد من الصور المختلفة للمسيح، وأن كلاً منها في حاجة إلى الأخرى. وعلينا أن نحذر من اختلال التوازن، فليست لنا الحرية في أن نكرز بالطفل يسوع دون الحياة التي أدت إليها طفولته، ولا بحياته وموته بدون القيامة المجيدة، أو بيسوع التاريخي الموضوعي دون العبادة الشخصية له، أو بعبادته التقليدية عن طريق ممارسة الطقوس الدينية، أو عبادته بطريقة محترمة دون أي فرح كارزماتي أو تلقائي. بل وليس لنا أن نتغافل عن صورة يسوع المحرر، بدعوته الواضحة العالية للحرية، التي ننعم بها الآن.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٠ـ المسيح المحرر الاجتماعي

جوستافو جوتيريز Gustavo Gutierrez

أخبار سارة للفقراء

قُدم يسوع في العهد الجديد على أنه محرر العالم الأسمى، وهذا أمر لا جدال فيه، لأنه قال عن نفسه: «**إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحق والحق يحرركم**» (يوحنا ٨: ٣١). وكتب بولس إلى الغلاطيين يقول: «**فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها**» (غلاطية٥: ١). وهكذا، فإنه في كل حقبة من تاريخ الكنيسة، كان «الخلاص» يفسَّر على أنه نوع من «الحرية».

وعلى الرغم من ذلك، فإنه منذ ربع قرن مضى، أي في سبعينيات القرن العشرين، ظهر في أمريكا اللاتينية ما عُرف باسم «لاهوت التحرير». من أشهر مؤيديه: روبيم ألفيز (لاهوت الرجاء،١٩٦٩)، جوستافو جوتيريز (لاهوت التحرير، ١٩٧١)، هوجو أسمان (تحريرمن القمع: تحد للمسيحيين، ١٩٧٢)، أورلاندو كوستاس، الذي تميز بينهم بقوله إنه إذا كان ألفيز هو نبي الحركة، وأسمان هو المدافع عنها، فيكون جوتيريز هو مفكرها اللاهوتي النظامي.

و تمثلت خلفية كتاب جوستافو جوتيريز الذي يتضمن بذور التطور- وعنوانه الفرعي «التاريخ، والسياسة والخلاص» - في الوضع الاجتماعى فى أمريكا اللاتينية التى كانت قارة تعاني وطأة القمع. وعلى الرغم من أنها تحررت مع بداية القرن التاسع عشر من حكم أسبانيا والبرتغال الاستعماري، إلا أن جمهوريات أمريكا اللاتينية كانت ولا تزال تعاني من العبودية السياسية والاجتماعية. أما البروفسور جوزيه ميجيز بونينو، الذي ألقى أول محاضراته في لندن سنة ١٩٧٤ تحت عنوان: «المسيحيون والماركسيون: التحدي المشترك للثورة»، فقد بدأ كتابه اللاحق «الفكر اللاهوتي الثوري قد نضج»، مع تحليل تاريخي موجز. وقد أشار إلى أن المسيحيين دخلوا أمريكا اللاتينية على مرحلتين متساويتين

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

من القمع، وإن كانتا مختلفتين، وهما: الاستعمار الأسباني (الكاثوليكية الرومانية)، والاستعمار الجديد لشمالي الأطلنطي (البروتستانتية). وبرغم ذلك، فليس معنى هذا أن السيطرة كانت برمتها من الخارج. ذلك أن «دوم هيلدر كامارا» رئيس الأساقفة السابق للروم الكاثوليك في ريسيفي Recife بشمال شرقي البرازيل - ظل يحتج ضد «الاستعمار الداخلي»، أي استمرار القمع السياسي والاقتصادي على يد حكومات الأقليات من الجناح اليميني للأمريكيين اللاتينيين أنفسهم، وكذلك على يد الحكومات العسكرية.

ولا يمكن أن يشكك أحد في التعاطف المخلص الذي يبديه جوتيريز ورفقاؤه المناصرون لمبدأ الحرية للمطحونين، وهو يطالب الكنيسة أن تلتزم بتحرير يتسم بالمزيد من الطابع الإنجيلي، والمصداقية، والانتظام. و قد اقتبس عدة مرات - وهو يشعر بالرضا - قول ماركس الشهير بأن «الفلاسفة فسروا لنا العالم فحسب... ومع ذلك فالمطلوب هو تغييره». ويرى جوتيريز أن عملية التحرير والتغيير ما هي إلا «السعي لتحقيق التطلعات الأساسية لغاية الإنسان وهي: الحرية، والكرامة وإمكانية الاكتفاء الذاتي للجميع».

وإذ عُرفَّت الحرية على هذا النحو، فمن ثم يتعين على كافة المسيحيين أن يلتزموا بالحرية التزاماً أكيداً وبشكل متساو. والواقع، أن البروتستانت الذين من بيننا، قد يشعرون بالخجل بأننا لم نكن في طليعة حركة التحرير، وأننا لم نطوّر لاهوتاً إنجيلياً للتحرير. وبالنظر إلى أننا نؤمن أن الله خلق الإنسان على صورته ذكراً وأنثى خلقهم، ولما كان الناس قد خُلقوا على صورة الله، لذلك فإن لهم قيمة فعلية، وعلى أساسها يتوجب أن يخُدموا لا أن يُستغلوا، وإنه من واجبنا باسم المسيح أن نقاوم كل ما من شأنه أن يحط من قيمة الإنسان، ونكون ضد أي شيء، وكل شيء، يعوق حرية الإنسان وكرامته.

وهذا يثير سؤالاً مباشراً. لقد كان لاهوت التحرير الأصلي موجهاً ضد القمع الاجتماعي، السياسي، والاقتصادي. غير أنه منذ ذلك الحين، قامت نظم لاهوتية تحريرية أخرى. فهناك لاهوت التحرير لداليت، يتناول موضوع المنبوذين في الهند، ولاهوت تحرير للسود في الولايات المتحدة الأمريكية وأفريقيا، يتناول موضوع التفرقة العنصرية، ولاهوت تحرير لأنصار حقوق المرأة، ويتناول موضوع التفرقة بسبب الجنس (من حيث الذكورة والأنوثة)،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وكذلك تحرير الشواذ يتناول موضوع التوجه الجنسي[1]. وتصر المقاومة السياسية على أن هؤلاء جميعاً متساوون في الحقوق، وأنه لا يجب السماح بأي تمييز طبقي، أو عنصري، أو بسبب الجنس (من حيث الذكورة أو الأنوثة)، أو التوجه الجنسي. وعلى الرغم من ذلك،فإن وجهة النظر المسيحية تختلف عن ذلك. وحقاً، كما ذكر بولس الرسول: «**ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع**» (غلاطية ٣: ٢٨). ويُعد هذا النص ميثاقاً للحرية المسيحية، غير أنه يجب تفسيره بعناية وبضمير حسن. وهذا النص يؤكد على أننا في علاقتنا بالمسيح بالإيمان، ليس ثمة مجال للتمييز بسبب العرق، أو النواحي الاجتماعية أو الجنسية. فنحن متساوون في القيمة والكرامة أمامه. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه التفرقة لم تلغ. وأصلنا العرقي مازال يعد جزءاً أساسياً من هويتنا. فالرجال أيضاً مازالوا رجالاً، والنساءُ نساءً، ولهم وظائف وأدوار جنسية مختلفة، لكن متساوية فى الكرامة. ولذلك، نحن في حاجة إلى إعادة تعريف معنى التحرير. فالمقصود به الحصول على حريتنا من أي شيء، ومن كل شيء يحول دون أن يصبح البشر ما أرادهم الله بالخلق والفداء أن يكونوه - وهذا يتضمن الزواج بين الذكر والأنثى، وهو شركة تدوم طوال العمر في محبة، بحسب ما رسمه الله وأقره يسوع المسيح. وهناك سمة بارزة أخرى في لاهوت التحرير تتمثل في تأكيده على التطبيق العلمي «كأسلوب جديد للقيام بالفكر اللاهوتي». وأول خطوة في «القيام بالفكر اللاهوتي»، كما يقول جوتيريز، ليس أن تفتح الكتاب المقدس، بل أن تقطع على نفسك التزاماً جاداً بأن تجاهد في سبيل التحرير.

وهكذا، فإن أول نص ينبغي دراسته ليس نصاً كتابياً، (١) بل نصاً اجتماعياً، وهو، الحقيقة المحيطة بنا، واختيارنا لها. وهنا فقط نكون على استعداد للخطوة التالية وهى (٢) «دراسة» كتابية. وعلى ذلك عُرّف الفكر اللاهوتي بأنه تأمل في غاية الجدية، في المسيحية العملية التطبيقية على ضوء كلمة الله. أما السياق الضروري لاتخاذ هاتين الخطوتين فهو «قاعدة المجتمعات الكنسية» أي عامة الشعب من المسيحيين العاديين. ولا ريب فى أن

(١) التوجه الجنسي هو الانجذاب نحو الجنس الآخر، مثل انجذاب الرجل نحو المرأة (توجه طبيعي) أو انجذاب نحو الجنس المماثل (توجه شاذ) أو الاثنين معاً (توجه شاذ).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الكثيرين قد وجدوا أن هذه عملية تنويرية لها مطاليبها. وعلى الرغم من ذلك، فقد يكون هناك تساؤل من ناحية ما إذا كانت هاتان الخطوتان تُتخذان بنفس الترتيب، وبشكل مختلف، شريطة أن تتداخل «الكلمة» والعالم مع بعضهما البعض بشكل خلاق. وفى الواقع، قد يحدث نتيجة البدء بدراسة جادة للواقع الاجتماعي، أن تُهمل الدراسة الجادة للنص الكتابي. ويشكو أندرو كيرك من أنه لم يقم أحد من كتبتنا بعمل دراسة تفسيرية للفقرات (المألوفة)، ومعظمهم لم يحاولوا أن يتحققوا من الناحية التفسيرية من صحة طريقتهم أو استخدامهم للنص. وهذا يكون واضحاً على وجه الخصوص حين يتأمل المرء استخدام التحرريين لموضوع الخروج. فهم ينظرون إليه كمثال لأي شكل من أشكال الخلاص من القمع أياً كان، دون معرفة كافية بأن خروج إسرائيل من العبودية في مصر هو أمر فريد. فلم يكن عملاً من الأعمال التي تبين قدرة الله (بيد قوية)، ولكن هذا تم تحقيقاً لميثاق الله مع إبراهيم وإسحق ويعقوب (خروج ٢ : ٢٤). وإعداداً لتجديده على جبل سيناء (خروج ١٩ :٤-٦). ونرى نفس الافتقار إلى الدقة في التفسير، في الكلمات التي استُخدمت في الخلاص. ويعترف جوتيريز بالفرق بين الخلاص (من الخطية والموت)، والتحرير (من الفقر والقمع)، غير أن ذلك قد لا يكون واضحاً بشكل كاف. ولقد وردت شكوى في هذا الصدد من مصدر لم يكن متوقعاً، وهو الأسقف ك. هـ.تنج من شنغهاى، والذي كان لسنوات طويلة رئيساً للمجلس المسيحي الصيني. فعندما قدم لاهوت التحرير لطلبة كلية اللاهوت بنانجينج سنة ١٩٨٥، قال: «لاهوت التحرير أمر طيب حتى أننا نتألم لعدم قدرتنا على قبوله في جملته». غير أن «الموضوع الأبدي للمسيحية وفكرها اللاهوتي لا يجب أن يكون سياسياً... بل يجب أن يكون بالأحرى مصالحة الإنسان مع الله... فالمصالحة بين الله والبشر هي الموضوع الأبدي للفكر اللاهوتي المسيحي».

إن المزيد من التوضيح لهذا الموضوع يظل أمراً حيوياً. أما وليام لازاريس، الذي كتب مقدمة كتاب بونينو «الفكر اللاهوتي الثوري بلغ درجة النضج»، فقد وجد أنه من الضروري طرح الموضوعات التالية:

الموضوع الحاسم بالنسبة للاهوت التحرير هو علاقة الحرية المسيحية بالحرية السياسية. فبأي سلطان رسولي يمكننا دمج التحرر من الخطية والموت والشيطان مع التحرر من الظلم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

والقمع الفقر. وبتعبير شخصي بالأكثر، كيف نربط بين أنشطة القرن الأول ليسوع وبولس مع أنشطة القرن العشرين لشي جيفارا وكاميلو توريز؟ هل هي متشابهة، أم مكررة، أم مختلفة، أم أنه لا صلة بينهما.

وبالنسبة لي، فإني سعيد بأن اتفاقية لوزان (١٩٧٤) تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر. وفيما يلي الفقرة الخامسة التي وردت تحت عنوان: «المسئولية الاجتماعية المسيحية».

«نحن نؤكد أن الله هو خالق وديان كل البشر. ولذلك يتوجب أن نشارك اهتمامه بالعدل والمصالحة في جميع أنحاء المجتمع الإنساني، ولتحرير الإنسان من كافة أنواع القمع، لأن البشر قد خُلقوا على صورة الله، وكل إنسان بغض النظر عن جنسه، ديانته، لون بشرته، ثقافته، ذكراً كان أم أنثى، سني عمره (شيخاً كان أم طفلاً) له كرامته. وبمقتضاها يجب أن يُحترم ويُخدم، ولا يُستغل. وهنا أيضاً نعبر عن ندمنا وأسفنا لإهمالنا، ولأننا في بعض الأحيان اعتبرنا الكرازة والاهتمام بالنواحي الاجتماعية على أنهما متبادلان على سبيل الحصر. وعلى الرغم من أن المصالحة مع الإنسان ليست مصالحة مع الله، والعمل الاجتماعي ليس كرازة، والتحرر السياسي ليس خلاصاً، فإننا على الرغم من ذلك، نؤكد على أن الكرازة والعمل الاجتماعي السياسي كليهما يشكلان جزءاً من واجبنا المسيحي، لأن كليهما من التعبيرات الضرورية لتعاليمنا عن الله وعن الإنسان، وعن محبتنا لقريبنا، وطاعتنا ليسوع المسيح...»

وعلينا الآن أن نعود إلى يسوع المحرر، وإلى اعتقاد الشباب المثاليين بأنه نصير الفقراء والمضطهدين. وحين سقط سلفادور أليندى، الرئيس الماركسي سنة ١٩٧٣، عُقد اجتماع حاشد للطلبة الماركسيين في كويتو بالإكوادور. وكان الواعظ هو ليونيدس بروانو، أسقف ريوبامبا، والذي على الرغم من أنه معروف بأنه «Obispo rojo» (الأسقف الأحمر) إلا أنه لم يكن في الحقيقة ماركسياً، لأنه كان يصر على أن الذي يحفزه على الخدمة لم يكن كارل ماركس، بل يسوع المسيح، الذي جعل نفسه واحداً مع الفقراء. ولذلك، فإنه في الحشد الذي عُقد من أجل أللليندي، أعلن يسوع الحقيقي العطوف، ويسوع منتقد المؤسسة، يسوع الحقيقي الذي في الأناجيل. وأثناء فترة طرح الأسئلة التي أعقبت ذلك، أجاب الطلبة: لو كنا قد عرفنا يسوع «هذا» فحسب، لما كنا قد أصبحنا ماركسيين على الإطلاق.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١١ـ يسوع المسيا اليهودي

ن.ت. رايت N.T. Wright

«السبي والخروج»

كانت الدوستية من بين الحركات الهرطوقية التي ظهرت أيام الكنيسة الأولى، وهي تقول إن بشرية المسيح وآلامه وموته كانت أموراً وهمية (من dokein، بمعنى تبدو) وليست حقيقية. وعلى أساس وجهة النظر اليونانية بأن المادة شر، أنكر الدوستيون حقيقة بشرية يسوع، ولذلك أنكروا التجسد والكفارة أيضاً. ولقد أدرك يوحنا الرسول خطورة هذا التعليم، وواجهه في إنجيله وأيضاً في رسائله. ولذلك كتب يقول: «**لأنه قد دخل إلى العالم مضلّون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد. هذا هو المضل وضد المسيح**» (يوحنا الثانية ٧).

وبعض الناس في أيامنا هذه يتبعون هذه الهرطقة دون أن يدروا. وهم يعلمون أن ما يتم إنكاره في هذه الأيام هو لاهوت المسيح وليس ناسوته. ولذلك يستنزفون وقتهم وطاقتهم لإقامة الدليل على ألوهيته إلى درجة أنه من خلال هذه العملية لا يصبح بعد ذلك إنساناً حقيقياً.

وعلى الرغم من ذلك، فبالنظر إلى أن يسوع إنسان كامل، فقد كان أيضاً شخصية تاريخية،عاش في زمن معين، وفي مكان معين، وفي ثقافة معينة. وهذه الخصائص كلها تشكل جزءاً من حقيقته التاريخية. وإنكار هذه الخصائص معناها إنكار بعض النواحي الأساسية من هويته.

في عام ١٩٣٧، قام أحد مفكري جامعة هارفارد، وهو هنري ج. كادبرى بتقديم كتابه «The peril of Modernizing Jesus» (خطورة إضفاء الطابع العصري على يسوع). وأشار

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

فيه إلى أن كبار الرسامين الإيطاليين والهولنديين لا يمكنهم أن يعملوا بوضوح شيئاً يماثل ما كانت عليه فلسطين في تلك الأيام، بل إنهم لم يحاولوا أن يفعلوا ذلك. و عوضاً عن هذا، أضفوا السمة العصرية على الشخصيات التي كانوا يرسمونها. لقد رسموا آدم وهو في جنة عدن سويدية فاخرة. ورسموا دليلة وهي تقص شعر شمشون بمقص فضي مزخرف. أما مريم المجدلية، فقد رسموها وهي تضع على رأسها شعراً مستعاراً من أوروبا! في حين أن الخلفية لهذه الرسومات طوال الوقت، إما أنها إيطالية، أوهولندية. وعلى النقيض من ذلك - كما يذكر كادبري، كان الهدف من كتابه هو «أن يخفض طابع الحداثة من صورة يسوع إلى أدنى حد ممكن، وفي ذات الوقت يبرز أصالته ولا يذهب إلى عكس ذلك وبطريقة مبالغ فيها»، حتى لا نستخدم الأساليب المهجورة بشكل مفرط في رسمه. والفصل الثالث من كتابه جاء عنوانه: «يهودية الأناجيل». وفي هذا الفصل يشدد على إبراز الهوية اليهودية ليسوع نفسه، لأننا نميل إلى نسيان السياق الفلسطيني ليسوع في القرن الأول، لكي نوجد يسوع على شبهنا وبشكل يروق لنا. ونحن نفعل فى ذلك ما سبق أن عمله جنود بيلاطس عندما خلعوا عنه ثيابه، وألبسوه رداءً عسكرياً قرمزياً، وأخذوا يسخرون منه. «ولقد ألبس الجنود يسوع ملابس من نفس نوعية ملابسهم. ونحن نميل إلى عمل الشيء نفسه في أيامنا هذه. ونحن نلبسه «من نفس أفكارنا».

وفي إطار يهودية يسوع، أود أن أشير إلى كتاب مفكر لاهوتي معاصر هو د. توم رايت N.T. Write. وهو من المتخصصين في دراسة العهد الجديد، ويتميز بقدراته العالية، وهو يكتب في المجالين الأكاديمي والعام، كما أنه مدافع قوي عن المسيحية المستقيمة ضد - على سبيل المثال - الاختزال المبالغ فيه بالنسبة للندوات المتعلقة بيسوع (Jesus Seminar).

وكان التنبيه الأساسي للدكتور رايت منصباً على ضرورة وضع يسوع في إطار السياق الذي كان فيه إبان القرن الأول، وهو يهودي فلسطيني، ونظريته الأساسية هي أن السبي البابلي لإسرائيل (الذي بدأ سنة ٥٨٧ ق.م)، على الرغم من أنه انتهى «جغرافياً» في وقت لاحق من القرن السادس إلا أنه من الناحية اللاهوتية انتهى فى القرن الأول الميلادي. فقد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

كانت إسرائيل لا تزال تحت السيطرة الأجنبية، أما الآن، فإن المسيح سيخلصهم في خروج جديد، سيكون ذروة التاريخ.

وعلى ذلك، فإن يسوع، بإعلانه بداية الملكوت، كان يعلن أيضاً عن نهاية السبي. وعلى الرغم من ذلك، كانت رسالته تختلف تماماً عن الخيارات المألوفة حينذاك. وهذه كانت (١) خيار قمران بالعزلة والهدوء، (٢) خيار هيرودس الملك بالتنازلات السياسية و(٣) خيار الغيوريين بالثورة العنيفة.

وبدلاً من هذه الخيارات، كان يسوع يتنقل من قرية لأخرى، يدعو الناس إلى التوبة (بمعنى رفض الخيارات الأخرى)، وقبول مبادئه الجذرية المضادة (بمعنى أسلوب الملكوت بعدم الانتقام، والرحمة ومحبة الأعداء). وبهذا يكون قد تم إعادة تعريف إسرائيل وتشكيلها من جديد، حيث شكَّل الرسل الإثنا عشر نواتها، ويسوع هو مركزها وقلبها.

وعطية يسوع المتمثلة في المغفرة، تبين أن السبي (عقوبة الخطية) قد انتهى. ومعجزاته الشافية كانت تخلص الناس من عجزهم وأمراضهم (العمى، الصمم، الخ)، و التي كانت تستبعدهم من مجتمع قمران، كما كانت، تبين أن مجتمع الملكوت - يتسم بصفات أساسية قاصرة فقط على هذا المجتمع. ثم إن ترحيبه بالمنبوذين وتناول الطعام معهم، يشير إلى أن الوليمة المسيانية (وليمة الفرح مع يسوع) قد بدأت. وعلاوةً على ذلك، فإنه على شعب ملكوته أن يتخلوا عما يشغلهم بهويتهم، ويقبلوا بدلاً من ذلك مهمتهم بأن يكونوا نور العالم: إسرائيل جديدة، ومن خلال النور الحقيقي يتبارك العالم.

هل كان يسوع يعتقد عندئذ أنه المسيا؟ نعم، وعلى أساس ما ذكره د.رايت، الذي درس كثيراً جداً مضامين النصوص التي لها علاقة بالمسيا. وكان يركز بصفة خاصة على عملين رمزيين متكاملين، قام يسوع بعملهما عن عمد «وهما يشملان كل عمله ورسالته».

أولاً: قام يسوع بتطهير الهيكل، الأمر الذي يشير إلى أن النظام الفاسد الحالي أصبح مُهيئاً للدينونة، وأنه سيستبدله، ولذلك فإن الحضور الشخصي لله في المستقبل سيكون حيثما كان هو وشعبه.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثانياً: العشاء الأخير كان طعام الفصح الجديد، وليمة الملكوت التي تحتفي بنهاية السبي، الخروج الجديد، والميثاق الجديد.

لكن المسيا أيضاً يُتوقع منه أن يحارب المعركة الأخيرة ضد العدو. وقد غيّر يسوع هذا التوقع أيضاً. سوف يتغلب أيضاً على الشر، ولكن ليس بالعنف، بل بعدم العنف، بتحويل الخد الآخر. وقد رأي الصليب على أنه ذروة مهمته ليكون واحداً مع إسرائيل، وليأخذ على عاتقه الدينونة التي كانت تهدد الأمة، ويتحمل آلام إسرائيل باعتباره مندوباً عنها. وقد تبرهن أنه المسيا بالقيامة.

هل كان يسوع يعتقد ـ من ناحية ما ـ أنه إله؟ ويردُّ د.رايت على هذا السؤال بإجابة غير واضحة المعالم. ذلك أنه في موقع يكتب بفظاظة «إني لا أعتقد أن يسوع كان يعرف أنه إله». ولكن هذا القول يأتي في وسط قسم يتحدث عن نوعيات مختلفة من المعرفة. ويستطرد إلى أن ينتهي بأن يسوع كان يعتقد أن عليه أن يعمل وأن يكون بالنسبة لإسرائيل والعالم ما كان سيكونه، ويعمله الرب وحده طبقاً للكتب. وهكذا، في الخروج الجديد، لم يكن هو موسى الجديد فحسب، بل كان عمود السحاب والنار، الذي يقود شعبه إلى الحرية، أما الآن فإن رحلته الأخيرة إلى أورشليم، والتي تُوجت بدخوله الانتصاري، يبدو وأنها كانت تحقيقاً على مراحل، للتوقع بأنه في يوم ما بعد السبي، سيعود يهوه إلى صهيون. وبادّعاء يسوع أنه الهيكل الجديد، كان يلمّح إلى أنه كان في شخصه «سحابة المجد»، التي كانت تمثل حضور الرب وسط شعبه. كما ادّعى يسوع أيضاً أن سلطانه في التعليم يسمو حتى على التوراة، حيث جعل من نفسه، ليس موسى جديداً، بل يهوه جديداً إذا جاز التعبير. وخلاصة القول، يقول د.رايت. «يسوع...سيجسد في نفسه عمل العودة والخلاص لإله العهد. فكيف تعزز هذه الادّعاءات بأن له سلطاناً إلهياً، ويقوم بأعمال إلهية، ومع ذلك لا يعتقد أنه الله».

ولا ريب أنها ستكون حماقة أن نحاول في فقرة أو فقرتين أن نلخص الحجة المقنعة الوثيقة الصلة بالموضوع، والتي وردت في كتب عديدة. ثم إني أدرك أيضاً أني لم أعبر

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

عن تقديري الكافي للشمولية، والسلاسة والاحترام، وهي من العوامل التي وضع د.رايت فرضيته في إطارها. وعلى الرغم من ذلك، لم يتقبل كافة الدارسين افتراضاته. ومن المؤكد أن الجدل سيتواصل. وليس لدي سوى بضعة أسئلة أود طرحها:

أولاً: هل من المؤكد أن موضوع «السبي - الخروج» كان موضوعاً أساسياً بالنسبة لليهودية الفلسطينية في القرن الأول، وبالنسبة لفهم حقيقة يسوع؟

ثانياً: إننا لم نُخبر كيف عرف يسوع من يكون. بل إننا لا نستطيع أن نتفحص ما يضمره في عقله عن نفسه. غير أنه من الضروري، من أجل المحافظة على بشريته الحقيقية أن نتوقف عن القول إنه يعرف حقيقة نفسه، من يكون. لكن من المؤكد أنه ادَّعى أن له سلطاناً أن يغفر الخطايا، وأن يعلّم، وأن يدين.

ثالثاً: قيلت أشياء رائعة عن المسيح المصلوب بأنه يمثل إسرائيل، وعن الصليب بأنه أصدق نافذة في قلب الله المحب ذاته. كما أن د.رايت يميز بوضوح بين الإجابات «التاريخية» و«اللاهوتية» على السؤال عن سبب موت يسوع. وعلى الرغم من ذلك، فإني أفتقر إلى أكثر من نظرة عابرة عن القول الحاسم الخاص بالفدية (مرقس ١٠: ٤٥).

رابعاً: يشير توم رايت مرات كثيرة إلى ذروة التاريخ واكتماله. لكنه يعكس اتجاه مجيء المسيح من «حركة سفلية محمولة على السحاب» إلى ارتفاعه إلى المجد من الأرض إلى السماء، بما في ذلك تبريره. فهل يعنى هذا أن المجيء الثاني الشخصي والمرئي المجيد ليسوع قد تحول تماماً إلى تشبيه مجازي رؤيوي؟

وخلاصة القول، إني أقدر تصميم د.وايت على أن يحطم الحواجز بين الأكاديمية والكنيسة، والتزامه المخلص بهذه المهمة. وهو يكتب عن فرصة «إرسالية مسيحية مفرحة إلى عالم ما» (بعد الحداثة).

وموضوع الإرسالية هو الذي سنعود إليه بعد ذلك.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٢ـ المسيح سيد العالم كله

الإرسالية في القرن العشرين

من إيدنبرة ١٩١٠م إلى لوزان ١٩٧٤م

المسيح المقام هو الذي ادَّعى الادّعاء العظيم بأنه دُفع إليه كل سلطان في السماء والأرض (متى٢٨ : ١٨). وعلى ذلك، فإن الكنيسة تشهد دائماً له كرباً لكل المسكونة. فقد رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم (أي المنزلة التي تعلو كل منزلة) لكي تجثو له كل ركبة ويعترف كل لسان أن يسوع هو «**رب**» (فيلبي٢ : ٩- ١١). وهذا هو الأساس الجوهري لإرسالية الكنيسة للعالم، كما تجلت بأفضل صورة في القرن العشرين.

في سنة ١٩١٠، عُقد مؤتمر الإرساليات العالمي في إيدنبرة، تحت رئاسة چون ر. موت. وكان قد تم الإعداد له جيداً على مدى ثمانية عشر شهراً بواسطة ثماني لجان دولية، حيث قُرئت تقاريرها مقدماً بواسطة ١٢٠٠ أو ما يقارب ذلك من المندوبين. وقد قال چون موت نفسه بأنه من حيث الخطة، والأفراد، والروح، وبشائر النجاح، كان هذا المؤتمر من أكثر التجمعات أهمية على الإطلاق التي اهتمت بكرازة العالم.

أما كتاب چون موت «الساعة الحاسمة في الإرساليات المسيحية» فينشر الشعور بالبهجة التي تولدت أثناء المؤتمر. وعلى ضوء النهضة الروحية في جنوب شرق آسيا، وحركات الجماهير في الهند، والتقدم السريع للإنجيل في أفريقيا، والقبضة الضعيفة للديانات الأخرى، و«المد الروحي المرتفع في العالم غير المسيحي» في ظل هذا، كتب چون موت عن «أرض متاحة للرجاء والثقة. والواقع أن الطريق كان قد أُعد بشكل واضح لقبول المسيحية لدى جماهير عريضة من الناس في بلاد كثيرة». وباستخدام ما نعتبره تشبيهاً مجازياً عسكرياً، يواصل موت كلامه فيقول: «في ميدان معركة المسيحية على مستوى العالم فإن....الانتصار مؤكد...».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

غادر المندوبون إيدنبرة وهم فرحون ومفعمون بالحيوية. ولم يكونوا غافلين عن ضخامة المهمة. وكانوا يعرفون أنه مازال هناك ما يقرب من ألف مليون شخص غير مسيحي في العالم، وأن خمسهم فقط سمعوا بوضوح عن المسيح. ولكنهم كانوا يتسمون بالإصرار. وقد اتفقوا مع ما ذهب إليه چون موت من ناحية «إنه من واجب الكنيسة التأكد من أن العائق الذي كان قائماً منذ زمن طويل قد أُزيل تماماً. وكذلك، قد حان الوقت لأن تقوم الكنيسة عن عمد وبكل إصرار، بمهاجمة بعض هذه القلاع التي مازالت حصينة حتى الآن. وكانوا على قناعة (وبقدر من السذاجة) بأن الديانات الأخرى، تحت تأثير المسيح، سوف تختفي تدريجياً، مثلما كان الحال بالنسبة لآلهة اليونان وروما قديماً».

ومن الذي كان بوسعه أن يخمن أنه في غضون السنوات القليلة التي تلت المؤتمر سوف يتبخر هذا التأكيد المرسلي بتمامه تقريباً؟ وقد كان هناك سببان رئيسان.

أولاً: كانت هناك الفظائع الناجمة عن الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤. و حدث انقسام بين المسيحيين ليس بسبب الصراع فحسب، بل إن كافة المشروعات الدولية الكبيرة تقريباً قد توقفت عن العمل. وعندما بدأت مشروعات إعادة البناء بعد الحرب، كان العالم قد تغير، وبدأ يستأنف حركته.

ثانياً: انتشار الفكر اللاهوتي التحرري بين الحربين، حمل الناس على التشكك في محتوى الإنجيل وأضعف ثقة الناس فيه. وهذا كان واضحاً للغاية في مؤتمري الإرساليات التاليين - في أورشليم (١٩٢٨)، وفي تامبرام خارج مدينة مدراس بالهند (١٩٣٨). وفيما كانت الثقة هي السائدة في إيدنبرة، إلا أن الافتقار إلى الثقة والتردد قد سادا، وإلى حد كبير، هذين المؤتمرين.

وفي أورشليم (١٩٢٨) تجمعت جماعة صغيرة نسبياً تتكون من مائتي شخص، وعلى الرغم من أنه كان من الملحوظ أن خمسين منهم ينتمون إلى ما كان يُسمى في ذلك الحين بالكنائس «الحديثة». ولذلك فإن جدول أعمالهم الواسع كان يتضمن علاقات بين الكنائس الأكبر والكنائس الحديثة، وعلاوةً على موضوعات مثل العلاقات بين الأجناس، والموضوعات الخاصة بحياة المدن والأرياف، والتعليم الديني، وخطر انتشار العلمانية أي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الابتعاد عن الدين. ومن الناحية اللاهوتية، سادت النسبية. ولم يعد في الإمكان النظر إلى المسيحية على أنها فريدة ونهائية. وقد أنقذ وليم تمبل المؤتمر من كارثة بإعداده مسودة «الرسالة»، والتي تضمنت قوله المأثور عن الإنجيل «إما أنه صحيح بالنسبة للجميع، وإما أنه غير صحيح بالمرة».

أما مؤتمر الإرسالية العالمي الذي عُقد في تامبرام (١٩٣٨) فقد حضره خمسمائة وفد معاً، وكان عدد مندوبي الكنائس الحديثة مساوياً، وعلى قدم المساواة لأولئك الذين يمثلون الكنائس التقليدية التاريخية. غير أن أكثر سمة بارزة في مؤتمر تامبرام هي المواجهات الحادة بين وليام إ.هوكنج، وهندريك كرايمر. و كان هوكنج أستاذاً للفلسفة بجامعة هارفارد. وقد نُشر كتابه «Re-thinking Missions» (الإرساليات تعيد تفكيرها) سنة ١٩٣٢، وعلى ذلك فقد كان لدى المؤتمرين وقت لدراسته بإمعان. وفيه نجد أن الثوابت التي كانت ترتكز عليها الإرسالية قديماً قد تلاشت. وهكذا الحال أيضاً بالنسبة للتمسك المطلق بالمسيح.

وكان شريك هوكنجز في الجدال في تامبرام، هندريك كرايمر، وهو علماني هولندي من الكنائس الإنجيلية المصلحة، ومرسل في أندونيسيا، وكان متمرساً في اللغة. وقد دُعي لكتابة كتاب عن المؤتمر، نُشر سنة ١٩٣٨ وهو يحمل عنوان: «الرسالة المسيحية في عالم غير مسيحي». وإذ كان قد تأثر بكارل بارت (الذي ظهر هجومه على الليبرالية في تفسيره لرسالة رومية سنة ١٩١٩) فقد دافع عما أسماه «الواقعية الكتابية». و قال إنه لا يوجد استمرارية جذرية بين إعلان الله الفريد في يسوع المسيح، وكافة ديانات البشر الأخرى.

و مازالت هذه المناقشة مستمرة حتى أيامنا هذه، ولم تُحسم بأي شكل كان. وبعد مرور عام على مؤتمر تامبرام، اندلعت الحرب العالمية الثانية، وتوقفت العلاقات المسكونية ثانيةً وإلى حد كبير حتى انتهت الحرب. وفي عام ١٩٤٨، انعقد الاجتماع الأول لمجلس الكنائس العالمي في أمستردام. وفي عام ١٩٦١، وفي انعقاده الثالث في نيودلهي، تم الاندماج بين مجلس الكنائس العالمي، ومجلس الإرساليات الدولي. وأُعطيت التأكيدات بأن هذا الاندماج سيدفع العمل المرسلي إلى صدارة جدول أعمال المجلس العالمي. ولكن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

هذا لم يحدث. وبدلاً من ذلك، واصل المجلس العالمي ابتعاده عن رسالة الإنجيل الكتابية.

ولكن، ليس معنى هذا أن كل قادة المجلس ساروا على هذا النهج. وعلى سبيل المثال، نجد أن فيسيرتس هووفت، الذي كان أول سكرتير عام لمجلس الكنائس العالمي، صدر له كتاب تحت عنوان «ليس اسم آخر» جاء به: لقد حان الوقت لأن يعيد المسيحيون اكتشاف أن يسوع المسيح في قلب إيمانهم ذاته، وأن يسوع المسيح لم يأتِ ليساهم في المخزون الديني للبشر، بل إنه في المسيح صالح الله العالم لنفسه.

والأمر اللافت للنظر بالأكثر، هو هذا التصريح الواضح الصادر عن الراحل الأسقف ليزلي نيوبيجين، والذي قال فيه:

«إن مشاعر الحرج التى تنتابنا حالياً بالنسبة للحركة التبشيرية في القرن الماضي، ليست ـ كما نحب أن نعتقد ـ دليلاً على أننا أصبحنا أكثر تواضعاً، بل إن ما أخشاه هو أنه دليل أكثر وضوحاً على تحول في الإيمان. وهو دليل على أننا أقل استعداداً لتأكيد تفرد يسوع المسيح، ومركزيته، ووضعه الحاسم بأنه رب العالم ومخلصه، وأنه الطريق الذي يجب أن يتبعه العالم ليجد هدفه الحقيقي، والحق الذي يُقاس على أساسه أي ادّعاء آخر بأنه حق، وهو الحياة الذي فيه وحده توجد الحياة في ملئها».

والواقع أنه في الربع الأخير من القرن العشرين، انتقلت المبادرة الخاصة بالإرساليات من مجلس الكنائس العالمي إلى حركة لوزان التي بدأها د.بيللى جراهام. وقد عقد المجلس العالمي للكرازة في العالم، اجتماعه في لوزان، بسويسرا سنة ١٩٧٤، و اشترك فيه ما يقرب من ٢٧٠٠ شخص (نصفهم من البلدان النامية)، وقد جاءوا من ١٥٠دولة. وبعد تسعة أيام من النشاط المحموم أقروا ميثاق لوزان، والذي، بحسب قول أحد اللاهوتيين الآسيويين، ثبت أنه «أبرز اعتراف مسكوني عن الكرازة سبق أن توصلت إليه الكنيسة». بل إن أهميته ترجع إنه صدر في ظل إنتشار الفكر التعددي Pluralism الذي يؤكد على المشروعية المتساوية لكافة الأديان.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ويتكون الميثاق من خمس عشرة فقرة. وفيما يلى اقتباس من الفقرة الثالثة عن «المسيح الفريد رب كل العالم». وهذه هي الطريقة التي تكرز بها الكنيسة «بيسوع المسيح رباً لكل المسكونة»:

«نؤكد انه لا يوجد سوى مخلص واحد، وإنجيل واحد فقط... ونحن ندرك أن كل الناس لديهم بعض المعرفة عن الله من خلال إعلانه الإلهي العام في الطبيعة. ولكننا ننكر أن هذا يمكن أن يخلص لأن الناس «يحجزون الحق بالإثم»، كما نرفض كل نوعيات الحركات التوفيقية بين الأديان والتي تدّعى أن المسيح، يتكلم بشكل متساو في كل الأديان والمذاهب، لأن هذا يحط من قدر المسيح. ويسوع المسيح، بوصفه الوحيد الذي هو إله كامل وإنسان كامل والذي بذل نفسه على أنه الفدية الوحيدة من أجل الخطاة، هو بذلك الوسيط الوحيد بين الله والناس. وليس اسم آخر به ينبغي أن نخلص... لقد رُفع يسوع المسيح فوق كل اسم، ونحن نتطلع إلى اليوم الذي فيه تسجد له كل ركبة، ويعترف كل لسان أنه الرب.

خاتمة: الأصالة في مواجهة التعايش

لقد قدمنا عرضاً لتاريخ الكنيسة في عجالة ـ وعلى نحو انتقائي بالطبع ـ وتأملنا عدداً من اتّجاهاتها المؤثرة وقادتها. هل أدهشتك تقلبات الكنيسة، فيما كانت ترسم صورة يسوع وتعيد رسمها؟

إن الكنيسة بعملها هذا، تكون قد شوَّهت أهدافها. إنه لأمر طيب أن تقدم يسوع في أفضل صورة ممكنة، لكي تمتدحه لدى العالم. غير أنه ليس من الصواب ـ أنك لكي تفعل هذا ـ تستبعد من الصورة كل شيء تشعر أنه قد يغضب الآخرين بما في ذلك الصليب. أننا إذ نفعل ذلك، معناه أننا ننزلف للثقافات التي تحتقر المسيحية كما يقول سكيليرميكر. وهناك دائماً ثمن يدفعه كل من يُقدم على هذا العمل التوفيقي الذي لا يُقدم عليه سوى أصحاب العقول الواهنة. إنه بهذا يُنتزع يسوع من سياقه الأصلي وطبيعته الفريدة. وهنا يتم التلاعب به وترويضه من جانب غير المسيحيين بما يتناغم مع أهدافهم. وما يقدمونه في هذه الحالة للعالم لا يخرج عن كونه مفارقة تاريخية، بل وصورة كاريكاتورية وغير حقيقية.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ولكن، كيف يمكننا نحن أيضاً تجنب ارتكاب مثل هذا الخطأ؟ كيف يتسنى لنا أن نقدم يسوع المسيح للعالم بصورته الحقيقية، وفي ذات الوقت بطريقة مناسبة أيضاً؟ يبدو أن الأمر يحتاج إلى نظام مزدوج، سلبي وإيجابي. الناحية السلبية هي أن نخلي أذهاننا من كافة تحيزاتنا وأفكارنا التي نعدها سلفاً، وأن نحجم بقوة عن كل محاولة نبذلها لإدخال يسوع إلى قالب أعددناه له مسبقاً. وبتعبير آخر، يجب أن نكف عن كل محاولة مسيحية لتقليد بروكرستيز، الذي هو بحسب الأساطير اليونانية كان لصاً وحشياً (خرافياً) يرغم ضحاياه على أن يكون طولهم مناسباً لفراشه، . فإذا كانوا أقصر من اللازم كان يمد أرجلهم، وإذا كانوا أطول من اللازم كان يقطعها. ومن يسيرون على منهج بروكرستيز في المسيحية، يتسمون بنفس القدر من الجمود والشدَّة، حيث يقدمون يسوع بطريقة تطابق التفكير التي تروق لهم، ويلجأون إلى إجراءات صارمة لإرغامه على أن يتناغم مع القالب الذي يريدون وضعه فيه. ليت الرب يحمينا من بروكرستيز وجميع تلاميذه.

بعد ذلك نأتي إلى الناحية الإيجابية. علينا أن نفتح أذهاننا وقلوبنا لكل ما يقدمه لنا النص الكتابي، وأن نستمع إلى شهادة العهد الجديد كله للمسيح، على نحو ما حاولنا عمله في الجزء الأول من هذا الكتاب، لأن يسوع الحقيقي هو يسوع الأصلي، يسوع الشهادة الرسولية في العهد الجديد. وبقدر ما نعجب بالتنوع المبدع لكثير من طرق تقديم الكنيسة ليسوع، علينا الرجوع دائماً إلى صوره في العهد الجديد، والتي تُعد المعيار الذي على أساسه يتم الحكم على الصور التي تقدمها له الكنيسة.

ويرى سي .إس .لويس هنا تشابهاً جزئياً بأسلوب تقدير اللوحات الفنية. وكتب يقول: «علينا أن ننظر، ونمعن النظر، حتى نتأكد من أننا رأينا بدقة ما هو هناك. ونحن نجلس أمام الصورة، آملين أن يحدث فينا شيء، وليس لاحتمال أن نفعل نحن شيئاً بها. وأول طلب يطلبه منا أي عمل فني هو أن نستسلم له. انظر. أنصت. تقبل. اخرج نفسك وذاتك من القصة».

والكرازة تحتاج إلى هذا النظام المزدوج. لأنه في كثير من الأحيان، لا يكون الناس الذين

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يكرز إليهم، هم الذين رفضوا يسوع، بل يكونون قد رفضوا مسيحاً مزيفاً قد قدمناه. وعن هذا نجد أن د.بيتر كوزميك ـ رئيس معهد اللاهوت الإنجيلي بمدينة أوسيجك بيوغوسلافيا، يتحدث عن هذا الأمر على النحو التالي:

علينا أن «نجدد مصداقية الإرسالية المسيحية». ثم إن الإرساليات والكرازة ليست أساساً موضوع مناهج، ونقود، وإدارة، وأرقام، بل هي بالأحرى موضوع أصالة، ومصداقية وقوة روحية... عند توجهي للكرازة في يوغوسلافيا، كثيراً ما كنت أقول لطلبة معهد اللاهوت إن مهمتنا الرئيسية قد تكون ببساطة «أن نغسل وجه يسوع»، لأنه اتَّسخ وتشوَّه، نتيجة التنازلات التي تقدمها المؤسسات المسيحية عبر الأجيال، والدعاية العدائية التي كانت تقوم بها الاشتراكية المتحدة ضد المسيحية إبان العقود الماضية.

وعلى ذلك، فعن طريق الاهتمام الوثيق بشهادة العهد الجديد، ولصالح الكرازة الحقيقية، فإني آمل أن تستمر رؤيتنا للمسيح في الوضوح. وعلى أية حال، فإنه مهما كانت رؤيتنا له مشوهة وغير واضحة حتى الآن، فقد وُعدنا بأنه حين يظهر المسيح في مجده «سنراه كما هو» (يوحنا الأولى٣: ٢) المسيح الحقيقي الذي ليس له مثيل.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الجزء الثالث

يسوع المؤثر

(أو كيف كان يلهم الشعب)

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مقدمة

قصة يسوع

ناقشنا في الجزء الثاني تقديم الكنيسة للمسيح بشكل متنوع عبر القرون. وفي الجزء الثالث نقوم بعكس الاتجاه، ونتأمل في تأثير يسوع على الكنيسة، بل وتأثيره على العالم أيضاً. وقد أحسن ك.س لاتوريت من جامعة «يل» صياغة السؤال الذي نود طرحه، في بداية كتابه الضخم المكون من سبعة مجلدات، والذي صدر بعنوان «تاريخ توسع المسيحية» «The History of the Expansion of Christianity» وجاء السؤال على النحو التالي: «ما هو الفرق الذي حدث للعالم نتيجة حياة المسيح؟»

وليس من السهولة بمكان الإجابة على هذا السؤال كما يبدو للوهلة الأولى.

أولاً: علينا أن نفرق بين تأثير المسيح على العالم، وتأثير الحضارة أو الثقافة، والذي هو مزيج من تأثيرات كثيرة (وليس المسيحية فقط).

ثانياً: وكما قال لاتوريت: «ويجب أن نلاحظ أيضاً العلاقة الوثيقة بين تأثير المسيحية على بيئتها (الاجتماعية) وتأثير البيئة على المسيحية».

ثالثاً: يجب وبكل تواضع، الاعتراف بأن المسيحية (وليس المسيح شخصياً) كان لها تأثيرها السيء، كما كان لها أيضاً تأثيرها الحسن. وهنا أفكر في بعض النقاط السوداء التي شابت الكنيسة مثل الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والفشل في القضاء على الرق إلا بعد مرور ١٨٠٠ سنة على ميلاد المسيح، والاستعمار الذي مارسته بعض الإرساليات المسيحية خلال القرنين الماضيين. ولا يسعنا، ونحن نفكر في مثل هذه الأمور سوى أن نحني رؤوسنا خجلاً.

وعلى الرغم من ذلك، لا يزال بمقدورنا أن نؤكد - بحذر ولكن بثقة - أنه كان

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ليسوع المسيح تأثير هائل نحو حياة أفضل، ليس فقط على الفن والعمارة، والموسيقى والرسم، والعلم، والديموقراطية، والنظم القانونية فحسب، بل ـ وبصفة خاصة ـ على المعايير والقيم الأخلاقية، مثل كرامة الإنسان كفرد. والواقع، إنه بالكاد يتهم المرء بالمبالغة المفرطة إذا قال: كل الجيوش التي زحفت، وكل الأساطيل التي أبحرت، وكل مجالس الشعب (البرلمانات) التي اجتمعت، وكافة الملوك الذين تولوا الحكم، كل هذه الأمور معاً، لم تؤثر في حياتنا في هذا العالم بقدر ما أثرت تلك الحياة بمفردها (حياة المسيح).

والذي أبهرني كثيراً، أن مسيحيين من ذوى الاتجاهات المختلفة، تأثروا بنواح مختلفة من حياة وتعاليم المسيح، بحيث أعطتهم القدرة على القيام بمهام مختلفة. وتركيزنا في الجزء الثالث ليس منصباً الآن على قصة الكنيسة (وتقديمها للمسيح)، بل على قصة يسوع (وما طلبه من الكنيسة). ونحن على يقين من أن القصتين متشابكتان. وعلى سبيل المثال، إذا كان فرنسيس الأسيسي قد أثر في الطريقة التي قدمت بها الكنيسة المسيح (وهذا ما حدث فعلاً)، فقد كان للمسيح تأثيره أيضاً على الطريقة التي أنشأ بها فرنسيس رهبانية الفرنسيسكان. وعلى الرغم من ذلك، فكل من التأثيرين مختلف عن الآخر. وسنتأمل الآن كل ما يتعلق بيسوع، بدايةً من مجيئه الأول حتى توقع مجيئه الثاني، ونرى كيف أن كل مرحلة (سواءً كان يميزها حدث أو تعليم في الأناجيل) قد تملكت خيال شخص ما وألهمته (أو ألهمتها) بالعمل.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١- إسطبل بيت لحم

فرنسيس الأسيسى Francis of Assisi

ميلاد الملك الفقير

في سنة ١٩٢٦، حلّت الذكرى السبعمائة لرحيل القديس فرنسيس، وقد زار مدينة أسيسى (مسقط رأسه بوسط إيطاليا) ما يقرب من مليوني شخص جاءوا خصيصاً لهذه المناسبة. وفي ذلك الحين، أكد البابا بيوس الحادي عشر رسمياً، التعريف غير الرسمي لفرانسيس بأنه «المسيح الثاني». لأنه يتمثل به بدرجة كبيرة.

فما الذي ألهم فرنسيس أن يحيا حياة الفقر المدقع والبساطة المتناهية؟ الرد هو، أن ذلك يرجع في جزء منه إلى تعليم يسوع، وعلى وجه الخصوص دعوته إلى إنكار الذات وتكليفه للأثني عشر بالإرسالية. ولكن - وبصفة خاصة - كان مثال يسوع هو ما يتمنى فرنسيس أن يقلده تقليداً تاماً وحرفياً. وقد رأى فرنسيس في ميلاد المسيح في إسطبل بصفة خاصة - التعبير الأسمى للفقر الذي فرضه ابن الله على نفسه.

ويبدو أنه قد انقضت ثلاثة أو أربعة قرون بعد ميلاد المسيح قبل أن يصبح «لعيد الميلاد المجيد» وضع ثابت في تقويم الكنيسة الغربية، حيث بدأ المسيحيون يحتفلون به. ولعل ذلك يعود ضمن أمور أخرى إلى الارتباك. فقد كان الناس يتحدثون عن المسيح وهو يقود مركبته عبر السماء مثل إله الشمس. ولقد اعتقد كثيرون من الوثنين أن المسيحيين من عبدة الشمس لأن المسيحيين كانوا يقيمون عبادتهم الرئيسية كل يوم أحد ويتجهون غالباً نحو الشرق وهم يتعبدون. ولم تبدأ الكنيسة الغربية الاحتفال يوم ٢٥ ديسمبر (عيد ميلاد إله الشمس في الانقلاب الشتائي، وهو أقصر يوم في السنة) باعتباره عيد ميلاد المسيح إلا بحلول القرن الرابع.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثم إن الظروف التي أحاطت بمولد يسوع كانت مبعث إلهام هائل لفرنسيس. وكان يتكلم بكلام فائق الروعة عند حديثه عن ميلاد الملك الفقير في مدينة صغيرة هي بيت لحم. وكثيراً ما كان يطلق على يسوع «طفل بيت لحم». وقد قيل عنه: «لقد نُسي الطفل يسوع في قلوب كثيرين. غير أنه، بعمل نعمته أُعيد ثانيةً إلى الحياة من خلال عبده القديس فرنسيس» ولذلك، كان فرنسيس يحتفل بعيد ميلاد الطفل يسوع بشغف يجل عن التعبير، فكان يقول إنه عيد الاعياد لأنه اليوم الذي صار الله فيه طفلاً صغير وتعلق بأحضان بشرية.

وعلى الرغم من أن مركزية الصليب كانت واضحة في إيمان فرنسيس وحياته، إلا أنه كان يحتفظ في قلبه وعقله بالتجسد والصليب، المسيح في مذود البقر، والمسيح على الصليب، لأنه كان يرى فيهما معاً إعلاناً لتواضع الله وفقره، الأمر الذي جعله يصمم على أن يتبعه. وقد رأى في نفسه أنه مكلف بالكرازة بالملكوت، وخدمة المحتاجين، والتخلي عن المال، وأحياناً لم يكن لديه ملابس للغيار.

ولكن هذا لا يعني أنه يرفض أو حتى كان يحط من قيمة العالم المادي أو العطايا الحسنة من الخالق الكريم. فعلى النقيض من ذلك، فقد اشتهر باحتفائه بمخلوقات الله، وكان يناديهم بقوله: «إخوتي»، «أخواتي»، وكان يجد متعة في هذه العلاقات. و«أنشودة الشمس» التي كتبها تظل تعبيراً جميلاً عن الثناء، ليس للطبيعة بالطبع، بل لله إله الطبيعة. ويبدو أنه لم يكن يرى انفصالاً بين اعترافه بالعالم المادي باعتباره عطية من الله، وبين نبذه وزهده في الممتلكات المادية.

وعلى الرغم من ذلك، شعر آخرون بأنه يوجد صراع لم يحسم بعد في هذا، ولذلك نجد أن تشسترتون ـ على سبيل المثال ـ في كتابه الشهير عن فرنسيس، جعل عنوان فصله الأول «مشكلة القديس فرنسيس». ما هي هذه المشكلة؟ تشسترتون، الذي ينظر إلى نفسه على أنه سيد التناقضات، وجد في فرنسيس كماً هائلاً من الأمور المتنافرة، بل والمتناقضات، وقد تساءل: «كيف نوفق بين فرح فرنسيس بالطبيعة وزهده المتشدد»، كيف نوفق بين

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

«مرحه وتقشفه»، وبين تمجيده للذهب والأرجوان، وعلى النقيض من ذلك كان، يرتدي «الخرق»، وكيف نوفق بين تعطشه لحياة سعيدة، وتعطشه لأن يموت ميتة بطولية».

ولا يمكن أن تقرأ قصة فرنسيس دون أن تتأثر بشدة، على الرغم من أنه ليس بمقدورنا أن نردد تماماً النتيجة التي توصل إليها ج.ك. تشسترتون بأن فرنسيس «عاش في العالم وغيَّره» وعلاوةً على ذلك، تجدني أجازف بالسؤال: «ألم يكن إصرار فرنسيس على أن يقلد المسيح في كل شيء أمراً مفرطاً في حرفيته؟ ألم يفهم التشبيه المجازي الرائع الذي كثيراً ما كان يسوع يستعمله؟ وعلى سبيل المثال في (لوقا ١٤: ٢٥-٣٣) وضع يسوع ثلاثة شروط بدونها ما من أحد «يقدر أن يكون لي تلميذاً». **أولاً**: يجب أن «يبغض» أباه وأمه، زوجته وأولاده، إخوته وأخواته. **ثانياً**: ينبغي أن «يحمل صليبه» ويتبع المسيح. **ثالثاً**: «يترك جميع أمواله». ومن المؤكد أنه ليست لنا الآن حرية تخفيف هذا الدواء الشديد الذي يقدمه الإنجيل. وعلى الرغم من ذلك، فمن المؤكد «أن يحمل صليبه» ليست وصية حرفية، فلم يكن يسوع يرغب في أن يُصلب جميع تلاميذه. بل ولا يمكن أن تُؤخذ حرفياً الوصية القائلة بأن نبغض أقرب الناس إلينا، ذلك، أن يسوع الذي طلب منا أن نحب حتى أعداءنا، لا يمكن أن يطلب منا أن نبغض عائلتنا. وعلى ذلك، فإن الوصية الثالثة (أن نترك جميع أموالنا) من المؤكد أنه لا يقصد بها أن تُؤخذ حرفياً. وهذا ليس تملصاً من تعليم يسوع، بل رغبة خالصة في اكتشاف معناه. وهو أن تكلفة التلمذة تتضمن إعطاء المسيح الأولوية في كل شيء، حتى قبل أقاربنا وطموحاتنا، وممتلكاتنا.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٢ـ دكة النجار

جورج لانسبورى George Lansbury

كرامة العمل اليدوي

نحن لا نعرف سوى النذر اليسير عما يُطلق عليه «سنوات يسوع الخفية» التي سبقت إرساليته وسط الجموع. والقصة الوحيدة التي بقيت من تلك الفترة هي التي ذكرها لوقا والتي تبين كيف أن يسوع زار أورشليم عندما كانت له «إثنتا عشرة سنة» وتاه هناك (لوقا٢: ٤١ ـ ٥١). والآية السابقة مباشرةً تغطي الاثنتي عشرة سنة بين ميلاده وذهابه إلى أورشليم، في حين أن الآية التي بعد ذلك مباشرة تغطى الثماني عشرة سنة بين زيارته لأورشليم ومعموديته. ولكن هاتين الآيتين (٥٢،٤٠) تُعتبران لذلك آيات للربط، فهما تخبراننا بأنه كان ينمو في النعمة وفي القامة، وكان يجد نعمة عند الله والناس، وأن نعمة الله حلَّت عليه. ولعل هذا هو كل ما قُصد لنا أن نعرفه، أو نحتاج إلى معرفته عن الثلاثين سنة الأولى من حياة يسوع على الأرض.

وكلمة «نجار» لا تظهر سوى مرتين في كافة الأناجيل الأربعة. فانجيل متى يشير إلى «**ابن النجار**» (١٣: ٥٥)، في حين أن مرقس يسجل السؤال الذي طرحه القرويون الذين من بلدة الناصرة وهو: «**أليس هذا هو النجار**» (مرقس٦: ٣). ونحن نستشف من هذا أن يوسف كان يعمل نجاراً، وأن يسوع كان صبياً له، وأنه قد خلفه في العمل، ولعل ذلك كان بعد وفاة يوسف.

وكلمة «tekton» يمكن أن تُقال عن أي حرفي أو صانع، لكنها تشير في العادة إلى من يعمل بالخشب، كالنجار، أو البنَّاء. وكما قال وليم باركلي إن الـ «tekton» بوسعه أن يبني لك أي شيء من «عشة فراخ» حتى «بيت». وبتعبير آخر، كان رجلاً تحت الطلب. وفي نفس الوقت، يؤكد الأستاذ مارتن هنجل «أن يسوع نفسه لم يأت من طبقة العمال

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الكادحين مثل عمال اليومية، والمستأجرين الذين لا يملكون أرضًا، بل جاء من الطبقة الوسطى في الجليل، من طبقة العمال المهرة». ثم يضيف أن كلمة «tekton» تعني: بناءً، نجاراً، أو صانع عربات «الكارو» كل هؤلاء مجتمعين في شخص واحد. ولقد أكد يوستين الشهيد، في منتصف القرن الثاني تقريباً في كتابه «حوار مع تريفو، وهو يهودي أن يسوع «اعتاد أن يصنع المحاريث والأنيرة (جمع نير) yokes». وعلاوة على الأدوات التي كانت تُستخدم في الزراعة، يبدو من المحتمل أنه قد تعلَّم صناعة وإصلاح أثاثات البيت مثل الموائد والكراسي، والأسرة والدواليب».

ومن المهم أن نذكر أن الرومان واليونانيين كانوا يحتقرون العمل اليدوي. وعلى الرغم من ذلك، كتب ألفريد أدرشيم وهو يهودي: «إن احتقار العمل اليدوي، والذي كان من السمات الأليمة لدى الوثنية، لم يكن له وجود بين اليهود. وعلى النقيض من ذلك، كان يُنظر إلى العمل اليدوي على أنه واجب ديني، وكثيراً ما كان يتم الإصرار على تعلَّم مهنة ما، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الترف، أو يبعد المرء عن مراعاته الشخصية للناموس». وعلى ذلك، يسجل التلمود قولاً مأثوراً للرابي يهوذا من القرن الثاني الميلادي، حيث قال: «إن الذي لا يعلّم ابنه حرفة، فإنه بالتالي يعلّمه أن يكون لصاً». ويعرف اليهود أن الله قد أوصى بالعمل نتيجةً للخليقة، وليس بسبب السقوط.

ولقد أشار الرسول بولس عدة مرات في رسائله إلى حرفته. وفي (أعمال١٨ : ٣) ذكر لوقا أنه «askenopoios». وبالنظر إلى أن كلمة «skene» أو «skonos» تعنى خيمة، فإن كلمة «sken opoios» تُترجم عادةً إلى «صانع خيام»، على الرغم من أن بعض المفسرين يفضلون «عامل جلود» أو «السرَّاج» (صانع السروج)، لأن الخيام في العالم القديم كانت في العادة تُصنع من الجلد، أما الأمر المؤكد، فهو أن بولس كان يعمل بيديه وكان يفتخر بعمله.

وبعد أن ذكرنا هذه الخلفية، أصبحنا الآن على استعداد لنسأل: من الذي أُلهم نتيجة معرفته أن يسوع كان يعمل على دكة نجار؟

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بوسعنا أن نبدأ إجابتنا بالإشارة إلى ما قبل جماعة رافاييل، أولئك الرسامين الذين عاشوا في منتصف القرن التاسع عشر، والذين أخذوا على عاتقهم إحياء الولاء للطبيعة عن طريق الرسم. وفي عام ١٨٥٠، أكمل أحد أعضائها، وهو ج.إ.ميلايس، لوحته التي رسم فيها «المسيح في بيت والديه» أو في «دكان النجار». وكان الطفل يسوع هو مركز هذه الصورة. ويتضح فيها أنه جرح نفسه بمسمار، وفي الصورة يوسف وهو ينحني ليفحص الجرح، وتحاول مريم مواساة يسوع بقبلة، أما الفتى يوحنا المعمدان فيظهر وهو يحمل دلو ماء لكي يغسل به الجرح. أما يسوع، فيستند إلى دكة النجارة، والتي بدت وكأنها ترمز إلى مذبح الذبيحة، ويمكن رؤية الخراف في حظيرتهم الصغيرة عبر الباب المفتوح.

وبعد ذلك باثنتين وعشرين سنة، قام هولمان هنت صديق ميلايس بإكمال صورته «ظل الموت». ونجد انفسنا للمرة الثانية «في دكان النجار»، غير أن يسوع هذه المرة كان قد أصبح شابا، ونراه وقد شمّر ملابسه حتى حقويه، وهو واقف إلى جانب «حامل خشبي». ويظهر وهو يأخذ فترة راحة وجيزة من العمل، وقد رفع ذراعيه فوق رأسه، ولعله كان يناشد السماء. وفيما كان يفعل هذا نجد ظلاً أسود على شكل صليب موجوداً على الجدار الذي خلفه، حيث يظهر رف أدواته مثل حاجز أفقي، ويذكرنا بالمطرقة والمسامير عند عملية الصلب.

والصورتان كانتا، وعن عمد رمزيتين. فهما تشيران بقوة إلى الصليب، ولكنهما لا تقولان شيئاً عن كرامة العمل اليدوي. ومن ثم تحولت بعد ذلك في بحثي إلى قادة حركة العمال المسيحيين البريطانية القديمة. وبدأت بجيمس كيرهاردى (١٨٥٦-١٩١٥)، وهو رائد حركة العمال الاسكتلندية. وقد أحدث إثارة لدى دخوله مجلس العموم في ثياب العمال في ثيابه المصنوعة من قماش التويد وقبعته على رأسه، وكان صريحاً من ناحية التزامه نحو المسيح، والذي كان يشير إليه كثيراً بعبارة «نجار الناصرة». غير أن الإلهام الرئيسي لعمله لم يكن مثال يسوع المسيح، بل تعليمه، وعلى وجه الخصوص العظة على الجبل، والتي فسرها إلى حد ما بسذاجة على أنها بيان اشتراكي.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وعلى الرغم من ذلك، فإن قادة عمال آخرين، وفي وقت لاحق، استمدوا شجاعتهم من حقيقة أن يسوع كان ينتمي إلى الطبقة العاملة. وقد كتب أحد أعضاء نقابات العمال في سنة ١٩٢١ كتاباً موجزاً عنوانه «يسوع النجار وتعليمه». ودون أن يذكر اسمه، كتب فيه: «حياة يسوع هي حياة أحد العمال. ويمكن القول إنها أكثر من ذلك، وأعظم من ذلك. فليكن... غير أنه على أيام تجسده كان نجاراً. ونحن العمال، ليس من بيننا شعراء عظماء، أو أبطال أو شهداء، ولكن يسوع النجار الذي من الناصرة كان واحداً منا. ولذلك، فإنه في أيامنا هذه، عندما تثور أفكار كثيرة في عقول العمال، فعلى كل واحد منا أن يدرس جيداً حياة نجار الناصرة وتعليمه». وعلى غرار ذلك، كتب إيرا بوذلى كتابه الذي يحمل عنوان «المسيح النجار، مهنته وتعليمه». وقد أهدى الكتاب إلى جمعية النجارين في ورشيبفول، وقال إنه أراد أن يصور يسوع باعتباره «العامل الكامل الوحيد».

غير أن أفضل مثال وجدته لقائد كان يسوع مصدر إلهامه، هو جورج لانسبوري، الذي كان يشرف على الحركة العمالية البريطانية أثناء غالبية النصف الأول من القرن العشرين.

وُلد جورج لانسبوري سنة ١٨٥٩ في سفوك، وهي بلدة ريفية، ولكنه لم يمكث في الريف إطلاقاً. وظل ينتقل من مدينة لأخرى لأن والده كان يعمل في السكك الحديدية، وعاش معظم حياته في الطرف الشرقي لمدينة لندن. وعندما ترك المدرسة وهو في سن الرابعة عشر، حصل على عمل عبارة عن تفريغ حمولة الفحم من المراكب وعربات السكة الحديد. وحتى وهو في هذه السن الصغيرة، اختبر التحديات المتعلقة بالعمل اليدوي والتأثيرات المهينة الناجمة عن الفقر والجوع.

ولكن قلب جورج لانسبوري كان متعلقاً بالسياسة، وقضى أكثر من نصف قرن في الحكومات المحلية والقومية. وبعد فترة عَزَل قصيرة مع الحزب الليبرالي، والعديد من المحاولات الفاشلة لدخول البرلمان، تم انتخابه أخيراً سنة ١٩١٠ كعضو عن حزب العمال لمنطقة «باو» و«برملى»، ولكنه استقال بعد ذلك بسنتين. وأثناء العقد التالي، ورغم أنه لم يكن له مقعد بمجلس العموم، إلا أنه على الرغم من ذلك كان يقوم بنشاط دون كلل في الحركة العمالية، وكان يحرر مجلة «Daily Herald»، ويتحدث في الاجتماعات التي كانت تُعقد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

في جميع أنحاء البلاد.

وفي سنة ١٩٢٢، عاد إلى مجلس العموم، ولكنه لم يحصل على وظيفة وزارية إلا سنة ١٩٢٩، حيث عين بوظيفة المفوض الأول للأعمال، وأُنيطت به مسئولية خاصة بالمتنزهات الملكية في لندن. وقد نجح في جعلها متاحة للترويح عن شعب الطبقة العاملة. وفي سنة ١٩٣١، أصبح رئيساً للجنة البرلمانية لحزب العمال، وبذلك أصبح قائداً للمعارضة.

وطوال هذه السنوات كلها، كان چورچ لانسبوري ذا شعبية طاغية. وكان جسمه الضخم، وشخصيته المفعمة بالحيوية والمرح، وبشرته المتوردة، وسوالفه الجانبية، وصوته المدوي، ولهجته اللندنية، وابتسامته الصبيانية، وإخلاصه الواضح، كل هذا جعله محبوباً من الجميع. وقد وصفه المؤرخ الشهير ا.ج.ب. تيلور بقوله «إنه أكثر شخصية محبوبة في السياسات الحديثة، بل إن هناك مقياساً أفضل لقياس شعبيته العريضة، وهو أنه كان معروفاً جيداً لأطفال مدرسة إيست إند بلندن، حيث كانوا يهللون له مرحبين به لدى زيارته لمدرستهم، و يهتفون له قائلين: «أهلاً بچورچ العجوز الطيب». ولاريب، إن ما كان يحفز عمله السياسي الذي لا يعرف الكلل أو الملل هو خليط من اشتراكيته ومسيحيته. ولكن هذا لا يعني أنه لمس حاجة للتمييز الحاد بينهما. وقد كتب يقول: «الاشتراكية التي تعني المحبة والتعاون والأخوة في كل ناحية من شئون الإنسان، ما هي سوى التعبير الخارجي للإيمان المسيحي». ونعود للقول إن المسيحية والاشتراكية كانتا تسيطران على قلب لانسبوري وعقله، ذلك أنه وجد في المسيحية مبادئ الحياة وقوتها. وفي الثانية وجد النظام الذي يمكن التعبير عنهما بواسطته، ذلك أنه كان يتلهف إلى وجود مجتمع عادل يختفي فيه الفقر والبطالة والتشرد.

ويبدو أن فنويك كيتو، راع كنيسة وايتشابل هو الذي قاد بتعليمه، وقدوته، چورچ لانسبوري لكي يقطع التزاماً شخصياً للمسيح. وقال چورچ لانسبري: «إن كيتو دخل حياتنا». بعد أن قُبل (تم تثبيته) چورچ عضواً في كنيسة الأبروشية، ثم أصبح مدرساً بمدراس الأحد، وبعد ذلك كان يقوم بخدمة الوعظ في الكثير من الكنائس.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وكتب بوب هولمان: «من المهم ملاحظة أن لانسبوري كان يعطي الأولوية للمسيحية على الاشتراكية، لأن الاشتراكية كانت وإلى حد كبير تنبع من فهمه للمسيحية. وفي إحدى مجلات الروم الكاثوليك «بإيست إيند» كتب شخص لم يفصح عن اسمه: «نحن الشباب لن نستطيع أن نعبر إطلاقاً عما ندين به لچورچ لانسبوري عن المثال الذي وضعه لنا جميعاً، وحياته المضحية دائماً، وشهادته الدائمة التي لا تعرف الخوف، ليسوع المسيح». وكان چورچ لانسبوري معجباً بما يُطلق عليهم «الطبقات العاملة» لشجاعتهم ومثابرتهم، وتضامنهم، وبروح الدعابة التي يتسمون بها. وكان يرفض بإصرار المحاولات التي تدفعه إلى تسلق السلم الاجتماعي. وكان يصر دائماً على الاحتفاظ بثقافته، والتي هي ثقافة منطقة إيست إند. أما بوب هولمان، كاتب سيرة حياته، فقد كتب يقول «: لقد جاء لانسبوري من الطبقة العاملة من الناس العاديين، وانتمى إلى هذه الطبقة وعمل من أجلها، ثم إنه بأسلوب حياته، استمر أن يكون واحداً منهم. وقد أرجع بوب هولمان هذا الإصرار إلى فكر لانسبوري اللاهوتي، حيث قال: «إنه كمسيحي، أسره المسيح، الذي طبق مبدأ المحبة على نفسه إلى درجة أنه جاء إلى العالم كنجار عادي، وأسلم نفسه لميتة شنيعة من أجل الآخرين»

وإذا تحدثنا من الناحية اللاهوتية، سيكون من الصعب علينا أن نقلل من أهمية حقيقة أن الله اختار لابنه ـ حين عاش بالجسد مع الناس ـ وضعاً من بين كل الأوضاع التي كان يستطيع أن يضعه فيها. هذا الوضع هو أن يكون عامل عادي، وهذا ما أضفى على العمال الكادحين كرامة أبدية.

أو ـ للتعبير عن نفس الحق بلغة الطبقة العاملة وتركيبها ـ كتب ج. باترسون سميث يقول:

لم اكن أعرف أي عمل سيقع عليه اختياره
فإذ بالعمل معي كان قراره فرفعت القبعة إجلالاً له

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٣ـ خدمة العطف والحنان

الأب داميان و ويليزلي بيلى

Father Damien and Wellesley Bailey

التعامل مع المنبوذين

في عدد من المناسبات في الأناجيل، نقرأ عن أن يسوع قد تحنن على الجماهير الذين كانوا كغنم لا راعي لها، ومنهم الجوعى، والحزانى والعمى، وبصفة خاصة المرضى. والواقع أنه كان من الجلي تماماً أن معجزات الشفاء كانت تشكل جزءاً أساسياً من خدمته. وكان يطوف المدن والقرى «**يعلّم في مجامعها. ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب**» (متى٤: ٢٣، ٩: ٣٥). بمعنى أنه لم يكن يكرز بمجئ الملكوت فقط، بل كان يبين مجيئه بأعمال رحمته ومعجزاته.

ونتيجةً لذلك، كان المسيحيون في طليعة الذين كانوا يعملون على إيجاد خدمة للشفقة لأولئك الذين كانوا يعانون من المرض والألم. وعند دخول المرء إلى «مايو كلينيك» في روشستر، بولاية مينيسوتا، فإنه يواجه نافذة زجاجها ملون، ولوحاً في وسطها يحمل كتابة تقول: «نشفي أحياناً، نخفف الألم في كثير من الأحيان، ونواسي دائماً».

ولكن هذا ليس معناه إنكار حقيقة أن الهندوس والبوذيين أقاموا مراكز علاجية قبل المسيح، وهكذا اليهود أيضاً. بل إن الغرض بالأحرى هو القول، بأن يسوع الناصري قد قدم للعالم تحفيزاً ثلاثياً جديداً: مثل السامري الصالح، ووصيته العظمى، وشخصه كمثال يُقتدى به، وهذه تبين معاً احترامه للإنسان كشخص خُلق على صورة الله.

كتب د. فرانك دافي الآتي:

«لقد عكس يسوع وضع الأولويات الاجتماعية التي كانت سائدة فى أيامه، عن طريق القدوة، وكذلك تعليمه الذي ينادي بالاهتمام بالفقراء والمعاقين والمنبوذين والمعوزين. ولم تكن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

هذه الفئات تلقى اهتمام أحد إلى أن أصبح يسوع المدافع عنهم... ولا يمكن للمرء أن يتخيل أبقراط وهو يبدي اهتماماً كبيراً بعاهرة في محنة، أو بمتسول أعمى، أو بعبد جندي من جنود الاحتلال،أو بشخص أجنبي يعاني من اضطراب عقلي، وليس معه أية نقود، أو بامرأة عجوز تعاني من مرض مزمن بالعمود الفقري. ويسوع وحده هو الذي فعل هذا، ولكنه لم يكتفِ بذلك. بل توقع من أتباعه أن يعملوا ذلك أيضاً».

ولقد تجلى احترام يسوع للفئات التي يحتقرها العالم في لقائه مع الرجل الذي كان يعاني من البرص، وذلك مع بداية خدمته للجموع:

«فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً له إن أردتَ تقدر أن تطهرني. فتحنن يسوع ومدَّ يده ولمسه وقال له أريدُ فاطهر. فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص» (مرقس١ : ٤٠-٤٢).

لقد حفزه تحننه على أن يلمس شخصاً منبوذاً لا يلمسه أحد، وشكل عمله هذا إلهاماً مستمراً منذ ذلك الحين. وكان باسيليوس القيصري - وهو أحد آباء الكنيسة الكبدوكيين المشهورين، هو الذي أقام على ما يبدو أول مستشفي مسيحي بحجم كبير سنة ٣٦٩م. فقد أقام مجمَّعاً من المباني، والذى علاوة على كونه مستشفي تضم ٣٠٠ سرير، كان يتضمن نزلاً للمسافرين، ونزلاً للفقراء، ونزلاً للمسنين، ونزلاً منعزلة، وبيتاً لمرضى البرص، الذين كانوا يعالَجون بمعزل عن الآخرين.

وخلال القرون التالية، انتشرت البيوت التي تقدم الرعاية لضحايا مرض البرص في جميع أنحاء أوروبا. وكانت تُعرف باسم بيوت المجزومين، أو بيوت لعازر، الذي أصبح يعتبر القديس الشفيع لمن يعانون من مرض البرص.

غير أنه، ربما لم يتأثر أحد في القرون الوسطى بالمثال الذي قدمه يسوع، ولم يكن أحداً أصبح بدوره مصدر إلهام للآخرين، مثل القديس فرنسيس الأسيسى. وربما تكون القصة قد أُدخلت عليها بعض الزخرفة بمرور السنين، لكن فرنسيس اعترف في شهادته الأخيرة بأن «حلاوة النفس» جاءته لأول مرة حين تقابل مع أحد المتسولين كان يعاني من مرض البرص. وفي البداية، حاول فرنسيس أن ينخس جواده ليبتعد عن هذا المتسول. ولكنه وجد نفسه فجأة يتألم ندماً لأنه «تجاهل حاجة أخيه، لقد كان بذلك يجري مسرعاً مبتعداً عن الله، الذي كان يتألم مع

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

المتألمين» ولذلك غير اتجاه جواده، وترجل ثم توجه، وطبع قبلة على يد المتسول الأبرص. وكان المثل الذي قدمه فرنسيس معدياً. ويُقال أحياناً إن العدوى التي انتقلت منه إلى الناس لم تكن المرض، بل عنايته بالمرض. ودفعه ذلك إلى إقامة مستشفى لمرضى البرص، و«جمعية من الإخوة» للعناية بهم.

وننتقل بسرعة الآن في قصتنا إلى منتصف القرن التاسع عشر، لنتحدث عن رجلين فاضلين رائعين بذلا حياتهما للعناية بمن يتألمون من مرض البرص. أحدهما كان بلجيكياً من الروم الكاثوليك، وهو الأب جوزيف داميان، الذي وُلد سنة ١٨٤٠ م، وكان يعمل في «هاواى»، أما الآخر فهو رجل أيرلندي بروتستانتي، يدُعى ويلسلي بيلي، وكان قد وُلد سنة ١٨٤٦م، وقد عمل في الهند، وأصبح مؤسس إرسالية العناية بمرضى البرص.

في سنة ١٨٦٣م، أبحر الأب داميان في رحلة تبشيرية إلى هاواى، وقد أفزعته بلية ضحايا مرض البرص، ممن كان يتم نفيهم دائماً إلى جزيرة مولوكاي. وفي هذه الجزيرة كانوا يعيشون عيشة بائسة، ويُتركون فريسة المرض والقذارة والفقر، دون عائلة أو كنيسة تساعدهم. وتطوع الأب داميان أن يذهب ويعيش بينهم. كان يقوم بدفن موتاهم. وأحضر لهم الأدوات الصحية. وقام ببناء الكنائس، وعمل على تنقية مياه الشرب، وأدخل تحسينات على بيوتهم، وعلى المستشفى الخاص بهم، كما أقام ملاجئ للأيتام، وقام بتدريب فرقة للترانيم الدينية من بينهم، وعمل لهم كمعلم ونجار، وبنَّاء وقس وصديق. واستمرت هذه الخدمة التي تتسم بإنكار الذات لمدة ستة عشر عاماً، حتى صباح يوم أحد في عام ١٨٨٥م، وأثناء خدمة العبادة في الكنيسة، وإذا بالحاضرين يصُدمون صدمة شديدة عندما بدأ عظته بقوله: «نحن مرضى البرص...»، الأمر الذي يعني أنه شخصياً قد انتقلت إليه عدوى ذلك المرض. ثم توفي في جزيرة مولوكاى سنة ١٨٨٩م.

ولد ويلسلي بيلى بعد داميان بست سنوات فقط، ولكن كل منهما كان يعمل في الطرف الأقصى العكسي للمكان الذي كان يعمل فيه الآخر. وفي أثناء قيام ويلسلي بيلى بالتدريس في إحدى مدارس الإرسالية شمالي الهند الغربية، حدث أن قام بزيارة «لملجأ صغير لمرضى البرص» في منطقة مجاورة، فهاله ما رآه. وفي وقت لاحق كتب الآتي:

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

كان منظر [الضحايا] في كل مراحل المرض رهيباً، وكانت وجوههم تكتسي بتعبير كئيب - وتظهر عليهم علامات البؤس الشديد، وقد تملكتني رعدة أمام هذا المشهد، الذي على الرغم من ذلك أسرني، وقد شعرت أنه إذا كان يوُجد في هذا العالم عمل يشبه عمل المسيح، فإنه سيكون بين هؤلاء المتألمين، وهو العمل الذي يقدم لهم مواساة الإنجيل.

كان بيلى محقاً. وعندما بدأ يزور الملجأ بانتظام، رأى أن الإنجيل يغير تماماً حياة النزلاء ونظرتهم إلى الحياة. وفي ذات الوقت، شرع يعمل على تحسين حالتهم البدنية. ومن أجل هذا، أقام سنة ١٨٧٢م «إرسالية مرضى البرص في الهند»، والتي أصبحت فيما بعد «إرسالية مرضى البرص» وبعد ذلك، وعلى النحو الذي هي عليه الآن: «إرسالية البرص».

أما عن إلهامه، فهو يقول لنا:

أود الآن أن أقدم قليلاً من اختباري بين [المتألمين من البرص]، وأن أضع أمام قرائي خطة يمكن للجميع-ممن يتعاطفون مع ذاك الذي حين كان بالجسد على الأرض، لم ينظر إلى مرضى البرص على أنهم من البشاعة إلى درجة تحاشي لمسهم، بل كان يتحنن على كل واحد منهم ويمد يده ويلمسه ويقول له «أُريد فاطهر» كذلك أتمنى لقرائي أن يقدموا ما يستطيعون من مساعدة لأمثال هؤلاء.

هذا التقليد المسيحي الرائع والخاص بالعناية بالذين يتألمون من مرض البرص، استمر في القرن العشرين على يد سلسلة متتابعة من الأخصائيين المسيحيين المتخصصين في مرض البرص، مثل ستانلي براون (نيجيريا وزائير)، فرانك دافى (نيجيريا والهند)، روبرت كوشرين، الذي تقليداً للمثال الذي تركه لنا يسوع، قاد حملة ضد وصمة العار الاجتماعية السائدة. وبعده، جاء بول براند، الذي اكتشف أن الأيدي المخمّشة clawed، وفقدان أصابع اليدين والرجلين، والقروح التي تصيب مرضى البرص والتي لا تفسير لها، ليس سببها ناحية غامضة من المرض نفسه، بل نتيجة فقدانهم الإحساس، والقدرة على الشعور بالألم.

وفي أيامنا هذه، يوُصف مرض الإيدز أحياناً بأنه «برص العصر الحديث»، ويلاقي نفس العزل والمقاطعة. لكن يسوع وضع لنا مثالاً في الشفقة والحنان، وذلك بأن «مدَّ يده ولمسه» وكان هذا عملاً يدل على شجاعة تفوق الوصف في تلك الأيام.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٤- الموعظة على الجبل

ليو تولستوى، المهاتما غاندي، مارتن لوثر كنج

Leo Tolstoy, Mahatma Ghandhi and Martin Luther King, Jr

تحدي عدم المقاومة

كل من يعرف شيئاً عن المسيحية، تكون لديه فكرة ما عن موعظة يسوع على الجبل، والتي ربما كانت بمثابة فترة ممتدة من التعليم. ومعظم الناس يعرفون أيضاً أنها تتضمن وصايا بعدم الانتقام: و«**لا تقاوموا الشر بمثله**»، والوصية «**أحبوا أعداءكم**» (متى ٥: ٣٩ ، ٤٤). وليس ذلك فقط، بل إن يسوع كان يعمل ما يعظ به. وكما ذكر بطرس الرسول: «**الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهدد**» (بطرس الأولى٢ :٢٣). وبدلاً من ذلك كان يصلي إلى الله لكي يغفر لأولئك الذين كانوا يقومون بصلبه. (لوقا٢٣ : ٣٤).

وتأثرت أجيال من المسيحيين وغير المسيحيين، بعظات يسوع، وما يقدمه من قدوة ومثال - بتحمله، وممارسته لضبط النفس، ومحبته لأعدائه، وبعده تماماً عن روح الانتقام. والمصلحون الراديكاليون في القرن السادس عشر (مثل المعمدانين) والكنائس التي تدعو للسلم، (مثل المينونيت والكويكرز، والاخوة المتحدين)، استمدوا مبادئهم التي تدعوا للسلام من عظة يسوع على الجبل، كما تجسدت في سلوكه.

وما أرمي إليه في هذا الفصل هو أن أعرض لثلاثة قادة كلٍ على حدة، وهم ينتمون إلى أواخر القرن التاسع عشر، أو أوائل القرن العشرين، وقد اعترفوا جميعاً أن إلهامهم جاء وليد عظة يسوع وآلامه، أقصد بهم: الروائي الروسي «ليو تولستوى» (١٨٢٨- ١٩١٠)، والمصلح الاجتماعي الهندي «مهاتما غاندي» (١٨٦٩-١٩٤٨)، والمدافع الأمريكي عن الحقوق المدنية «مارتن لوثر كنج» (١٩٢٩-١٩٦٨).

وُلد تولستوى في عائلة ارستقراطية، وقضى فترة شبابه في الانغماس في الملذات، ثم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

تحول إلى الكتابة الجادة، وأشهر رواياته هي «الحرب والسلام»، «أنا كارنينا» غير أنه بالنسبة لموضوعنا، نحتاج إلى أن نتأمل ملياً في كتابه المقتضب «بماذا أؤمن». وفي هذا الكتاب نعرف كيف أنه في أثناء تعرضه لمحنة شخصية، أخذ يقرأ الموعظة على الجبل مراراً وتكراراً، وفجأة إذا به يفهم (كما يدعي) ما أساءت فهمه الكنيسة كلها طوال ١٨٠٠ سنة.

وما فهمه، هو أن يسوع كان يعني ما يقول عندما طالب أتباعه بعدم مقاومة الشر. وواصل كلامه قائلاً: إنه من غير الممكن أن تؤمن بالمسيح، وفي نفس الوقت تعمل من أجل تشييد الممتلكات، والمحاكم، والحكومة، والقوات المسلحة... لأن الشرطة، والمحاكم، والجيش، هذه كلها تستخدم العنف لمقاومة الشر، ولذلك فهي تعمل على العكس من ناموس المحبة. ولو أُطيعت وصايا يسوع بالفعل «فإن الناس جميعاً سيكونون إخوة، ويعمُّ السلام بين الجميع». ثم نراه في الفصل الأخير، يدافع عن سذاجته ويتخلى عن رأيه في البشر، بأنهم جميعاً في الأساس طيبون، وعقلانيون، وودودون.

أما المهاتما غاندى، أو «غاندجي» كما يشير إليه الهنود باحترام، هو أبو الهند الحديثة. فبعد أن درس القانون في لندن، ومارسه في جنوب أفريقيا، حيث لاقى الإهانات بسبب لونه، اضطر إلى العودة إلى الهند سنة ١٩١٤م، وقاد حملة العصيان المدني. وكان يتطلع إلى الهند، وقد تحررت من الاستعمار والتمييز الطبقي، والنزعة المادية.

وكان غاندي قد تعلم بالفعل في طفولته عن «الأهيمسا» (أي الامتناع عن إلحاق الأذى بالآخرين). ولكنه أثناء فترة تعلمه في لندن قرأ الكلاسيكية الهندوسية «The Baghavad Gita» كما قرأ «الموعظة على الجبل». ثم قال «إن هذه الموعظة هي التي حملتني على محبة يسوع»، ومن المعروف عنه أنه كان دائماً يتأمل فيها، ولا سيما من خلال نظرة تولستوى. ذلك أنه كان قد قرأ وهو في جنوب أفريقيا كتاب تولستوى «ملكوت الله داخلكم»، وتأثر به بشكل عميق، وقرر أنه لدى عودته إلى الهند، سيعمل بالفعل وفقاً لهذه المُثل. وقد وصف سياسته بأنها «الساتياجراها» satyagraha (وتعني اللجوء إلى المقاومة السلبية ونبذ العنف لتحقيق الإصلاح الاجتماعي والسياسي، و أفضل ترجمة لها هي «قوة الحق»، ومحاولة كسب الخصوم بقوة الحق، وتحمل الألم عن إرادة ذاتية). وقال: «إن الدولة تمثل العنف بشكل مركز ومنظم».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وعلى ذلك، فإنه في حالة الكمال التي يتصورها، سيكون للشرطة وجود أيضاً، ولكنها نادراً ما تستخدم القوة، وستنتهي العقوبات، وتتحول السجون إلى مدارس، ويحل التحكيم محل المقاضاة. وكل هذا استلهمه غاندي من يسوع. وقال: «على الرغم من أنني لا أستطيع الأدعاء بأني مسيحي بالمعنى الطائفي، الإ أن المثال الذي تقدمه آلام يسوع يُعد عاملاً في تكوين إيماني الأبدي في سياسة نبذ العنف والتي تتحكم في كل أعمالي...».

ومن المستحيل ألا يعجب المرء باتضاع غاندي وإخلاصه. وبرغم ذلك، فإن سياسته لابد وأن يُحكم عليها بأنها غير واقعية. فقد قال إنه سيقاوم الغزو الياباني المتوقع بواسطة إقامة «جسر السلام»، وقد حثّ اليهود بأن يتبعوا سياسة نبذ العنف مع هتلر، وناشد البريطانيين أن يتوقفوا عن الأعمال العدوانية. غير أنه، وبحسب تعليق جاك إينول، لم يأخذ غاندي السياق في حسبانه. ضع غاندى في روسيا بحسب ما كانت عليه سنة ١٩٢٥م، أو في ألمانيا بحسب ما كانت عليه سنة ١٩٣٣م، وسيكون الحل بسيطاً. بعد بضعة أيام سيتم القبض عليه، ولن يُسمع عنه شيء بعد ذلك. وعلى الرغم من ذلك، فإن اختلافنا الرئيسي مع كل من تولستوى وغاندي لا يجب أن يقوم على أساس أن موقفهما غير واقعي، بل لأنه غير كتابي. ذلك أنه ليس بوسعنا أن نفسر وصية يسوع بعدم مقاومة الشر على أنها تحريم مطلق لاستخدام القوة (بما في ذلك استخدام الشرطة لها) ما لم تكن على استعداد للقول إن الكتاب المقدس يناقض نفسه، وأن الرسل قد أساءوا فهم يسوع!

ذلك أن العهد الجديد يعلمنا (على سبيل المثال في رومية١٣) بأن السلطات الحكومية لديها تفويض إلهي لمعاقبة الأشرار، بمعنى «مقاومة الشرير»، وإجباره على تحمل عقوبة شره. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الحق لا يمكن تعويجه لتبرير العنف الرسمي لنظام حكم قمعي، فهو لا يبرر سوى أدنى حد ضروري لاستخدام القوة، للقبض على الأشرار وتقديمهم للعدالة. وعلى ذلك، يتضح إذاً، أن واجب الدولة مختلف تماماً عن واجب الفرد. وفي (رومية ١٢: ١٧) قيل للناس كأفراد: «**لا تجازوا أحداً عن شر بشر**»، ومن المؤكد أننا نجد هنا صدى الوصية القائلة «**لا تقاوموا الشر**»، وألا ينتقم الإنسان لنفسه بل يترك الأمر لغضب الله. «**لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازى يقول الرب**». وبتعبير آخر،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

العقوبة هي من اختصاص الله، وهو يمارس هذا من خلال المحاكم كما ذكر بولس الرسول في (رومية١٣ : ٤) أنه (أي من له السلطان بتفويض من الدولة) «هو خادم الله»، «**وأداه للغضب حيث ينتقم من الذي يفعل الشر**». وهذا لا يتناقض مع تعليم يسوع وسلوكه. لأنه بكل تأكيد لم ينتقم، بل إنه عوضاً ذلك كان «**يسلم لمن يقضي بعدل**» (بطرس الأولى٢ : ٢٣). وخلاصة هذه النظرية هي أن يسوع لم يكن يمنع إقامة العدل، بل كان يمنعنا بالأحرى أن نأخذ حقنا بأيدينا، وأوصانا بدلاً من ذلك بأن نحب أعداءنا، وأن نتحرر تماماً من الحقد والانتقام. وكما قيل في كثير من الأحيان، إن طريق الشيطان هو أن تقابل الإحسان بالشر، وأسلوب العالم هو أن تقابل الشر بالشر، والخير بالخير، أما أسلوب المسيح فهو أن تغلب الشر بالخير (رومية١٢ : ٢١).

كان مارتن لوثر كنج الأصغر من بين الذين فهموا هذا الفرق. وقد تعلم الكثير من غاندي بقدر ما تعلم غاندي من تولستوى. على الرغم من اعتقادي بأنه قد فهم تعليم يسوع بشكل أفضل من كل منهما. وإذ أسس «مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية»، فقد التزم بنبذ العنف، وقاد المسيرة الشهيرة إلى واشنطن سنة ١٩٦٣م، والتي تبعتها في عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥، صدور قوانين الحقوق المدنية. وعلى ذلك فإنه من ناحية، كان كثيراً ما يعترف بفضل الموعظة على الجبل عليه شخصياً. ومن ناحية أخرى، كان يعرف ضرورة سن القوانين. بل، والواقع أنه كان يعترف بالحاجة إلى تنفيذ القوانين إذا كان يريد تحريم التفرقة العنصرية فعلاً.

ومن بين عظات لوثر كنج الرائعة، تلك التي كان عنوانها «محبة الإنسان لأعدائه»، وكان قد ألفها وهو سجين في أحد سجون جورجيا. وقد وصف فيها كيف أن الحقد يولد الحقد... وأن الحقد يؤذي الشخص الذي يحقد، بقدر ما يؤذي ضحيته. وعلى الرغم من ذلك، فإن المحبة، هي القوة الوحيدة القادرة على أن تحول العدو إلى صديق، وقد استمر في تطبيق هذا على المشكلة العنصرية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد قاسى الأمريكيون الأفارقة لمدة تزيد على ثلاثة قرون من القهر والإحباط، والتمييز ضدهم. لكن لوثر وأصحابه كانوا مصرين على أن «يقابلوا الكراهية بمحبة». ومن ثم يربحون حريتهم ويربحون مضطهديهم «ويعظم انتصارنا».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٥- محبة الأطفال

توماس برناردو

Thomas Barnardo

«باب مفتوح دائماً»

تعد محبة الأطفال والاهتمام بسعادتهم من العناصر الأساسية في الثقافة المسيحية حتى أننا نميل إلى اعتبارهما أمراً مسلماً به، غير أنهما في كثير من الأحيان لم يكونا كذلك. فتقديم الأطفال كذبائح - على سبيل المثال - كان يُمارس في الديانات الوثنية، كما كان العمونيون يقومون بذلك لتهدئة إلههم «ملكوم» أو «مولك» الأمر الذي اعتبره أنبياء العهد القديم وحشًيا وشنيعاً.

ويبدو أنه لم يكن هناك في العالم القديم قانون ضد الإجهاض أو قتل الأطفال، بل ولم يكن هناك رفض أخلاقي ضد هذه الأمور. فقد كان للوالدين كل الحق في إصدار الحكم بموت أطفالهم أو بقائهم على قيد الحياة. وعلى سبيل المثال، فإنه في برديات البهنسا في القرن الأول قبل الميلاد، وُجد خطاب من رجل اسمه هيلاريان بعث به إلى زوجته التي على وشك أن تلد قال لها فيه: «إذا كان ذكراً دعيه يعيش، أما إذا كانت أنثى، فعليك أن تتخلي عنها»

إنها لحقيقة أن قَسَم أبقراط، الذي يُقسم به الأطباء يتضمن هذا التعهد: «لن أعطي لامرأة أي شيء يساعدها على الإجهاض». ومعظم ما جاء في هذا القسم لم يكتبه أبقراط (٤٦٠-٣٧٧ق.م) «أبو الطب»، بل كتبه تلاميذه. وعلى الرغم من ذلك، كما ذكر و.هـ. چونز: «من الصعوبة بمكان الاعتقاد بأن لُب القسم على الأقل لا يعود إلى أبقراط «العظيم» نفسه». وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الجزء من القسم كان يُنتهك بشكل منتظم، بالنظر إلى أنه في المجتمع المتساهل في كل من اليونان وروما، أصبح قتل الأطفال غير المرغوب فيهم أو التخلي عنهم ممارسة عادية. وعلى صعيد آخر، يعارض المسيحيون هذا الأمر على أسس لاهوتية وأخلاقية. وعلى سبيل المثال، نجد أن ترتليان في كتابه «Apology» يتهم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الرومان بقتل الأطفال، ثم يستطرد قائلاً:

«بالنسبة لموضوعنا، فإنه معروف أن القتل أمراً محرماً تماماً، وليس لنا أن نتخلص من الجنين وهو في الرحم، فهو كبشر يحصل على الدم من أجزاء أخرى من الجسم للبقاء على حياته. كذلك فإن إعاقة الولادة هي عملية قتل لإنسان، ناهيك عما يمثله القضاء على حياة وُلدت بالفعل، أو من يدمر حياة في سبيلها إلى أن تُولد. فهذا جنين في سبيله إلى أن يكون إنسان، فلديك الثمرة بالفعل في داخل بذرتها».

وبعد تجدد قسطنطين سنة ٣١٢م، أصبح الإجهاض جريمة، وأقيمت الملاجئ لاستقبال الأطفال غير المرغوب فيهم في روما، وأثينا، وفي أماكن أخرى. وهذا الاعتراف بكرامة الأطفال، وتحريم قتلهم، يعود الفضل فيه وبدرجة كبيرة إلى يسوع المسيح. ونجد أن الأناجيل السينوبتية (المتشابهة) تتحدث عن مناسبتين منفصلتين رُحّب فيهما بالأطفال، وامتُدِح التشبه بالأطفال. كانت الأولى حين أُحضر إليه الأطفال الصغار (أطفال رضع، كما يُفهم مما جاء في لوقا١٨: ١٥) حتى يضع يديه عليهم ويباركهم. ولكن عندما وبخ التلاميذ أولئك الذين أحضروا هؤلاء الأطفال، غضب يسوع وقال: «**دعوا الأولاد يأتون إلى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم**» (مرقس١٠: ١٣- الخ، انظر متى١٩: ١٣الخ، لوقا١٨: ١٥ الخ).

أما المناسبة الثانية، فقد جاءت على إثر مناقشة جرت حول من هو أعظم في ملكوت الله. وفي هذه المرة أخذ يسوع المبادرة، ودعا إليه طفلاً وأقامه في وسطهم. وعندئذ أعلن بكل إصرار أنه ما لم يتغير الكبار ويصيروا مثل الأطفال فإنهم لن يدخلوا الملكوت. وعلى ذلك، فإن الذين يتواضعون ويصيرون مثل الأطفال هم الذين سيكونون الأعظم في الملكوت (متى١٨: ١-الخ، مرقس٩: ٣-الخ، لوقا٩: ٤٦الخ).

من بين كل أولئك الذين تأثروا بمحبة يسوع للأطفال، هناك شخص يعد من أبرزهم، وهو د.توماس برناردو (١٨٤٥- ١٩٠٥)، وكان قد تجدد وآمن بالمسيح وهو في سن السابعة عشر، والتحق بمستشفى لندن لدراسة الطب بعد ذلك بأربع سنوات، و اعتزم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الذهاب إلى الصين كمرسل طبي. غير أنه في غضون بضعة شهور، وقعت أحداث كان من شأنها أن غيرت مجرى حياته. فقد اكتشف في منطقة «إيست إند» بلندن، وجود أطفال محرومين في غاية البؤس. وفي سنة ١٨٧٠م، وعندما بلغ سن الخامسة والعشرين، أقام أول ملجأ لهم في ستبني. وقرر البقاء في لندن وتكريس حياته لإنقاذ «أكثر مخلوقات الله ضعفاً واحتياجاً - وهم الأطفال المعوزون». وفي غضون أربعين سنة، كان قد جمع مبلغ ٣,٢٥ مليون جنيهاً، وأقام شبكة من الملاجئ لاستقبال الأطفال المشردين، والمعوزين. وذلك لرعايتهم وتدريبهم. وقد أنقذ ستين ألفاً من الأولاد والبنات من براثن العوز والفاقة. ونحن - في أيامنا هذه - بوسعنا أن ندعوه القديس الراعي لأطفال الشوارع.

وخدمة توماس برناردو التي كرسها للأطفال، كانت لها بداية مثيرة. فمن بين أطفال الشوارع الذين عرفهم، كان هناك طفل اسمه چون سومرز، وكان يُطلق عليه «جزرة» بسبب شعره الاحمر، وكان في سن الحادية عشر. وقد اعتاد أن ينام في مكان ما بين «كوفنت جاردن» و «بلنجزجيت». وفي إحدى جولاته التي كان يقوم بها في منتصف الليل، اختار برناردو خمسة أولاد مشردين ليأويهم في ملجئه. وقد التمس منه «جزرة» أن يقبله هو أيضاً، غير أنه لم يكن هناك مكان شاغر. وعلى ذلك، وعده برناردو أن يأخذه في أول فرصة يوجد فيها مكان شاغر.

وبعد ذلك ببضعة أيام، فيما كان أحد العمال ينقل برميلاً كبيراً كان مركوناً وفتحته تجاه الحائط، إذا به يزعج صبياً كان نائماً، وكان بجواره صبي آخر، يبدو أنه كان نائماً أيضاً. والذي حدث أن أحد الصبيين، كان مراوغاً كالثعلب، فاستطاع الفرار، غير أنه عندما لمس العامل الصبي الآخر، لم يُواجَه برد فعل أو حركة... لقد كان الصبي ميتاً. ولم يكن هذا الصبي سوى «جزرة» نفسه. وكان قرار الطب الشرعي أن «الوفاة حدثت بسبب الإجهاد الناجم عن الجوع الشديد»

هذه المأساة كان لها تأثيرها الأليم على مشاعر برناردو الحساسة... وشيئاً فشيئاً، تشكل قرار في نفسه، فقال: «لن يحدث هذا مرة ثانية على الإطلاق. وعلق لافتة كبيرة خارج ملجأ ستبني، مكتوباً عليها بالخط العريض: «لن يُرفض إطلاقاً أي طفل من المعدمين».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفي وقت لاحق، أضاف إلى هذه اللافتة، وبالخط العريض أيضاً عبارة «هذا الباب مفتوح دائماً» - حيث المأوى، والطعام، والملبس والرعاية الطبية، و يمكن تقديمها في الحال في أي وقت نهاراً كان أم ليلاً.

واستطاع د.برناردو فيما بعد أن يقول: «نحن نقبل أطفالاً، لا يمكن لأية مؤسسة خيرية أخرى أن تقبلهم... وهم أطفال مازالوا على قيد الحياة، لأنهم في المرحلة الأخيرة من المرض، أطفال من العرج والمعوقين والعمي، أطفال أصبحوا نتيجة الإهمال والمعاناة لفترة طويلة، يُقبلون لا لشيء سوى لكي يموتوا فحسب. والشرط الوحيد لقبولهم هو الفقر».

ولكن ما الذي كان يحفز هذه المحبة الشاملة غير العادية للأطفال؟ من المتيقن أن أرملة برناردو قد أماطت اللثام عن دافعه السري. ذلك أنها في ذكرى الراحل د.برناردو، كتبت الآتي:

«كان برناردو يهتم دائماً بالأطفال... و كان يحبهم جميعاً... وفي حماسة الشباب وإنكار الذات، كانت محبته أكثر لمن هم الأسوأ، كان يحبهم بالمحبة التي تفرح بتقديم الخدمة في إطار من إنكار الذات. ووسط أناس يدَّعون أنهم يتبعون ذاك الذي قال «دعوا الأطفال يأتون إلى ولا تمنعوهم...»، يموت الأطفال المشردون في الشوارع، ولا يقدم لهم من العون سوى القليل».

وبعد وفاة برناردو مباشرة، ظهرت قصيدة رثاء في صحيفة «punch» كتبها رئيس التحرير سير أوين سيمان. وكانت مكونة من أربعة مقاطع. وفيما يلي المقطعان الأولان من هذه القصيدة.

دعـــوا الأولاد يـــأتـــون إلـــي
هـــذا مـــا قـــالـــه صـــوت المســـيح
فيا من خرست ألسنتهم عن شريعته
يكفـــينا صـــوته العـــذب الفصـــيح
هـــذا مـا قـالـــه يســـوع
ومن يحبه ينقذ الأطفال من الفقر والجوع
ومن ينقذ طـفلاً من هؤلاء المساكين
لـــه أجـــر عند رب العـــالمين

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٦ـ غسل الأرجل

صمويل لوجان برنجل

Samuel Logan Brengle

درس ضروري في التواضع

كان غسل الأرجل، سواءً قام به الشخص نفسه، أو قام به شخص آخر، من الممارسات السائدة في كثير من أنحاء العالم القديم. أما بالنسبة لمعظم ما ذُكر عن هذا الأمر في الكتاب المقدس، فكان يركز على تقديم الماء للضيوف لكي يقوموا هم بغسل أقدامهم بأنفسهم، أما أن يقوم شخص بغسل قدمي شخص آخر، فكان يُنظر إليه على أنه دلالة على التنازل والاتضاع، لأنه في الحقيقة كان عملاً خاصاً بالعبيد.

وقيام يسوع بغسل أرجل تلاميذه أثناء أمسيته الأخيرة معهم، كان عملاً يمتلىء بالرموز والمعاني. والواقع أن يسوع نفسه أشار إلى أن الأمر ينطوي على سرٍ بأكثر مما تراه العين، وذلك حين قال لسمعان بطرس: «**لستَ تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد**» (يوحنا١٣ : ٧).

أولاً: كان عملاً يرمي إلى توضيح أن الساعة قد حلَّت، وأنه جاء من عند الله، وهو الآن بصدد العودة إليه (الآيات١ـ٣). ولذلك «**قام عن العشاء**» (٤ /أ) كما سبق أن قام عن عرشه. «**وخلع ثيابه**» [الخارجية] (٤ /ب)، كما تخلى عن مجده. ثم «**أخذ منشفة واتزر بها**» (٤ /ج)،مثلما أخذ طبيعة عبد.، «**ثم صب ماءً في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ**»، مثلما وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. فلما كان قد غسل أرجلهم، ارتدى ثيابه وعاد إلى مكانه (الآية١٢)، حيث كان على وشك العودة إلى الآب. وبدا الأمر وكأنه تصوير متعمد لمراحل حياته الخمس أو أكثر، والتي وصفها بولس الرسول بدقة في الترنيمة التي ذكرها في (فيلبي «٢»).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثانياً: كان «علامة». لقد قال إنه «**سيدهم**» و«**معلمهم**» (الآيتين ١٣-١٤). غير أنه بدلاً من أن يتصرف كدكتاتور على غرار معظم السادة، وضع نفسه لكي يخدمهم. فأصبح سيدهم عبداً لهم. وأي دليل آخر نحتاجه ليوضح لنا ألوهيته؟

ثالثاً: كان «مثالاً» يشير إلى حاجة البشر جميعاً إلى أن يتطهروا من الخطية. والواقع أن يسوع قال لبطرس: «**إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب**» (أي نصيب في ملكوتي، الآية٨). ومضمون اعتراض بطرس إعلان بأن الصليب ليس ضرورياً!.

رابعاً: كان مثالاً، فقد قال يسوع هذا: «لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً» (الآية١٥). ومعنى هذا أننا إذا قمنا بهذا العمل فعلاً في ثقافتنا، فلن يكون هناك عيب لأعمل عملاً يؤَّدى في إطار المحبة مهما كان وضيعاً.

وعلى الرغم من ذلك، تميل الكنيسة إلى تفسير تعليم يسوع تفسيراً حرفياً. وما يُطلق عليه «pedilavium» أو طقس غسل الأقدام، كان يتم لسنوات كثيرة، وعلى وجه الخصوص بالارتباط مع المعمودية، في كنائس الشرق والغرب على السواء. ثم إن البند السادس من السنودس الذي عُقد في توليدو (٦٩٤م) استهجن إهمال هذا الطقس، وجعله إجبارياً يوم خميس العهد، أو خميس الغُسل، (اليوم الذي يسبق الجمعة العظيمة)، وذلك في جميع كنائس أسبانيا وبلاد الغال (فرنسا).

وقيام قادة الكنيسة والدولة، على وجه الخصوص، بهذا الطقس بين آونة وأخرى، يُفترض أن يكون رمزاً على إتضاعهم. وهكذا، فإنه في عام ١٥٣٠م قام «الكاردينال ولزي» (وهذا ليس على وجه الدقة نموذجاً للاتضاع) بغسل ومسح وتقبيل أقدام تسعة وخمسين رجلاً من الفقراء، وذلك في بيتربارا. ومازال حتى يومنا هذا، يقوم بطريرك الروم الأرثوذوكس بكنيسة القبر المقدس بأورشليم، بغسل القدم اليمنى لاثني عشر من كبار رجال الدين يمثلون الرسل، ويقوم البابا بعمل الشيء نفسه في روما، وهذا التقليد أعاده يوحنا الثالث والعشرون بعد مرور ما يقرب من تسعين عاماً.

ومن أكثر الأمثلة المثيرة للتفسير الحرفي لوصية المسيح، نجده بين الملكات والملوك الإنجليز. وقد بدأ مع الملك جون سنة ١٢١٣. فإلى جانب غسل الأرجل، كان يعطي ثلاثة عشر بنساً

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

لثلاثة عشر رجلاً، وهذا الطقس أصبح يُعرف باسم «نقود خميس العهد الملكية». والذين يُمنحون هذه النقود، هم من الشيوخ الذين أمضوا حياتهم في خدمة تطوعية، وأصبحوا في احتياج إلى المال. أما عددهم فيكون بحسب عمر الملكة. ويتم توزيع أكياس نقود من اللون الأخضر والأبيض والأحمر، تحتوي على قطع من العملة الفضية التي سُكَّت خصيصاً لهذه المناسبة، وذلك بدلاً من الطعام والثياب. وعلى الرغم من عدم وجود طقس غسل الأقدام، إلا أن الموظفين الرسميين مازالوا يرتدون فوطاً من الكتان الأبيض، ومازال كافة المشاركين الكبار (بما في ذلك الملك) يحملون باقات زهور صغيرة ذات أعشاب رائحتها ذكية - كما كانوا يفعلون أيام الوباء ليتفادوا خطر انتشار العدوى، ولكن هذه كلها حرفية مفرطة. وأعتقد أن كالڤن كان مصيباً عندما قال: «إن المسيح هنا لم يكن يقيم طقساً سنوياً، بل أراد أن يقول لنا إنه يجب علينا أن نكون مستعدين طوال حياتنا، لكي نغسل أقدام إخوتنا. ليس معنى هذا أن نغسلها حرفياً. بل أن نعيش معهم في محبة وتواضع وخدمة مضحية».

وثمة مثال رائع على هذا نجده في صمويل لوجان برنجل، الذي أصبح أول مفوض من أصل أمريكي في جيش الخلاص[1]. لقد كان قساً شاباً تابعاً لكنيسة المثال (الميثودست) عندما تقابل لأول مرة مع وليم بووث. على الرغم من أنه كان لديه طموح خفي لأن يصبح شخصية ناجحة وشهيرة، كأسقف مثلاً. ففي سنة ١٨٨٧، عَبرَ الأطلنطي لينضم إلى جيش الخلاص. غير أن بووث في بداية الأمر كان يشك فيه، وقال له: برنجل، أنت تنتمي إلى «الطبقات الخطيرة» (وكان بهذا يقصد رجال الكهنوت). لقد كنت رئيساً لنفسك لمدة طويلة، ومن ثم فإني لا أعتقد أنك تريد أن تخضع لنظام جيش الخلاص».

وعلى الرغم من هذا الشك، فقد تمت الموافقة على إعطاء برنجل فرصة لاختياره. وبغية أن يُغرس فيه قدر ضروري من التواضع، فقد أُرسله إلى ليمنجتون لتدريبه كطالب جاد، وكانت أول مهمة أُسندت إليه هي أن يدهن أحذية زملائه الطلبة بالورنيش الأسود. وقد وجد نفسه في قبو مظلم صغير تحت الأرض، وأمامه ثمانية عشر زوجاً من الأحذية الموحلة

(١) «جيش الخلاص» هي جماعة من الرجال والنساء الذين يهتموا بالكرازة في كل مكان في بريطانيا.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

طويلة الساق، وعلبة من الورنيش السائل الأسود، وكان أمام تجربة صعبة. لقد تملك الفزع برنجل، بل وانتابه شعور بالتمرد.

وسأل نفسه: «هل طاوعت أهوائي وقطعت ثلاثة آلاف ميل، لكي ألمع الأحذية بالصبغة السوداء؟» وبعد ذلك تخيل أنه رأي صورة: وكان يسوع هو الشخصية الأساسية فيها، وكان يغسل أرجل تلاميذه! الرب سيده ـ الذي جاء من الأمجاد السماوية حيث يعبده كل الجند السماوي ـ وهو ينحني ليغسل أرجل صيادي سمك جهلة لا وزن لهم في المجتمع، حيث وضع يسوع نفسه آخذاً صورة عبد. وهنا شعر برنجل بضآلته. فإذا به يهمس في نفسه قائلاً: «ربى وإلهي، لقد غسلت بالفعل أرجلهم. وإني سأمسح وألمع أحذيتهم». وإذ به، بحماسة لم يسبق أن عُرفت بين العاملين، يمسح الأحذية، وعلى شفتيه ترنيمة، وسلام يغمر قلبه.

ولم ينس برنجل إطلاقاً إذلال كبريائه. «لقد عاش حياة يتشبه فيها بالمسيح»، هذا ماذكره كاتب سيرته: «والتشبه بالمسيح... كان جوهر اختبار القداسة الذي كان يعلّمه، وكان اسمه يشكل كلمة مألوفة بين المنتمين لجيش الخلاص، كما كان يشغل مكانة سامية بين قديسي هذه الحركة. ومازالت دوائر جيش الخلاص تذكره في إطار من الإجلال والتقدير. وكل هذا نتيجة رؤية رأى فيها يسوع يغسل الأقدام».

في هذا السياق نفسه، نذكر أن تشاك كولسون، الذي حُكم عليه بالسجن بسبب ما نُسب إليه في قضية ووترجيت الشهيرة، قد نُقل إلى معسكر السجن الفيدرالي في قاعدة ماكسويل الجوية، حيث كُلف بالعمل في المغسلة. وقد كتب يقول: «كانت درجة الحرارة في الصيف لا تُحتمل، وكان عملى يتضمن فرز عدد لا يُحصى من الملابس الداخلية المبللة بالعرق، وبرات العمل البُنيّة. وإني على قناعة بأن تكليفي بالعمل في المغسلة كان خطوة أخرى في عملية ترويض الـ «أنا» بالنسبة لي. ومن المؤكد أن عملية غسل ملابس الآخرين كانت تتضمن درساً معيناً في الاتضاع لا يقل كثيراً عن عملية غسل أقدامهم».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٧ـ الصـــليب

تويوهيكو كاجاوا

Toyohiko Kagawa

الإعلان عن محبة الله

كان صليب المسيح مصدر إلهام للملايين. والواقع أنه من بين كل أعماله وأقواله، لم يكن ما هو أكثر من الصليب تحفيزاً وتأثيراً. ويتوجب على جميع المسيحيين أن يقولوا مع بولس الرسول إن «**محبة المسيح تحصرنا**» (كورنثوس الثانية١٤ :٥)، أي «لا تترك لنا خياراً»، بل حتى أنها «تحكم قبضتها علينا»، ولذلك عزمنا أن نحيا لا لأنفسنا بل من أجل ذاك الذي مات عنا.

والمثال الذي اخترته عن كيفية تحفيز الصليب للناس، يتمثل في قائد مسيحي آسيوي، وهو تويوهيكو كاجاوا (١٨٨٠ـ ١٩٦٠). وقد وُلد في «كوبي» باليابان. وكان أبوه رجل أعمال ارستقراطياً ثرياً، وكان وزيراً في الحكومة ومستشاراً للإمبراطور، في حين أن والدته كانت من فتيات «الجيشا»، أي راقصة يابانية. وقد مات أبواه كلاهما ولم يكن قد تخطى الرابعة من عمره، ثم أُرسل بعد ذلك لكي يعيش في مزرعة العائلة مع زوجة أبيه. وهناك، عاملوه بقسوة، ولم يكن مرغوباً فيه أو محبوباً، وقد ظل يحمل آثار الشعور بالوحدة بقية حياته.

وحين كان في المدرسة في توكوشيما، قُدم لبعض المرسلين الأمريكيين، وبصفة خاصة، د.هاري مايرز الذي أصبح له معلماً. و تأثر كاجاوا بدرجة هائلة بتعليم يسوع ومثاله، فمن ثم حفظ الموعظة على الجبل عن ظهر قلب، وبدأ يصلي يومياً: «اجعلني يا رب أشبه المسيح». وعندما بلغ الخامسة عشر تم عماده. وهذا كان أكثر مما يحتمله أقاربه. ونتيجةً ذلك تخلى عنه عمه وحرمه من الميراث.

وفي عيد الميلاد المجيد سنة١٩٠٩، كان قد بلغ الحادية والعشرين من عمره، ترك معهد اللاهوت في كوبي، ونقل كل حاجياته على عربة تُدفع باليد، وذهب إلى حي الفقراء الرهيب في شنكاوا. ومع أن كوخه لم يكن له نوافذ، وكانت مساحته لا تزيد عن مربع ضلعه ستة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أقدام، إلا أنه برغم ذلك كان يشارك فيه أي شخص كان في حاجة إلى عناية ومأوى. وفي بعض الأحيان كان يستضيف عدة أشخاص في آن واحد. وكان طعامه مجرد صحنين صغيرين من عصيدة الأرز يومياً، وكان يرتدي نفس الحلة الرثة لسنوات عديدة. وليس ثمة ما يدعو للدهشة أنه كان يقع فريسة المرض، وعندما كان يتعرض للأذى والهجوم لم يكن ينتقم لنفسه، ولم يستسلم للشر. وقد كتب عنه أحد كُتاب سيرته ـ وهو وليام أكسلنج ـ في ذلك الحين ما يلي:

«كان يزور المرضى ويواسي الحزانى، ويطعم الجوعى، كما كان يأوي المشردين، وأصبح أخاً أكبر للعاهرات، ويزورهن عند المرض، ويقدم لهن الأدوية. وكان الآباء يلجأون إليه طالبين مشورته. وقد اتخذه المجرمون أب اعتراف لهم... وكان الأطفال يتزاحمون حوله».

وقد أقنعته هذه الاختبارات إلى جانب دراساته المستمرة بكلية اللاهوت، بضرورة الذهاب إلى أبعد من حب الخير، والانخراط في العمل الاجتماعي. ولذلك عندما أضرب عمال حوض السفن في كوبي، لجأوا إليه لقيادتهم، وقد نظمهم، وأقام لهم أول اتحاد للعمال في اليابان. ثم إنه تولى قضية المزارعين المستأجرين، وساعدهم على تنظيم اتحاد تعاوني يضم الفلاحين على مستوى الأمة كلها. ونتيجة لتضامنه مع العمال، اعتُبر كاجاوا مثيراً للشغب، وأدرجت الشرطة اسمه في القائمة السوداء، وأخذت الشرطة السرية تتعقبه. وفي الوقت المناسب ألقت القبض عليه، وسحبته إلى مركز الشرطة، وأُودع السجن لمدة ثلاثة عشر يوماً. ومع ذلك، ونتيجة لكتاباته اللاذعة، أعلنت الحكومة عن عزمها إزالة أحياء الفقراء العشوائية في ست من أكبر المدن في اليابان.

وبعد الزلزال الرهيب الذي دمر يوكوهاما، وثلثي مدينة طوكيو، وراح ضحيته مائة ألف نسمة، عمل كاجاوا بنشاط في إعادة التعمير، ولكنه لم يفقد إطلاقاً حماسته التبشيرية. وفي سنة١٩٢٨ م رأى في رؤية أن مليوناً من اليابانيين يتحولون إلى المسيح، «والموضوع الرئيسي في كرازته كان صليب المسيح»، باعتباره الإعلان الإلهي عن محبة الله.

وتم القبض عليه قبل الحرب العالمية الثانية ثلاث مرات باعتباره مخرباً، ذلك لأنه كان ينتمي سراً لجمعية المناداة بالسلام. غير أنه بعد الحرب (كانت بالنسبة له أربع سنوات من الكرب العظيم)، ناشده رئيس الوزراء بهذه العبارات: «المسيح فقط هو الذي استطاع أن يحب أعداءه... ساعدني على أن أضع محبة يسوع في قلوب شعبناً». واستقبله الإمبراطور لمدة نصف ساعة على انفراد ليشرح له معنى الصليب.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وكانت كتب كاجاوا تلقى شعبية هائلة. وعندما كان يُنشر له كتاب جديد، كنت ترى طوابير طويلة تحتشد أمام المكتبات. وكانت كل كتبه تشير بطريقة أو بأخرى إلى الصليب.

أولاً: على الرغم من أن معتقداته عن الكفارة والفداء لم تكن قد تبلورت بوضوح، لكن كاجاوا أكد بقوة على أن المسيح بذل نفسه من أجل خطايا الآخرين. والخاطئ الذي يبكي على خطاياه هو فقط الذي بمقدوره أن يفهم معجزة هذه المحبة. وبالنسبة لي، لقد وُلدت في الخطية، ومن ثم فإن هذه المحبة المخلصة تملأ وتهز كل ذرة من كياني، وهي تثير في داخلي إحساساً قوياً بالشكر والعرفان.

ثانياً: الصليب هو تجسيد للمحبة. بمعنى أنه يظهر محبة الله لنا، ومقدار المحبة التي يجب أن نقدمها للآخرين. وبعبارة واحدة، اتجاه محبة المسيح قد تجلت في الصليب. فالصليب هو كل المسيح، وكل المحبة.

ثالثاً: رأى كاجاوا في الصليب شيئاً ليس له مثيل على الإطلاق. وكتب يقول: «الحقيقة الفريدة في العالم كله، المتمثلة في بذل المسيح ذاته من أجلنا وسفك دمه فداءً لخطايا الجنس البشري كله، فإن هذا في حد ذاته هو الإعلان الحقيقي عن المحبة الإلهية ذاتها».

وأخيراً، فيما يلي ربما أكثر أقواله الشخصية بلاغة:

«إني شاكر لديانة الشنتو، وللبوذية، وللكنفوشيوسية، وإني أدين بالكثير لهذه الديانات. وحقيقة أني وُلدت بروح التوقير. وإني اشتهي اشتهاءً لانهاية له إلى القيم التي تسمو على هذه الحياة الأرضية، وإني أجاهد لأسلك بحسب القاعدة الذهبية، وإني مدين تماماً لهذه المعتقدات العرقية. وعلى الرغم من ذلك، فقد فشلت هذه الديانات الثلاثة تماماً في مساعدتي لتسديد أعمق احتياجات قلبي. لقد كنت سائحاً أسير في طريق طويل للغاية ليس به منعطفات. كنت في غاية الإرهاق. وكانت قدماي تدميان من كثرة المشي. كنت أهيم على وجهي في عالم مظلم وكئيب مليء بالمآسي. وكانت الدموع لا تفارق عيني نهاراً وليلاً... إن البوذية تعلم العطف البالغ... لكني تعلمت المحبة الحقيقية من الذي قال: «**هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**».

نترك كاجاوا الذي كانت عقيدته أن «الصليب هو جوهر المسيحية»، وكانت ترنيمته المفضلة «احفظني يا يسوع إلى جوار الصليب».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٨ ـ القيامة

چوني إريكسون تادا

Joni Eareckson Tada

سأقف على قدمي وارقص

في الثلاثين من يوليو سنة ١٩٦٧م، وقع حادث لفتاة رياضية في السابعة عشر من عمرها تُدعى چوني إريكسون، وذلك أثناء مزاولتها رياضة الغطس في خليج تشيسبيك. ونتيجةً لذلك أُصيبت بشلل الأطراف الأربعة بدءاً من الرقبة إلى أسفل.

عندما دخلت المستشفى، حاربت في البداية بشجاعة ضد حالتها المرضية، وأصرت على استرداد عافيتها ثانيةً، غير أنها وبشكل تدريجي أدركت أن إصابتها دائمة، وأنها لن تستطيع إطلاقاً استخدام يديها ورجليها. وقد حكت قصتها بأمانة تامة في كتابها الأول. وشعرت أنها غارقة في كافة المشاعر البشرية: المرارة، الإحباط، الامتعاض، الغضب، بل والاكتئاب الذي يحّض على الانتحار. كما أنها اختبرت أيضاً ما أسمته «نوبة غضب وتمرد على الله».

وعلى الرغم من ذلك، فإنها، خلال فترة علاج وتأهيل، وبتشجيع قوي من والديها، وأخواتها، وصديقها، وصديقاتها الأخريات، استطاعت الخروج من الحفرة العميقة الكئيبة التي كانت فيها. وابتدأت تثق في الله، وتواجه المستقبل بواقعية. وتعلمت أن ترسم بفمها. وأصبحت متكلمة وكاتبة لها شعبيتها. وأقامت جمعية خدمات «چوني وأصحابها» لدعم الأشخاص المعوقين.

ومن أهم أسباب تغيرها إعادة اكتشافها الكتاب المقدس، فقد أصبحت أكثر إلماماً بتعاليمه العظيمة. وقد ساعدها أيضاً رؤيتها ليسوع وهو على الصليب، عاجزاً عن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الحركة، لا حول له ولا قوة، مشلولاً مثلها. غير أن القيامة هي التي ساعدتها بالأكثر. وقد كتبت تقول: «لي الآن رجاء في المستقبل. «فالكتاب المقدس يتحدث عن أنه سيكون لنا أجساد «ممجدة» في السماء. وإني أعرف الآن معنى أن «يُمجد»، وذلك سيكون بعد انتهاء حياتي هنا على الأرض، حيث سأكون بعدئذ واقفة على رجلي، وأتحرك بكل نشاط».

ومن المهم معرفة أن ما شجع چوني وساندها، هو التوقع المسيحي لقيامة «جسدية». وما كان الأمر سيشعرنا براحة كبيرة إذا ما وُعدنا بمجرد حياة بعد الموت. أو أن نؤمن بقيامة عبارة عن مجرد استعادة لهذه الحياة الجسدية ـ كان هذا سيثير الفزع في قلب چوني من احتمال عودتها إلى سجنها على كرسيها المتحرك. وكتبت تقول: «لا يمكنني تقبل هذا الاعتقاد بسهولة»، وكتبت الآتي:

«إني بأصابع منحنية واهنة، وعضلات ضامرة، وركب متحجرة، وبدون إحساس من الكتفين إلى أسفل، سيكون لي في يوم ما جسد جديد، خفيف، مشرق بالبهجة، ومكسو بالبر. سيكون جسداً قوياً ورائعاً. هل بوسعك تخيل الرجاء الذي يولده هذا لشخص مثلي يعاني من ضمور في الحبل الشوكي؟ أو لشخص يعاني من شلل دماغي، أو يعاني من تصلب شديد في الأوعية والأعصاب؟ تخيل الرجاء الذي يعطيه هذا لشخص يعاني من اكتئاب هوسي. ليست هناك ديانة أو فلسفة أخرى تعد بأجساد وقلوب وعقول جديدة. لكن في إنجيل المسيح، فقط يجد اليائسون هذا الرجاء الذي يجل عن الوصف».

وسواءً كانت چوني تعرف ذلك أم لا، فإنها كانت تردد بعض العبارات الرائعة لرئيس الأساقفة وليم تمبل:

يمكن القول بيقين، إن أحد أسس الرجاء الموجود في المسيحية، والذي يجعل منها إيماناً حقيقياً، يكمن في إنها لا تنكر المادة لكن تتوقع المقدرة على السيطرة عليها وإخضاعها.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ومن التعبيرات الأكثر أهمية: «والكلمة صار جسداً» حيث اختير التعبير الأخير بلا شك لارتباطاته المادية الخاصة. وعلى أساس طبيعة تعليمها الأساسي ذاته، فإن المسيحية ملتزمة بالاعتقاد في الأهمية الجوهرية للعملية التاريخية، وفي حقيقة المادة، ومكانها في الخطة الإلهية.

وكان تمبل يشير إلى الحقائق المادية العظيمة الثلاث، وهي: الخليقة، التجسد، القيامة وحينما يردد المسيحيون قانون إيمان الرسل أو قانون الإيمان النيقوي، فإننا نعلن إيماننا بقيامتين: قيامة يسوع المسيح من الأموات (وهذا أمر حدث في الماضي)، وقيامة أجسادنا (وهذا أمر سيحدث في المستقبل). وهاتان القيامتان تتصل كل منهما بالأخرى، لأن يسوع «**سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده**» (فيلبي٣: ٢١). وكذلك «**وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي**» [المسيح] (كورنثوس الأولى١٥: ٤٩). وعلى الرغم من ذلك، فإنه ستكون هناك استمرارية وعدم استمرارية، بين أجسادنا الحالية وأجسادنا المستقبلية كما هو الحال بالنسبة ليسوع. فجسد قيامته هو نفس الجسد، وبرغم ذلك، فإن له أيضاً قوى جديدة مذهلة. وهذا التناقض الظاهري بين نفس الشيء، والاختلاف الذي سيحدث، وضّحه بولس على نحو جيد بتشبيه مجازي زراعي. فالبذرة تحدد هوية الزهرة، وقال يسوع «**هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً**» (متى٧: ١٦)، لكن الزهرة تفوق البذرة جمالاً وبشكل لا يقبل المقارنة. وهكذا أيضاً، فإن جسدنا الحالي ضعيف وقابل للهلاك (البذرة)، في حين أن جسد القيامة (الزهرة) سيكون قوياً وغير قابل للفساد (لا يموت) قط، (انظر كورنثوس الأولى ١٥: ٣٥-٤٤). وخلاصة القول، فإن الرجاء المسيحي ليس هو خلود النفس بل قيامة الجسد وتغيره.

إن الطبيعة المادية للقيامة هي التي ألهمت چوني إريكسون. فقد تملكتها الإثارة، وكتبت تقول: «هناك، كم ستكون السماء قوية مثل صخرة جبل طارق. سوف نلمس ونتذوق. وسوف نحكم ونملك، ونتحرك. نجري، نضحك، ولن يكون هناك إطلاقاً أي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

سبب للبكاء».

تصف چوني اجتماعاً مسيحياً طالب فيه المتحدث من الحاضرين - في نهاية كلامه - أن يركعوا للصلاة. وكانت تنظر إليهم فيما كانوا يفعلون ذلك، ولكنها بالطبع لم تكن تستطيع أن تفعل ذلك لعجزها. وعلى ذلك، لم تستطع أن توقف الدموع التي انهمرت من عينيها. وكان الأمر صعباً بالنسبة لها شخصياً. ولأنها نشأت في كنيسة أسقفية مصلحة، فقد تعودت على الركوع أثناء الصلاة، ثم تذكرت القيامة:

«وفيما كنت جالسة هناك، تذكرت أنه في السماء سيكون بمقدوري أن أقفز، وأمرح، وأجري كما أشاء. وعلى الرغم من أنني واثقة من أن يسوع سيُسر وهو يراني أمشي على أطرَاف أصابعي، فإن هناك شيئاً اعتزم عمله لكي يُسرَّ أكثر. فإذا أمكن، وفي مكان ما، وقبل أن يبدأ الحفل السماوي، وقبل أن يُدعى الضيوف لمائدة الوليمة لعرس الخروف، فأول شيء أنوي عمله بقدمي هو أن أركع شاكرة على ركبتي جسدي الممجد. وسوف أركع بهدوء عند قدمي يسوع».

وكانت چونى تكتب بصفة متكررة في يومياتها: «لا أستطيع الانتظار».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٩ ـ الارتفاع إلى المجد

هنري مارتن Henry Martyn

غيرة لكرامة اسم المسيح

تبدو قيامة المسيح وارتفاعه إلى المجد في بعض فقرات العهد الجديد، وكأنهما حدث واحد. وعلى الرغم من ذلك، فإنه يوجد فارق زمني بين القيامة والصعود مدته أربعون يوماً، فضلاً عن أن كلاً منهما له مغزى مختلف عن مغزى الآخر. فالقيامة تحتفي بانتصاره على الموت، أما الصعود فيحتفي بارتفاعه إلى المجد، واحتلاله أسمى وضع من الكرامة والسلطان، وجلوسه عن يمين الآب. وثمة مثال جيد على هذا الجمع أو الدمج نجده في قول بولس الرسول إنه بالنظر إلى أن المسيح «**وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم** (أي أعطاه كرامة تسمو على كل كرامة) **لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب**» (فيلبي٢ : ٩- ١١).

وهنا نجد أن الدافع الأسمى للإرسالية. ليس هو الطاعة للإرسالية العظمى، ولا شفقة على الضالين، ولا التحمس للإنجيل، بل هو حماسة تصل إلى حد «الغيرة» من أجل كرامة اسم المسيح. وعلى ذلك، يكتب بولس عن مهمته الخاصة بالكرازة للأمم فيقول: «**لأجل اسمه**» (رومية١ : ٥)، ويصف يوحنا بعض المرسلين الأوائل بأنهم «**من أجل اسمه خرجوا**» (رسالة يوحنا الثالثة ٧). بل إنه لم يذكر صاحب الاسم، ولكننا نعرفه. فهو الاسم الذي فوق كل اسم. وليس هناك محفز أقوى من التطلع إلى أن يُعطى اسم المسيح الكرامة التي يستحقها.

ولست أعرف مثالاً لهذه الغيرة أكثر من تلك التي أبداها هنرى مارتن. كان يعيش هنري في كورنول بغرب انجلترا، وُلد في تورو سنة ١٧٨١. وفي سن الرابعة عشر التحق بكلية سان چون بجامعة كمبردج. وكانت له اهتمامات كثيرة، كان يحب رياضة المشي وركوب الخيل في الريف، كما كانت لديه مواهب فنية في الموسيقى والرسم و الشعر. ثم إنه لموت والده المفاجئ

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أصبح هنري الوصي على أخته الصغرى سالي، لذلك طلب رحمة ووجدها في المسيح.

وانتهت دراسته بأن حصل على جائزة أبرز طالب في الرياضيات. وفي سنة ١٨٠٢، أصبح زميلاً في كليته. وفي السنة التالية رُسم قساً بكنيسة «الثالوث المقدس» بكمبردج. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يمكث هناك سوى سنتين فحسب، لأنه سبق أن أعلن عن عزمه السفر كمرسل في الخارج.

وعلى ذلك، فإنه في يوليو سنة ١٨٠٥، وكان في الرابعة والعشرين من عمره، أبحر إلى كلكتا في الهند، وأدار ظهره سواءً بالنسبة لمستقبل أكاديمي بارز (على الأقل هذا ما اعتقده حينئذ)، وكذلك تركته ليديا جرنفيل وهي المرأة التي أحبها. وكتب يقول: «كاد قلبي ينفجر ألماً وحزناً لفراقه أعز ما لديه». وواصل هنري وليديا تبادل الرسائل لمدة ثماني سنوات، ولكنها رفضت عرضه بالزواج، ولم يتزوجا إطلاقاً.

وقد أثبت هنرى مارتن بأنه لغوي موهوب للغاية. فقد تمكن من إجادة اللغة الأردية (على علاقة وثيقة باللغة الهندية)، كما أجاد الفارسية والعربية، وهي اللغات الأساسية الثلاث للعالم الإسلامي، وظل العهد الجديد باللغة الأردية أساس كافة ترجماته اللاحقة ـ ثم أبحر إلى شيراز بايران. وهناك، وعلى الرغم من شدة الحرارة، أكمل ترجمة العهد الجديد باللغة الفارسية في غضون سنة واحدة. وكان يساعده مثقف مسلم اسمه ميرزا سيد علي، الذي حدثه في أحد الأيام عن انتصار حديث على الروس قام فيه ولي العهد عباس ميرزا، وهو ابن الشاه، بالاشتراك مع قواته بقتل الكثير جداً من المسيحيين الروس، حتى أن المسيح ـ على حد زعمه ـ من السماء الرابعة، أمسك بثوب محمد لكي يرجوه أن يوقف القتال!!

تخيل المشهد ـ المسيح يركع أمام محمد. فماذا كان رد فعل هنرى مارتن إزاء هذا الأمر؟ قال: «لقد تألمت غاية الألم نتيجة هذا التجديف». و تملكت الدهشة ميرزا سيد علي، وسأله ما الذي ضايقه. فأجاب: «إنني لا أستطيع تحمل وجودي، إذا لم يُمجد يسوع، لأن الأمر سيُعد جهنم بالنسبة لي إذا كان المسيح لا يُعامل بما يستحقه من تبجيل على هذا النحو». أما صديقه المثقف المسلم وسأله ثانية باستغراب لماذا؟. فرد عليه هنرى مارتن قائلاً: «إذا اقتلعت إحدى عينيك، فلا مجال لأن يسألك أحد لماذا تتألم، إنه شعور طبيعي. وسبب ما قلته هو أني واحد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مع المسيح، لذلك فإنني جُرحت جرحاً بالغاً. و قد اتهمه أحد كُتاب سيرة هنري مارتن بأنه «على درجة عالية من الحساسية». ولكن الأمر لم يكن كذلك، لقد كانت حماسته وغيرته على كرامة المسيح الممجد هي التي ولدت فيه هذا الإحساس.

وفي ٢١ أكتوبر سنة ١٨١١، كتب هنرى مارتن آخر رسالة بعث بها لليديا، حيث قال لها إنه لا يتوقف عن التفكير فيها. وبعد ذلك بأربعة شهور، انتهى من ترجمته للعهد الجديد باللغة الفارسية، وجهز نسختين أنيقتين لتقديمهما إلى الشاه وإلى ولي العهد، ولكن هاتين النسختين لم تصلهما إطلاقاً. وغادر هنرى مارتن شيراز على ظهر الخيل، ووصل إلى مدينة تبريز بعد ذلك بشهرين. وكان يعاني بالفعل من حمى شديدة لإصابته بمرض «الدرن»، لكنه واصل سفره، حيث كان يتوقع أن يصل إلى القسطنطينية التي تبعد مسافة ١٤٠٠ ميل في غضون شهرين آخرين. وفي بداية شهر أكتوبر ١٨١٢، كانت آخر مرة يسجل فيها شيئاً في مذكراته اليومية حيث كان يعاني من ألم فظيع. وحاول مواصلة رحلته لمدة عشرة أيام أخرى، لكنه فارق الحياة في ١٦ من أكتوبر سنة ١٨١٢م في مدينة «توكات» بأرمينيا، ولم يكن قد تعدى الحادية والثلاثين من عمره.

فما الذي حفز هنرى مارتن على التوجه إلى الهند وإيران كمرسل، وأن يخاطر بالتعرض للأذى على يد المتعصبين من المسلمين، وأن يتعلم ثلاث لغات، وأن يعطي الأولوية لواجبه قبل حبه لليديا؟. الذي حفزه هو عزمه على أن يقدم للمسيح الجالس عن يمين الآب التكريم والتمجيد الذي يستحقه. وكان هنرى مارتن -كما ذكر أحد كتبة سيرته: «ينتمي إلى زمرة المرسلين القديسين الذين كانت تطغى عليهم حماسة بالغة، لا تترك لهم مجالاً للراحة، بل كانت تدفعهم دائماً إلى بذل جهود أعظم من أجل تعزيز ملكوت الله». وكما ذكر أحد كُتاب سيرته «كانت ترنيمته المفضلة هي تلك التي صاغها إيزاك واتس على أساس ما جاء في المزمور٧٢

يسوع يقضي للمساكين بالحق

طالما دامت الشمس ودام القمر

وملكوته يغطي كل شبر

من صحراء، أو ريف، أو حضر»

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٠ـ عطية الروح القدس

رولاند ألين Roland Allen

الروح القدس، هو روح المرسل

«**وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه**» (أعمال٢ : ٣٣). هذا ما قاله بطرس في موعظته في يوم الخمسين. إن آخر عمل قام به يسوع بعد قيامته وصعوده للمجد هو إنه وهب الروح القدس لكنيسته التي انتظرت بتوقع هذه العطية.

من بين كافة خدمات الروح القدس الكثيرة، يركز العهد الجديد على الإرسالية (ولو أننا كثيراً ما نغفل ذلك). ومن المؤكد أن يوم الخمسين كان حدثاً مُرسلياً. والواقع أن الفترة الواقعة بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني، وبين الصعود (عندما غاب عن الأنظار) والمجيء الثاني (حين سيظهر)، إنما بحسب قصد الله، يجب أن تُملأ بإرسالية الكنيسة للعالم كله. وكما قال الراحل الأسقف ليزلي نيوبيجين «الكنيسة هي شعب الله الذي هو في سياحة الآن، فهو يتحرك ـ مسرعاً إلى أقاصي الأرض ليرجو كل الناس أن يتصالحوا مع الله، ويسرع إلى نهاية الزمان لمقابلة ربه الذي سيجمع الكل في واحد. والواقع، إنه سيتم الوصول إلى النهايتين في وقت واحد، وكما قال يسوع: «**ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى**» (متى٢٤ : ١٤).

وثمة شخص ألهمته، إلى درجة كبيرة، هذه الصلة بين عطية الروح القدس التي أعطاها المسيح، وإرسالية الكنيسة. وهذا الشخص هو رولاند ألن. وُلد سنة ١٨٦٨ في بريستول بإنجلترا، وكان يشعر منذ طفولته بأنه مدعو ليكون مرسلاً. وقد كتب يقول: «منذ سنوات الطفولة، كنت على قناعة راسخة بمهمتي هذه بنفس الدرجة التي كنت مقتنعاً بها بوجودي». وقد رُسم قسيساً سنة ١٨٩٢، وبعد ذلك بثلاث سنوات أبحر

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

شمالي الصين. وعلى الرغم من أن خدمته هناك لم تتعد ثماني سنوات (فقد أُعيد إلى الوطن سنة ١٩٠٣م لأسباب صحية) إلا أنه كتب عن قناعاته القوية نحو الكنيسة المحلية في الصين، وقضى الأربعين سنة التالية يكتب عن ذلك. كما زار أيضاً شرقي أفريقيا، والهند، وكندا، ومكث فترة قصيرة في كينيا.

وكان أول كتبه، وأكثرها تأثيراً هو كتاب «الأساليب التبشيرية، أساليب القديس بولس أم أساليبنا»، وقد استهل كتابه بهذه الكلمات المحفزة:

«في أقل من عشر سنوات، أقام القديس بولس الكنيسة في أربع مقاطعات في الإمبراطورية: غلاطية، مكدونية، أخائية وآسيا. وقبل سنة ٤٧م، لم تكن هناك كنائس في هذه المقاطعات. وفي سنة ٥٧م، استطاع بولس أن يقول إن عمله هناك قد أُنجز، واستطاع أن ينظم رحلات موسعة في أقصى الغرب دون أن يساوره أي قلق من ناحية أن الكنائس التي أقامها قد تنهار أثناء غيابه بسبب الافتقار إلى الإرشاد والدعم».

لأنه ما من شيء بوسعه أن يغير أو ينكر حقيقة أن القديس بولس ترك وراءه كنائس كاملة أثناء رحلته التبشيرية الأولى. والواقع أن أول وأكثر الفروق أهمية بين عمله وعملنا أنه أسس «كنائس» لكننا نؤسس «إرساليات».

وعلى العكس من ذلك، أنه حين استعرض رونالد ألن ما كان يُعرف في ذلك الحين بـ«حقل الإرسالية»، لمس «ثلاثة أمور مزعجة للغاية». **أولاً**: في كل مكان كانت المسيحية لا تزال نبتة دخيلة غريبة. **ثانياً**: كانت الإرساليات المسيحية في كل مكان تعتمد على تمويل وقيادة أجنبية. **ثالثاً**: رأى في كل مكان نفس الأنماط الأجنبية للحياة المسيحية، التي تتشابه بعضها مع بعض بدرجة تدعو إلى الدهشة، حيث لا توجد أصالة ثقافية محلية.

وهكذا كانت الإرساليات المسيحية غريبة، تعتمد على الغير، ومتشابهة إلى درجة كبيرة. وعلى العكس تماماً من الإرساليات المحلية. وعوضاً عن ذلك، «نود ان نرى مسيحية في أماكن أجنبية، وهي ترتدي ثوباً محلياً [أي أهلياً]، وقد طورت صيغاً جديدة من المجد والجمال».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وكان أسلوب بولس المرسلي هو أن يزرع كنيسة ثم ينسحب لكي يعطي المسيح مكاناً. ألم يكن يخاطر بوقوع كارثة؟ فإذا كان على كل المرسلين أن ينسحبوا، ألن يعرضوا الكنيسة نتيجة ذلك لتعليم زائف وفشل أخلاقي؟ وكان رونالد ألن يرى في هذه الأسئلة أزمة إيمانية. ألا يمكن الثقة في أن الله سيعتني بكنيسته؟ إن الاحتياطات الوحيدة التي اتخذها بولس هي أنه ترك وراءه عندما انسحب، العهد القديم، ورعوية محلية، والتعليم الرسولي الذي وضعه بنفسه. ولكن أهم ما كتبه ألن هو أن بولس «كان يؤمن بالروح القدس كأقنوم يسكن في الذين تجددوا على يديه. وعلى ذلك كان يثق فيهم، وهو لم يثق فيهم لأنه كان يثق في فضائلهم الطبيعية أو قدراتهم العقلية، بل كان يثق في الروح القدس الذي فيهم. وكان على ثقة في أن الروح القدس سوف يثبتهم، ويقويهم، ويعطيهم استقراراً وطمأنينة.

ومازالت المبادئ التي وضعها «رونالد ألن» موضع نقاش، لأنه توجد اختلافات هامة بين الوضع الذي كان عليه بولس، وبين وضعنا، والذي ربما لم يأخذه ألن في اعتباره بشكل كاف. وعلاوةً على ذلك، وكما كتب «الكسندر ماك ليشي» في مذكراته، أن رونالد ألن كان دائماً يتسم بروح التمرد.

وعلى الرغم من ذلك، فإن تأكيده على الدور الذي لا غنى عنه للروح القدس في الإرسالية، لا يمكن أن تشوبه شائبة. فإن اهتمامه كله كان منصباً وبطريقة غير عادية على وضع الروح القدس. وهذا ما كان يسيطر على تفكيره. وبالنسبة له، كان يرى أن سفر أعمال الرسل هو سفر يتعلق بالإرساليات، وأن الروح القدس هو روح مرسلي. وكانت رؤيته للكنيسة المحلية هي أن تكون كنيسة تعتمد على عطية المسيح للروح القدس.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١١ـ المجيء الثاني

أنتوني أشلي كوبر (لورد شافتزبري)

Anthony Ashley Cooper (Lord Shaftesbury)

برنامج للإصلاح الاجتماعي

تضمن كتاب الصلاة[١] الذي صدر سنة ١٦٦٢، توجيهات عن كيفية إيجاد تاريخ عيد القيامة لمدة خمسمائة سنة حتى سنة ٢١٩٩. وعلى أساس القرار البرلماني الذي صدر سنة ١٧٣٢، فإن كتاب الصلاة الأسقفي الأمريكي يعطي قُرَّاءه القدرة على حساب تقويم الكنيسة لفترة قادمة حتى سنة ٨٥٠٠م. وهذه الكنائس الأنجليكانية (الأسقفية) لا تشجع أعضاءها تماماً على أن يتوقعوا بوضوح المجيء الثاني للرب. وعلى الرغم من ذلك، هناك استثناء ملحوظ تمثل في أنتوني أشلي كوبر، والذي على إثر وفاة والده أصبح لورد شافتزبري السابع.

وُلد لورد شانتزبري سنة ١٨٠١، وقضى فترة طفولة لم تكن سعيدة، حيث أهمله والداه وأساءا معاملته. وتمثل عزاؤه الوحيد في مدبرة المنزل ماريا ميلز، التي كانت تحكي له حكايات من الكتاب المقدس، وتعلمه الصلاة، ويبدو أنها قادته إلى الإيمان بالرب يسوع المسيح.

وفي سن السادسة عشر، و أثناء دراسته «بمدرسة هارو» رأي مجموعة من السكارى يلقون بتابوت رجل فقير في الشارع فيما كانوا يلعنونه ويضحكون. وقد شعر بغصَّة وانزعاج نتيجة رؤيته هذا الحدث، وفي وقت لاحق وصفه بعبارة «كان أساس عملي العام»، لأنه قرر عقب ذلك مباشرةً أن يكرس حياته لخدمة الفقراء والضعفاء.

أصبح عضواً في مجلس العموم سنة ١٨٢٦، ولم يكن سنه في ذلك الحين قد تجاوز الخامسة والعشرين، وسرعان ما بدأ برنامجه الخاص بالإصلاح الخيري والاجتماعي، حيث كان يسعى لعلاج بعض النتائج السيئة للثورة الصناعية. وقد تواصل الجهد الذي كان يبذله دون انقطاع لمدة تقرب من ستين عاماً، أما التشريعات التي كان وإلى حد كبير مسئولاً عنها، فكانت إنجازاً يدعو إلى الدهشة والإعجاب.

---

(١) كتاب الصلاة هو كتاب يتضمن نظام الصلاة والعبادة العامة في الكنائس الأسقفية (الانجليكانية) لكل الخدمات المتنوعة مثل الشركة المقدسة ـ المعمودية.. إلخ.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وفي عام ١٨٤٢، صدر قانون العمل بمناجم الفحم الذى يحظر عمل النساء والأطفال تحت الأرض في المناجم، كما خفض ساعات العمل بالنسبة للأولاد. وفي سنة ١٨٤٥، صدر القانون الخاص بمستشفيات الأمراض العقلية الذي كان يضمن المعاملة الإنسانية لنزلائه، وتم تعيين خمسة عشر مفوضاً لمستشفيات الأمراض العقلية، كان هو من ضمنهم لمدة أربعين سنة. وفي أعوام ١٨٤٧، ١٨٥٠و ١٨٥٩ كان يتزعم في البرلمان تقديم القوانين التي تحدد فترة عمل العامل في المصانع لمدة عشر ساعات، كما تمّ تنظيم عدد ساعات العمل بالنسبة للنساء والأطفال. وكان هو القائد المعترف به بالنسبة لكل الإصلاحات الخاصة بالمصانع. وفي سنة ١٨٥١، استهدف قانون الملاجئ العامة إنهاء الظروف غير الصحية التي تسود هذه الملاجئ، ووضع معايير مقبولة، وسمح للسلطات المحلية بالتفتيش عليها ومراقبتها. وحتى هذه القائمة كانت أبعد من أن تكون كاملة. وأسس أشلي كوبر أيضاً اتحاد المدارس المجانية لأولاد الفقراء، وأخذ على عاتقه موضوع منظفي المداخن، والفتيات اللواتي تبعن الورود في الشوارع، والأيتام، والعاهرات، والمساجين والمعوقين. وعلى الرغم من أن مشروعات القوانين التي كان يقدمها مُنيت بالهزيمة عدة مرات، إلا أنه رفض الاستسلام. وكتب في مذكراته «لابد أن أثابر».

ما الذي كان يحفزه؟ بدايةً، كان يؤمن بالإنجيل ويحبه. وكتب في يومياته: «أنا بالتأكيد شغوف بالإنجيل ومقتنع به تماماً كباقى المتمسكين به». وهذا معناه انه بصفة خاصة يؤكد إيمانه «بألوهية المسيح، وذبيحته الكفارية، وملكوته الآتي». ثم إن أعماله الصالحة التي تتسم بالمحبة والعدل، كانت فيضاً طبيعياً لإيمانه.

وعلى الرغم من ذلك، فإنه أثناء ثلاثينيات القرن التاسع عشر، أصبح يؤمن إيماناً راسخاً بالمجيء الثاني للمسيح. وعن هذا، كتب إدوين هودر يقول: «كان هذا يحفزه في خضم كل متاعبه، و أضفى هذا مذاقاً ورونقاً على كافة آماله بالنسبة للمستقبل. وكثيراً ما كان يقول: «لأنه لا يوجد علاج حقيقي لكل هذه الأمور البائسة، سوى في عودة ربنا يسوع المسيح. فلماذا لا نرجوه ونلتمس مجيئه كلما سمعنا دقات الساعة؟»

وذات مرة قال أشلي كوبر لإدوين هودر كاتب سيرته الرسمي: «ليس بوسعي أن أخبرك كيف استحوذ هذا الموضوع على فكري لأول مرة، فعلى قدر ما أتذكر، كان موضوعاً أتمسك به

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

دائماً بقوة. فالإيمان بالمجئ الثاني كان مبدأً محركاً لحياتي، لأني أرى أن كل شيء يحدث في هذا العالم إنما يخضع لهذا الحدث الفريد العظيم».

وعلى ذلك، فلن نندهش إذا عرفنا، أن النص المفضل لأشلي كوبر هو الجزء الثاني من آخر آية في الكتاب المقدس وهي: «**آمين. تعال أيها الرب يسوع**» (رؤيا٢٢: ٢٠). ويومياته التي استخدمها طوال حياته والتي سجل فيها أفكاره الخاصة، كان يزينها بهذا الهتاف في جميع أجزائها. وكان هذا الهتاف شعاراً يكتبه باللغة اليونانية على طرف مظروف كل رسالة يستخدمها كل يوم. وقبل وفاته ببضع سنوات، ترك تعليمات بأن يُكتب هذا النص (رؤيا٢٢: ٢٠) ضمن ثلاثة نصوص على شاهد قبره. وعندما كان على فراش الموت ظل يتمتم: «**تعال، أيها الرب يسوع**».

وتوفي أنتوني أشلي كوبر، دوق شافتزبري السابع، سنة ١٨٨٥، وقد استحق عن جدارة لقب «الإيرل نصير الفقراء» لدرجة أن عشرات الآلاف من الناس من كل الأعمار والطبقات، قد اصطفوا حول الطريق الذي تسلكه العربة التي كانت تحمل جثمانه من بيته في ميدان جروسفينور إلى كنيسة ويست منستر. وهناك كان الشعور بالحزن البالغ والمحبة والاحترام لهذه الشخصية العظيمة. وكان ممثلو ملاجئ الأيتام، والمدارس المجانية لأولاد الفقراء، والجمعيات الخيرية التي كان قد أسسها يحملون لافتات كُتبت عليها في إطار من الزخرفة الجميلة عبارات مما ذُكر في متى ٢٥ «**لأني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريباً فآويتموني. عرياناً فكسوتموني مريضاً فزرتموني. محبوساً فأتيتم إليَّ**» (الآيتين٣٥-٣٦). ولم تستطع الأمطار الغزيرة أن توقف حماسهم.

وقال عنه دوق أرجيل في خطاب سياسي ألقاه بعد ذلك بوقت قليل: «إن الإصلاحات الاجتماعية التي تمت في القرن الماضي لم تكن نتيجة جهود حزب سياسي، بل كانت بتأثير شخصية ومثابرة رجل واحد، وإني أقصد بالطبع لورد شافتزبرى. وقد اعترفت به أيضاً صحيفة التايمز وكتبت عنه بأنه رجل «غيّر الحالة الاجتماعية برمتها في إنجلترا».

ولماذا؟ ما الذي كان يحفزه على أعماله هذه؟ يعرفنا هو بنفسه. ذلك أنه مع اقتراب نهاية حياته قال: «لا أعتقد أنني طوال الأربعين سنة الماضية، عشت ساعة واحدة لم أكن فيها متأثراً بتفكيري في عودة الرب».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٢ـ الدينونة الأخيرة

وليم ولبرفورس

William Wilberforce

إلغاء الرق وتجارة العبيد

آخر مثال أذكره لشخص تأثر بشكل عميق بيسوع المسيح هو وليم ولبرفورس، الذي كان دائماً يتذكر أنه سيأتي اليوم الذي يقف فيه أمام كرسي المسيح للدينونة.

وذات مرة أوجز ولبرفورس طموحات حياته بقوله: «لقد وضع الله القادر على كل شيء أمامي هدفين عظيمين، إنهاء تجارة العبيد وتقويم النواحي الأخلاقية».

وإني اقترح أن تأمل في هدفيه بترتيب عكسي. ويمكن عزو تأثير ولبرفورس على القيم والمعايير الإنجليزية بشكل أساسي إلى كتابه الشهير الذي يحمل عنواناً كبيراً على غير ما هو مألوف، وهو: «وجهة نظر عملية عن النظام الديني السائد في هذه البلاد» والخاص بالمسيحين سواءً من الطبقات العليا أو الوسطى مقارنةً بالمسيحية الحقيقية. وقد نُشر سنة١٧٩٧، وأُعيد طبعه خمس مرات في نفس السنة، و تُرجم إلى خمس لغات أوروبية، ويُعرف على المستوى الشعبي باسم «المسيحية الحقيقية»، و كان له تأثير بالغ ومثير.

ومعظم عناوين فصوله تبدأ بعبارة «مفاهيم غير كافية عن...» حيث أن هدفه ـ من معرفته الواسعة بالكتاب المقدس ـ كان كشف نقائص المسيحية الإسمية، وتوضيح ضروريات المسيحية الحقيقية، الصادقة، الحيوية، أو «العملية». وكان يصر على القول بأن الاختلافات الرئيسية بين المسيحية الحقيقية والمسيحية الإسمية «تكمن في المكانة التي تعطي للإنجيل، حيث أن تعاليمه الأساسية توضح «فساد الطبيعة البشرية، كفارة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

المخلص، وتقديس الروح القدس لحياتنا». ومن هذه الحقائق، والإيمان بها واختبارها، تتدفق حياة جديدة تماماً، تأتي وليدة الشكر لله، وتتسم بالمحبة والقداسة والاتضاع، وتنفذ إلى كل جزء من كياننا، سواءً الخاص أو العام.

وكان ولبرفورس يدرك - وهو يتألم فيما يكتب - أن الديانة والنواحي الأخلاقية كانتا تتدهوران بشكل خطير في إنجلترا في ذلك الحين. وكان يشكو من أن الكتاب المقدس موضوع في درج لا يُفتح. والاخطر من ذلك كله، هو الفصل المميت بين أن ندرك الأخلاقيات المسيحية، والتعاليم المسيحية وهذا الفصل ازداد قوة وفي غالبية العظات في أيامنا هذه بالكاد يمكن للمرء أن يجد فيها أثراً من التعليم الكتابي.

وما أثار غضب ولبرفورس على نحو خاص، هو انخراط بريطانيا في تجارة الرقيق. وقد وُصفت الفظائع الناجمة عن هذه التجارة فيما يلي:

«الغارة الجوية الليلية المفاجئة على بعض القرى الآمنة (في غربي أفريقيا)، وسحب الرجال والنساء والأطفال مكبلين بالأصفاد إلى ساحل البحر، والرحلة الطويلة البطيئة عبر الأطلنطي، ثم قذارة ونتانة العنبر (المخزن) الذي يُكدس فيه العبيد، ثم العمل في مزارع السكر تحت سوط مراقب العمال».

وأصبح ولبرفورس عضواً في البرلمان عن مقاطعة يوركشير وهو في سن الحادية والعشرين، وذلك سنة ١٧٨٠. وبعد ذلك بسبع سنوات، قدم اقتراحاً يتعلق بتجارة العبيد. ولم يكن ولبر شخصية جذابة، فقد كان قصير القامة، يعاني من ضعف النظر، وكانت أنفه تتجه إلى أعلى. وحين سمعه بزويل يتكلم، وصفه بأنه مجرد صرصاراً بحرياً (جمبري)، غير أنه اعترف في وقت لاحق بأن هذا الجمبري الصغير وأصبح حوتاً. وُوجه ولبرفورس أيضاً بالمعارضة الشديدة من أصحاب المصالح المكتسبة. غير أنه، على الرغم من كافة هذه المشاكل، فقد واصل كفاحه بإصرار. وفي سنة ١٧٨٩، خاطب مجلس العموم عن تجارة الرقيق فقال: «إنها تجارة ضخمة للغاية، وفظيعة للغاية، ويبدو أن شرورها غير قابلة للعلاج، إلى درجة أن عقلي لا يصرّ على شيء قدر إصراره

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

على إلغائها مهما كانت العواقب. وإني منذ هذه اللحظة مصمم على ألا أستريح أبداً إلا بعد أن يكون قد صدر تحريم يمنع هذه التجارة».

ولقد تمت مناقشة مشروعات القوانين الخاصة بإلغاء تجارة الرقيق ومشروعات القوانين التي تحرم اشتراك السفن البريطانية في هذه التجارة في مجلس العموم البريطاني في الأعوام ١٧٨٩، ١٧٩١، ١٧٩٢، ١٧٩٤، ١٧٩٦، ١٧٩٨، ١٧٩٩. وعلى الرغم من ذلك، فقد فشلت كلها إلى أن تم أخيراً تمرير مشروع قانون إلغاء تجارة العبيد سنة ١٨٠٧. وبعدئذ، وبعد حروب نابليون، وجه ولبرفورس جهوده على إلغاء العبودية نفسها. غير أن سوء حالته الصحية أجبرته سنة ١٨٢٥ على الاستقالة من مجلس العموم، وتولى توماس فويل بوكستون من بعده قيادة الحملة. وفي سنة ١٨٣٣، تم إقرار قانون إلغاء العبودية بأغلبية ساحقة في البرلمان بمجلسيه. وبعد ذلك بثلاثة أيام، توفي ولبرفورس. و دُفن في ويست منستر اعترافاً بكفاحه الذي استمر لمدة خمس وأربعين سنة دون هوادة، وهو يناضل لصالح العبيد الأفارقة.

وليس معنى هذا أن ولبرفورس كان يناضل لوحده. بل الأمر المؤكد أنه كان قائد الحملة المعترف به دون منازع، غير أنه ما كان له أن يربح هذه المعركة دون دعم قوي من البلاد، وعلى وجه الخصوص من أصدقائه المقربين في جنوبي لندن، والذين أطلق عليهم سيدني سميث الموهوب ـ وهو أحد مؤسسي مجلة « The Edinburgh Review » لقب « جماعة كلابهام Clapham »، على الرغم من أنهم كانوا يلقبون في البرلمان بـ « القديسين ».

و كانت أجندة أعمال جماعة كلابهام ضخمة. والواقع أن د.كاسلين هيزمان كتب يقول: « إن السمة البارزة في الجمعيات الخيرية الإنجيلية في العصر الفيكتوري[1]، هي أبعادها الهائلة». إذاً، ما الذي كان يحفزها؟ فيما يلي الإجابة على لسان د.س.ك.

---

(١) عصر الملكة ڤيكتوريا

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إينسور- الصحفي والمؤرخ الراديكالي: «ما من أحد سيفهم إطلاقاً إنجلترا العصر الفكتوري إذا لم يعترف أنه من بين البلدان المتحضرة للغاية، كانت إنجلترا أكثر البلاد التي عرفها العالم تديناً». وكان اينسور يشير إلى العقيدة الإنجيلية، والتي يمثل الثاني - بحسب رأيه - في ما يلي:

«يقينها بوجود ثواب وعقاب بعد الانتقال من هذه الحياة». «وإذا سأل أحدهم: كيف اكتسب التجار الإنجليز في القرن التاسع عشر السمعة الحسنة من ناحية أنهم أكثر التُّجار أمانةً في العالم.... الإجابة هي أن جهنم والسماء يبدوان لهم من الأمور أساسها مثل شروق الشمس غداً، وأن الدينونة الأخيرة أمر حقيقي مثل بيان ميزانية الأسبوع».

أما چون فين، راعي كنيسة كلابهام (١٧٩٢-١٨١٣) فكان في عظاته يؤكد بشدة على مسئوليتنا الأخلاقية أمام الله. وكان هذا - كما ذكر مايكل هينيل: هو الذي أضفى على جماعة كلابهام هذه السمعة الطيبة والاحترام، حيث كانت بمثابة ملح وخميرة في مجلس العموم، وهذا الإحساس بالمسئولية أمام الله. هو الذي أعطى الفريق المناهض لتجارة الرقيق، القدرة على المثابرة ومواصلة حملتهم أثناء حرب أوروبية كبيرة، وفي مواجهة خمس وعشرين سنة من الإخفاق، واليأس، والتحرر من الوهم.

ويقول لنا مايكل هينيل أيضاً إن رئيس الوزراء الشاب وليم بت سأل هنري ثورنتورن (أمين صندوق جماعة كلابهام) لماذا صوت ضده ذات مرة. أجابه ثورنتورن قائلاً: «لقد صوّت اليوم حتى إذا عاد سيدي ثانيةً في تلك اللحظة أستطيع عندئذ أن أقدم حساب وكالتي».

وكان بمقدور ولبرفورس أن يقول الشيء نفسه. فإحساسه القوى بواجبه نحو قريبه جاء وليد إحساسه بمسئوليته أمام المسيح، مخلصه، وربه، وديّانه.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خاتمة
طبيعة تأثير المسيح

لقد إعترف المؤرخون بتأثير يسوع القوي على القصة البشرية. وفيما يلي الموجز الذي كتبه كينيث سكوت لاتوريت في نهاية الجزء السابع من كتابه:

«في عالم البشر هذا، بتطلعاته ومعاركه... ظهر شخص واحد، مولود من امرأة... وبدا لمعظم معاصريه أنه فاشل.. وعلى الرغم من ذلك، فإنه ما من كائن حي في هذا الكوكب على الإطلاق كان له مثل تأثيره على شئون البشر. ومن هذا التأثير جاءت أعظم شركة (رابطة) عالمية، عرفها الإنسان على الإطلاق، وهي الكنيسة المسيحية».

ومن هذه الحياة القصيرة (حياة يسوع) تدفقت أشد قوة مُعلنة الانتصار في أطول معركة لم يسبق للجنس البشري أن شهد مثلها على الإطلاق. وبواسطتها تمكن الملايين من حل صراعاتهم الداخلية منتصرين على نزواتهم. وبواسطتها إجتاز الملايين خلال مآسي الحياة وخرجوا منها مسرورين. وبواسطتها تخلّص مئات الملايين من الأمية والجهل، وساروا على طريق الحرية الفكرية المتنامية، وأصبحوا يسيطرون على بيئتهم المادية. وقد أسهمت كثيراً في تخفيف المعاناة من الأمراض والمجاعات بأكثر مما فعله أي باعث آخر عرفه الإنسان. لقد حررت حياة يسوع الملايين من استعباد البشر لهم، والملايين غيرهم من العبودية للخطية. و حمت عشرات الملايين من استغلال الناس لهم. وكانت أكثر وصدر مثمر للجماعات والمنظمات التي تعمل من أجل تخفيف ويلات الحرب، ولوضع علاقات البشر والأمم على أساس العدل والسلام.

وهذا لا يعني أننا نُرجع كل هذه التطورات إلى تأثير يسوع المسيح وحده على سبيل الحصر، لأن أناساً آخرين كثيرين تركوا بصماتهم الإيجابية على المجتمع. أو نتظاهر بأن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

السجل المسيحي لا تشوبه شائبة، لأنه مع الأسف الشديد عامر بالتجاوزات والأخطاء الفاحشة والمخزية. وعلى الرغم من ذلك، فإنه في كل مكان وفي كل جيل، عُرف فيه اسم يسوع وقصته، يمكن التعرف على طبيعة تأثيره العظيم.

وخلف كل ذلك التقدم العلمى الهائل نجد إيماناً بمعقولية ووحدانية نظام الخلق التي تظهر بصمة الخالق.

وخلف العملية الديمقراطية، نجد تباين الطبيعة البشرية التي علّم عنها يسوع - فالكرامة التي خلقنا بها، تخلق فينا الرغبة ألاّ يحكمنا أحد إلا بموافقتنا، أما فسادنا وعصياننا فيجعلنا نرغب فى التخلص من القوة السياسية.

وفي خلفية اتجاه العالم كله نحو التعليم، نجد احترام يسوع للأطفال مع حتمية تطوير الإمكانيات التي أعطاها الله لهم.

وخلف طلب العدل وحقوق الإنسان، وتحسين الظروف في المصنع والمنجم والسجن، وصحة الإنسان البدنية والعقلية والنفسية والمجتمع السليم هناك، نجد قيمة كل إنسان جاء من أجله يسوع ومات نيابة عنه.

وخلف الاهتمام الحالى بالبيئة الطبيعية، تكمن الدعوة إلى أن نكون وكلاًء مسئولين عنها، وهي التي ورثها يسوع منذ الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، على الرغم من بطء أتباعه في إدراكهم لواجبهم تجاهها.

وخلف البحث عن علاقات متناغمة بين الجنس البشري، نجد الايمان بأهمية المساواة الجوهرية بين كافة البشر، الذين خُلقوا على صورة الله، بغض النظر عن اللون أو الثقافة، أو العقيدة، الأمر الذي علَّم به يسوع في مثل السامري الصالح.

وخلف النظر للأسرة باعتبارها أساس المجتمع، نجد الزواج الصحيح الذي رسمه الله بين الذكر والأنثى، والذي صادق عليه يسوع، ومايتبعه من الامتناع عن الممارسات الجنسية الشاذة والضارة بالصحة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وكافة هذه المبادئ الاجتماعية الأساسية تم تعلمها أو تأكيدها، بشكل مباشر أو غير مباشر بواسطة أقوال المسيح وأعماله ومواقفه، والمثال الذي قدمه لنا لنقتدي به.»

غير أنه، وكما ذكر توماس كارليل في كتابه الشهير «عن الأبطال وعبادتهم» (١٨٤١) لم تبدأ الحركات الاجتماعية والدينية وتنتشر إلا لأنه كان وراءها شخصيات مبدعة. وهذا هو السبب الذي دفعني لاختيار قصص الكثيرين من هؤلاء القادة، الذين أشعل يسوع خيالهم، وأثار تعاطفهم، وكان هو الملهم لأعمالهم - بواسطة مذود بيت لحم، أو دكان النجار، وبخدمته التي كان يتحنن فيها على الشعب، أو بموعظته على الجبل، وبمحبته للأطفال، أو بغسله أرجل تلاميذه، وبواسطة صليبه وقيامته وارتفاعه إلى المجد، أو بعطية الروح القدس، أو بمجيئه الثاني، أو بدينونته الأخيرة.

وثمة سؤال آخر يجب أن نتوقف أمامه. وقد جاء وليد قصة الكنيسة الطويلة، والذي طرحه هو الأسقف ستيفن تييلَ وهو: «ماذا كانت نوعية الحجر الذي أُلقي في بركة الوجود البشري، فأمكنه أن يحرك الأمواج التي تواصل الانتشار إلى أن تصل إلى أقصى حافة للعالم؟»

وإجابتي على هذا السؤال هي: «المسيح الذي لا مثيل له». وإذا كنا على استعداد لأن نعرف قصة المسيح وتمسكنا بشخصيته ومثاله وتعاليمه، فليس معنى هذا أننا لن نتعرض للتجارب، بل بالأحرى سنشعر بقوة تأثيره، ونقول مع الرسول بولس إن محبة المسيح تحصرنا، حتى لا يكون أمامنا بديل سوى أن نحيا ونموت لأجله (كونثورس الثانية ٥: ١٤).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الجزء الرابع

يسوع الأبدي

(أو كيف يتحدانا في هذه الأيام)

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مقدمة

إعلان يسوع المسيح

في الجزئين الثاني والثالث، ألقينا نظرة على تاريخ الكنيسة، وتأملنا كيف قدمت الكنيسة المسيح، وكيف ألهم المسيح الكنيسة. أما الآن فنعود إلى العهد الجديد، وإلى سفر الرؤيا بالتحديد، والذي لم أتعرض له ـ عن عمد ـ في الأستعراض السابق.

وقد يبدو غريباً أنه بعد استعراضنا المستفيض في الأجزاء من الأول إلى الثالث، تراني الآن أقصر تركيزي على سفر واحد فقط من العهد الجديد، وأخصص الجزء الرابع برمته على سفر الرؤيا. لماذا؟

السبب **الأول** هو أن سفر الرؤيا، وهو بطبيعته سفر رؤيوي، بل والحقيقة أنه السفر الرؤيوي المسيحي، فهو ينتمي إلى نوعية معينة من الكتابة. وعلى هذا، فإنه يتطلب تناولاً خاصاً.

ثانياً: يتضمن السفر معرض لصور يسوع المسيح. وقد كان من الممكن ـ بالنسبة لأي سفر آخر من أسفار العهد الجديد ـ تحديد الموضوع المميز الذي يركز عليه، فهناك موضوع خاص لكل إنجيل ولكل رسالة. ولكن هذا الأمر لا ينطبق على سفر الرؤيا، حيث إنه يتضمن مجموعة من الصور الخاصة بالمسيح. فهو يقدمه باعتباره الأول والأخير، الحمل والأسد، لص منتصف الليل وملك الملوك، الله الديان والعريس السماوي. وهذه التشبيهات المجازية وغيرها تنساب من مخيلة يوحنا الخصيبة. وعلينا أن نتناول بعدل صور هذا المعرض.

ثالثاً: سفر الرؤيا هو ذروة العهد الجديد. وبغض النظر عن تواريخ كتابة أسفار

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

العهد الجديد، فإن الكنيسة كانت حكيمة في ترتيبها الأسفار بطريقة جعلتها تبدأ بقصة يسوع (الأناجيل الأربعة) وقصة الكنيسة الأولى (سفر أعمال الرسل)، وتستمر باثنتين وعشرين رسالة تتضمن التعليم الرسولي عن الإيمان المسيحي، والحياة المسيحية، والرجاء المسيحي، وتُختتم بسفر الرؤيا، والذي يجعل الأبدية قريبة. ولهذه الأسباب يستحق سفر الرؤيا أن نوليه اهتماماً خاصاً.

وتختلف ردود أفعال قراء سفر الرؤيا اختلافاً بيناً. بعض المسيحيين تتملكهم أفكار غريبة لدى قراءتهم لهذا السفر، لأنهم يفترضون أن هذا السفر إلى جانب الإصحاحات الرؤيوية التي تضمنها سفر دانيال في العهد القديم، يتضمن تاريخاً سرياً للعالم، وعلى وجه الخصوص فيما يخص الأحداث المعاصرة والناس أيضاً، وأن لديهم مفتاح حل شفرته. ولذلك يتنبأون - وأحياناً بثقة كبيرة - بتطور المشهد العالمي، ويقدمون لنا أوصافاً رهيبة لمعركة هرمجدون الأخيرة.

وعلى سبيل المثال، نجد أن إدوارد إيرفنج - الذي ساهم في إقامة الكنيسة الكاثوليكية الرسولية سنة ١٨٣٢ - كتب تفسيراً لنص سفر دانيال المكتوب باللغة العبرية ذكر فيه أنه وجد في هذا السفر إشارات إلى نابليون بونابرت، وإلى لويس السادس عشر، باعتباره «جابياً للضرائب»، وإلى بريطانيا باعتبارها «الشاهدة الأمينة لله». كما تنبأ أيضاً أنه بحلول عام ١٨٦٧ سيبزغ فجر الحكم الألفي.

ثم إنه في جيلنا، وفي كتابه الذائع الصيت «The late Great planet Earth» «الأرض الكوكب العظيم الأخير» الصادر سنة ١٩٧٠، وقع هال ليندس في خطأ تفسير قرون الوحش العشرة في سفر دانيال وسفر الرؤيا، على أنها الدول الأعضاء العشر في الاتحاد الأوروبي. وحين كتب هذا، كان هذا الاتحاد يضم ست دول فقط. غير أنه بإضافة اليونان سنة ١٩٨١ أصبح عدد الدول عشر. وعلى الرغم من ذلك، فإن العدد الآن هو خمس عشرة دولة. ومن الطبيعي أن هال ليندس تضايق عندما حدث

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

هذا. أما تفسيره، الذي قدمه في عبارة واحدة بين قوسين فهو «إن أكثر من عشر دول يمكن في وقت ما أن ينضموا غير أن عددها في المراحل الأخيرة سيكون عشر دول. كما ثبت خطأ هال ليندس أيضاً في تنبؤه بأنه من المرجح أن تكون سنة ١٩٨٠ هي ذروة التاريخ.

وهؤلاء الأنبياء، ثبت في كثير من الأحيان عدم صحة نبواتهم حتى إن المرء يتوقع من خلفائهم أن يتسموا بقدر أكبر من الاتضاع.

وهناك مسيحيون آخرون، لا يسمحوا لهذا السفر أن يتملك على أفكارهم بل ويتجاهلوه. وهؤلاء يعرفون أن السفر يتضمن التشبيهات المجازية الغريبة. وعندما نقرأه نجد خروفاً، وأسداً، وتنيناً عظيماً أحمر مع وحشين مخيفين، أحدهما طلع من البحر والآخر طلع من الأرض. وقد فُكّت اختام السفر، وبُوّقت الأبواق، وسُكبت الجامات، وتكرر حدوث زلازل عظيمة، ورعود وبروق. ومن الطبيعي أن يقع القراء في حيرة، بل وقد ينتابهم الخوف عند قراءتهم سفر الرؤيا بسبب هذه الظواهر الغريبة. وعلى ذلك تجدهم يتجنبون هذا السفر، أو ربما إذا بدأوا قراءته، تراهم يتركونه بسرعة وهم في يأس، ويصبح هذا السفر مثل كتاب «سندريللا في بلاد العجائب» العهد الجديد.

وثمة رد فعل ثالث وإيجابي أشار إليه الأستاذ ريتشارد بوكهام، وهو أستاذ متخصص في سفر الرؤيا. وقد استهل دراسته «ذروة النبوة» بهذه الكلمات: العمل الرؤيوى ليوحنا يدل على سعة اطلاع وخيال رائع ومبتكر، ونقد سياسي جوهري، وفكر لاهوتي عميق». وهذا التقييم الذي وضعه خبير يجب أن يشجعنا على المثابرة. وهكذا يجب أن تشجعنا أيضاً البركة الخاصة التي وردت في الآية الثالثة، والتي وُعد بها قارئ السفر الذي يقرأه في الاجتماع العام، وكذلك لأولئك الذين يسمعون ويحفظون ما هو مكتوب فيه (١ : ٣، انظر٢٢ : ١٨الخ).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أربعة مبادئ للتفسير

لنتأمل الآن مبادئ التفسير الأربعة: **أولاً**: سفر الرؤيا مليء بالرمزية. والواقع أن كثيرين يسألون وقد نفذ صبرهم، لماذا لجأ يوحنا إلى هذا الكم الهائل من الرموز الغريبة، لأن ذلك قد زاد فى صعوبة فهم الناس للسفر. وربما يُوجد تفسيران لهذا الأمر. فيوحنا أولاً يتناول حقائق سامية لا يمكن التعبير عنها بأسلوب نثري مباشر. **وثانياً**: هذا أمر لم يكن مستحيلاً بالنسبة له فحسب، بل وكان الأمر يُعد عدم حكمة منه لو أنه فعل ذلك. وكان يوحنا يكتب عن رفض المسيحيين لعبادة الإمبراطور، وعن الإطاحة بالإمبراطورية، وكانت السلطات ستعتبره عملاً استفزازياً. وعلاوةً على ذلك، فإن الرمزية في سفر الرؤيا يجب فهمها لا تخيلها. وإذا كان لنا أن نحاول تخيلها، فإن النتيجة ستكون في الغالب غريبة. وعلى سبيل المثال، ذكر أن شعب الله من المفديين «**بيضوا ثيابهم في دم الخروف**» (٧: ١٤). وإني أعترف صراحةً بأني لم أحاول إطلاقاً أن أغسل ثياباً متسخة وأنظفها بدم خروف، فالنتيجة حتماً أنه لن تكون هذه الثياب البيضاء. وعلى الرغم من ذلك، فإن التفسير جميل، وهو أن البر الوحيد الذي يؤهلنا لأن نقف في محضر الله، إنما مرجعه موت يسوع المسيح الكفاري ـ الذي وضعنا فيه ثقتنا.

ثانياً: سفر الرؤيا يتناول الماضي والحاضر والمستقبل. وبالفعل هذه هى نظريات التفسير التقليدية الثلاث: «النهج الإمبراطوري»، والذى يعتبر أن السفر كله تقريباً يشير إلى الماضي، بل يشير في الواقع إلى أحداث القرون الميلادية الأولى، ولاسيما الإطاحة بالإمبراطورية الرومانية. ثم «النهج التاريخي» (الحاضر) وهو يتناول السفر على أنه يحكي قصة الكنيسة على مراحل، أثناء كل الفترة الواقعة بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني بما في ذلك جيلنا نحن أيضاً. ولكنه يقدم افتراضاته بعقلية غربية، كما تُوجد اختلافات كبيرة فيما يتعلق بالتفاصيل. أما النهج الثالث، أو وجهة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

نظر أصحاب مذهب «المستقبلية» فيتوقعون أن معظم ما جاء في الكتاب سيتحقق فوراً قبل المجيء الثاني للمسيح. غير أن هذه الحالة لم تكن لها علاقة بالألف وتسعمائة سنة الماضية أو أكثر. ومن المؤكد انه ليس من الضروري أن تُجبر على الاختيار بين هذه الآراء الثلاثة، وذلك لأن كلمة الله قُصد بها أن تكلم الكنيسة في كل عصر. وعلى ذلك، فإنه يبدو من الأفضل تأييد الرأي القائل بتبني نظرية «التوازي» التي تنظر إلى كل قسم من الكتاب على أنه يلخص كل الفترة الواقعة بين المجيئين والتي تنتهي كل منها بمشهد من الدينونة والخلاص. ويراها يوحنا الرائى على أنها متتابعة دون انقطاع، لكن الحقائق التي ترمز إليها هذه الرؤى لا تحدث بشكل متتابع.

ثالثاً: سفر الرؤيا يحتفي بانتصار الله. وهو يصف معركة بين الله والشيطان، الخروف والتنين، الكنيسة والعالم، المدينة المقدسة أورشليم والمدينة العظيمة بابل، العروس والزانية، والمختومين على جباههم باسم المسيح (٧: ٢-الخ،١٤: ١، ٢٢: ٤). وسفر الرؤيا يصف أكثر من مجرد الصراع، بل يصف الانتصار أيضاً. ووجهة النظر التي يعبر عنها السفر هي أن المسيح قد «غلب» بالفعل (٥: ٥،انظر١٢: ٩- ١٠)، وأن شعبه يشاركه انتصاره. «**من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه**» (٣: ٢١). وهكذا، وكما ذكر الدكتور سويت في مستهل القرن العشرين: «إن السفر بأكمله هو دعوات إلى المؤمنين (المسيحيين)» أن يرفعوا قلوبهم «ليروا ضيقاتهم وانتصاراتهم في علاقتها بالمسيح العائد، والغالب، والذي يحكم».

رابعاً: يركز سفر الرؤيا على يسوع المسيح. والكلمات الثلاث الأولى في النص اليوناني من السفر هي: «apokalupsis Iesou chtistou» أي رؤيا أو إعلان يسوع المسيح. صحيح أن كثيرين من المفسرين يعتقدون أن المضاف إليه هنا شخص، لذا فإن يسوع المسيح نفسه هو الذي يكشف محتويات السفر. ولكن يبدو لي أن المضاف إليه هو بالأحرى موضوعي وليس ذاتي. لذا، فإن السفر، قبل كل شيء «هو إزاحة الستار عن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مجد وعظمة يسوع المسيح». وهذا ما تحتاجه أية كنيسة معاصرة ومضطهدة أكثر من أي شيء آخر، وليس مجرد سلسة من النبوات عن الماضي أو المستقبل، وهو أيضاً ليس استعراضاً مشفراً لتاريخ الكنيسة، بل هو كشف عن المسيح الذي لا يُقارن، الذي صُلب مرة وهو الآن مقام ويملك، وسوف يعود يوماً ما بقوة ومجد عظيم.

ونحن في حاجة الآن لنتأمل في سياق السفر. بعد أن نُفي يوحنا إلى جزيرة بطمس الواقعة في بحر إيجه، وذلك بسبب كرازته بكلمة الله وشهادته ليسوع (١: ٢و٩)، وهو يصف نفسه بأنه «شريك» قرائه الآسيويين، بالنظر إلى أنه شريكهم في «الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره» والتي هي لهم «**في يسوع**» (١: ٩)، وقد طُلب منه الآن أن يشاركهم في كل ما رآه (١: ١٠)، وبصفة خاصة رؤيته للمسيح. فما الذي كان عليه أن يقوله؟

وكل مفسر يطبق تحليله القائم على تركيب هذا السفر، وعلى ذلك فإن الاقتراحات الكثيرة المختلفة تكون ما أسماه دكتور ت.ك بييل «متاهة من الفوضى التفسيرية». وما أرمي إليه هو ألاّ أزيد الفوضى بتحليل آخر، بل أن أركز بالأحرى على عشر رؤى بارزة في السفر تتعلق بالمسيح في كامل عمله ورسالته. وكل منها يسهم بشيء جديد للتركيبة الخاصة بإعلان يسوع المسيح.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١ـ المسيح يقول إنه : الأول والآخرُ وهو الحي (رؤيا١)

رؤيا عن المسيح المقام والأبدي

أولاً : إذا تصفحنا الإصحاح الأول (١٧و١٨) نجد أن المسيح يقول إنه «الأول والآخر والحي». والواقع أننا قبل أن نقرأ هاتين الآيتين، كانت الآيات السابقة قد أعطتنا فيضاً من المعلومات المتعلقة بشخص المسيح وعمله ورسالته. بل حتى في الآيات الافتتاحية، والتي تتضمن التحية (٤ـ ٥ /أ)، والتي هي صيغة تقليدية في معظم الرسائل، الإ أن يوحنا أراد أن يضمنها تحية من الثالوث القدوس. وتمنى لقرائه نعمةً وسلاماً «**من الكائن والذي كان والذي يأتي**» (الآب الأبدي)، «**ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه**» (ولعله «الروح» القدوس، كما في الآية ١٠، ولكنه ذكر أنها سبعة للإشارة إلى خدمته في «السبع الكنائس» وبواسطتها) «ومن يسوع المسيح، والذي أُعطي لقباً ثلاثياً ممجداً» الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض (الآيتين٤، ٥)، وهذا اللقب الأخير، على وجه الخصوص، يتسم بالجرأة، لأن الأمبراطور الروماني كان يدّعيه لنفسه!

وبعد هذه التحية، نجد تسبحة شخصية للمسيح (الآيتين ٥ب/ ٦)، تحتفي بما عمله من أجلنا، وبصفة خاصة أنه أحبنا وحررنا من خطايانا بموته الفدائي، وأنه جعلنا «ملوكاً وكهنة» لنعبد الله الآب (الآيتين ٥و٦). وأتبع هذه التسبحة مباشرةً بهتاف يتسم بالابتهاج بأن المسيح آت. وسوف يكون مجيئه حدثاً تاريخياً وسيكون مجيداً (السحاب يرمز إلى مجد الحضور الإلهي)، وفي ذات الوقت مرئياً (سننظره بعيوننا)، وعاماً لأنه («**ستنظره كل عين**») وسيكون للتائبين وغير التائبين.

وتُختتم المقدمة بقول يكرر فيه الله قوله إنه «الكائن والذي كان والذي يأتي» ثم يضيف أنه «الألف والياء» وأنه أيضاً «القادر على كل شيء».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

والشيء البارز بالنسبة لهذه الآيات الافتتاحية (التحية، التسبحة، الهتاف)، ما قاله المسيح عن نفسه عندما أشار - دون تعمد أو ترتيب منه - بتلقائية إلى كل حدث يتعلق بالخلاص الذي حققه يسوع، كما يشير أيضاً إلى جوهر الإنجيل الرسولي. فنراه يشير إلى خدمة الرب وهو بالجسد على الأرض («**الشاهد والأمين**»)، وموته فداءً عنا («**غسلنا من خطايانا بدمه**»)، وقيامته الحاسمة («**البكر من الأموات**»)، وارتفاعه إلى مجده الأسمى («رئيس ملوك الأرض») وتحقيقه الخلاص («**وجعلنا ملوكاً وكهنة**»)، ومجيئه الثاني المرئي («**يأتي مع السحاب**»). وكل هذه الأمور ذُكرت في مقدمة رسالته، وحتى قبل أن يبدأ الهدف الخطير الذي ترمي إليه.

وفي (الآيات٩- ١١)، يدون يوحنا المشهد الأول الخاص برؤيته الأولى والمحددة «للمسيح الممجد». وكان هذا في يوم الأحد وهو في منفاه في جزيرة بطمس. وكان في الروح «عندما تملكه روح الوحي والإلهام الإلهي». وقبل أن يشاهد رؤيته، سمع صوتاً، وكان هذا الصوت عالياً وجازماً كصوت بوق. وكان من الواضح أنه صوت المسيح نفسه آمراً يوحنا بأن يكتب في كتاب ما يراه، ويرسله إلى السبع كنائس في مقاطعات آسيا الرومانية بدايةً من أفسس العاصمة، وكانت هي الأقرب إلى جزيرة بطمس ثم متجهاً شمالاً ثم إلى الجنوب الشرقي عبر طريق دائري يربط مدن المقاطعة مع بعضها البعض.

فالتفت يوحنا لينظر الذي تكلم معه، وكان تركيزه في البداية مأخوذاً بالسبع منابر الذهبية. لكن هذه المنابر السبع كانت عبارة عن الإطار فقط، أما الأكثر أهمية، كان الشخص الواقف في وسطها ويدعى «شبه ابن انسان» وهو في هذا يماثل الصورة البشرية المأخوذه من سفر دانيال، حيث يقدم الفصلان السابع والعاشر منه كثيراً من الوصف التالي:

كان يوحنا مأخوذاً بثياب هذه الشخصية. حيث كان متسربلاً بثوب يصل إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب، ويبدو أن هذا كان ما يرتديه ملك، كاهن، أو قاض.

وينتقل يوحنا بعد ذلك إلى وصف أجزاء من جسمه. فرأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض أو كالثلج، وكان هذا هو وصف دانيال «**للقديم الأيام**» أي لله نفسه (دانيال٧: ٩).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وإذ قيل هذا الوصف فقط الآن عن المسيح، فهذا يبين أن إبن الإنسان كان أيضاً إلهاً. إلا أن عيناه كانتا كلهيب نار، تخترقان القلوب، ورجلاه قويتين راسختين كالنحاس، أما صوته فمثل المياه الهادرة التي تتلاطم مع صخور بطمس.

وكان ابن الإنسان يمسك بيده اليمنى سبعة كواكب، سيتم التعريف بها فيما بعد، وكان يخرج من فمه سيف ماض ذو حدين، يرمز إلى قوة كلمته، ووجهه يضيء كالشمس في ذروة سطوعها ـ وهو الوجه الذي سوف يصرخ غير التائبين منه يوم الدينونة، طالبين أن تسقط عليهم الجبال والصخور لتخفيهم عنه (٦ : ١٦).

وليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة، أنه كرد فعل لهذه الرؤيا المجيدة، وعلى غرار حزقيال (١ : ٢٨)، دانيال (٨ : ١٧، ١٠ : ٩) من قبله، أن يوحنا سقط عند رجليه كميت. وعلى الرغم من أن الأمر لا يدعو إلى الدهشة، إلا انه كان غريباً للغاية لأنه سقط ميتاً عند رجلي «الحي إلى أبد الآبدين».

لكن نفس المسيح الذي جعله يرتعب هو الذي يعطي الراحة فقد وضع يده اليمنى على يوحنا قائلاً له «لا تخف». ومع ذلك، كيف يمكن ألا يخاف؟ فلم تكن الرؤيا فقط هي التي أخافته، بل إن كل الوضع الذي وجد فيه نفسه. فقد كان في المنفى، ولا يعرف ما يخبئه المستقبل بالنسبة له وبالنسبة للكنائس المسيحية في آسيا والتي كان مسئولاً عنها؟ فقد كان الإمبراطور دوميتيان يطلب مخاطبته بلقب «سيدنا وإلهنا»، الأمر الذي لم يستطع المؤمنون المسيحيون المخلصون الذين اعترفوا بيسوع رباً. أن يطيعوه إطلاقاً. وكان قد سبق لرجل في برغامس اسمه أنتيباس أن سُفك دمه نتيجة شهادته الأمينة ليسوع (٢ : ١٣). فمن الذي سيأتي بعده في تاريخ الشهداء المسيحيين؟

أما وأن هذه الأمور كانت تدور في ذهن يوحنا، فهذا يتضح من حقيقة أنه في وسالته إلى سميرنا، أعلن يسوع عن نفسه بنفس الكلمات الأولى التى ذكرت في رؤيا يوحنا مثل «**الأول والآخر الذي كان ميتاً فعاش**» (٢ : ٨). وسيتطرق لتحذير سميرنا من الضيق والافتراء والألم، مضيفاً أيضاً عبارة «لاتخف»، ومن السجن والاضطهاد، ويحث كل

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أعضاء الكنائس قائلاً: «**كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة**» (٢: ١٠).

وإلى هذه الكنيسة التي كانت تعاني من الآلام والاضطهاد ومواجهة الاستشهاد، لم تكن رسالة المسيح لمجرد طمأنتهم فقط بقوله «**لا تخف**» (١: ١٧، ٢: ١٠). بل كانت تشكل أساس عدم خوف المسيحيين، وهو أمر له جانبان. **أولاً**: المسيح يشارك في أبدية الله، لأن اللقب الذي نسبه لنفسه وهو: «**أنا الأول والآخر**» (١: ١٧) يطابق في الواقع قول الله: «**أنا الألف والياء**» (١: ٨). **ثانياً**: يصف نفسه بأنه «**الحي**» وليس بمعنى أنه حي بعد الموت، أو أنه أُقيم من الأموات وأُعيد إلى الحياة لكي يموت ثانيةً، بل إن جسده أُقيم، وفي ذات الوقت تغير. وبناءً على ذلك هو الآن «**حي إلى أبد الآبدين**»، وقد انتصر على الموت، ولن يموت ثانيةً أبداً. وعلاوة على ذلك، فبسبب انتصاره الذي حققه من خلال القيامة، فإن له الآن «**مفاتيح الهاوية والموت**»، بمعنى أنه له سلطان عليها.

ولأن المسيح هو الحي الأبدي، والمسيح المقام، لذلك فقد الموت شوكته، ولنا الحق تماماً في أن نفرح ولا نخاف.

وفي الآيتين الأخيرتين من الإصحاح الأول، طلب من يوحنا أن يكتب ما يراه، وهذا سيتضمن «**ما هو كائن وما هو عتيد أن يكون**». كما قيل له إن السبعة كواكب التي في يمينه هي «ملائكة السبع الكنائس» ولعلها ترمز إلى قادة الكنيسة المحلية (أو ربما نظائرهم السماويين)، وإن المنابر السبع هي الكنائس السبع، والتي تضيء مثل مصابيح في عالم مظلم (متى٥: ١٤).

وهكذا فإن أول «إعلان ليسوع المسيح» كان عن المسيح المقام والأبدي. فقيامته تشكل أهمية جوهرية، فقد قدم من بداية السفر إلى نهايته - وبرغم هجمات الشيطان الضارية- فهو المنتصر، الذي حقق نصراً حاسماً على الشيطان بموته وقيامته.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٢ـ المسيح يشرف على كنائسه التي على الأرض
(رؤيا ٢ ـ ٣)

سبع علامات للكنيسة النموذجية

هنا يتغير المشهد. ذلك أن الرؤيا التي نحن بصددها لا تركز الآن على شخصية المسيح الإنسان والإله المجيد، بقدر ما تركز على الكنائس التي ذُكر أنه «الماشي» في وسطها (٢ : ١)، والتي طلب من يوحنا أن يكتب عنها.

والأمر الجدير بالذكر الآن، هو أن الرسائل السبع التي وُجهت للكنائس السبع تسير كلها على نمط واحد.

أولاً: يعلن اسم متلقي الرسالة وكاتبها. ومتلقي الرسالة هو «ملاك» كل كنيسة. أما كاتب الرسالة فبالطبع هو المسيح، ولكنه يصف نفسه بطريقة مختلفة في كل رسالة، حيث يستخدم عبارة مناسبة، أو عبارتين من الرؤية الافتتاحية. على سبيل المثال، نجده يكتب إلى كنيسة سميرنا (٢ : ٨) قائلاً: «**هذا يقوله الأول والآخر الذي كان ميتاً فعاش**».

ثانياً: يلي ذلك عبارة للتأكيد، تبدأ في كل رسالة بالكلمتين: «أنا أعرف». فالمسيح يعرف كنائسه معرفة وثيقة، لأنه ذاك «**الذي له عينان كلهيب نار**» (٢ : ١٨) وهو «**الفاحص الكلى والقلوب**» (٢ : ٢٣)، كما أنه «**الماشي في وسط السبع المنائر الذهبية**» (٢ : ١). وفيما يتمشى وسط كنائسه ويراقبها، فإنه يعرف كل شيء عنها، حتى وإن كان هذا الشيء مختلفاً في كل حالة. «**أنا عارف أعمالك**» قالها خمس مرات، ثم وردت تأكيدات مثل: «**أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك**»، «**أنا**

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أعرف... ضيقتك وفقرك»، «أنا عارف... أين تسكن»، «أنا عارف... محبتك وخدمتك وإيمانك»، «أنا عارف... أن لك اسماً»، أنا عارف... أنك لست بارداً ولا حاراً».

ثالثاً: يبعث المسيح «رسالة» لكل كنيسة تتناغم مع وضعها، لأن كل كنيسة، إما أنها تستحق الثناء، وإما أنها تستحق اللوم. وعلى ذلك فإما أنها تتلقى إطراءً، أو نقداً طبقاً لحالتها. ومعظمها تتلقى دعوة إلى التوبة مع تحذير ونصيحة.

والجزء الرابع من كل رسالة يُعد مناشدة. وفي هذه الحالة تكون المناشدة واحدة، مثل: «من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس». وهذه عبارة لها مغزى عميق. **أولاً**: مع أن يوحنا هو كاتب كل رسالة، غير أن الروح القدس هو الذي كان يتكلم من خلالها. **ثانياً**: على الرغم من أن يوحنا ربما يكون قد كتب كل رسالة منذ شهور سابقة، غير أن الروح القدس كان لا يزال يتكلم (صيغة المضارع) من خلالها. **ثالثاً**: على الرغم من أن كل رسالة وُجهت إلى كنيسة معينة، إلا أن الروح القدس كان يتكلم «للكنائس» (صيغة الجمع).

وأخيراً: تُختتم كل رسالة «بوعد» لكل مسيحي بأنه سيغلب. وإذا تكلمنا بصفة عامة، إنه وعد بالحياة الأبدية، ولكن هذه العطية وُصفت بشكل مختلف بعبارات مأخوذة من ذروة سفر الرؤيا (من الإصحاحين ٢١، ٢٢).

وبالنظر إلى أن الرقم ٧ هو الرقم الكامل (على الأقل في دائرة محيط الكاتب وقرائه)، فمن ثم يبدو من المشروع أن ننظر إلى الكنائس السبع في آسيا الصغرى على أنها في مجموعها تمثل الكنيسة الشاملة. وبالنظر إلى أن هناك سمة معينة تم التأكيد عليها في كل كنيسة، فقد يعنّ لنا أن نعتبر هذه السمات السبع على أنها سمات الكنيسة النموذجية.

١- «المحبة». هذه هي السمة الأولى للكنيسة النموذجية. وكان لكنيسة أفسس الكثير مما تستحق عليه الثناء. وكان المسيح عارفاً بتعبها وصبرها، وتحملها الأشرار، وفطنتها

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بالنسبة للفكر اللاهوتي. وبعد ذلك ببضع سنوات، مع مستهل القرن الثاني، فيما كان الأسقف أغناطيوس الأنطاكي في طريقه إلى روما ليُنفذ فيه حكم الإعدام كمسيحي، كتب إلى كنيسة أفسس يمتدحها للغاية: «ستعيشون على أساس الحق، ولن تجد أية هرطقة مكاناً لها بينكم، والواقع أنكم لا تستمعون إلى أحد إذا تكلم عن أي شيء آخر إلا عن يسوع المسيح والحق الذي علَّم به». ومع ذلك، كان لدى يسوع ما ينتقد به شعب كنيسة أفسس: «إنك تركت محبتك الأولى». وكافة فضائل شعب كنيسة أفسس لم تعوض هذا النقص. ولا ريب أنه في وقت تجدّدهم، كانت محبتهم له في أوج قوتها وحماستها، أما الآن، فقد انطفأ لهيب حماستهم. وهنا نتذكر شكوى الرب لإرميا عن أورشليم: «**قد ذكرت لك غيرة صباك محبة خطبتك...**» (إرميا٢ : ٢). وكما فعل بالنسبة لأورشليم، هكذا فعل بالنسبة لأفسس، فقد سعى العريس السماوي أن يعيد عروسه إلى حماسة محبتها الأولى. «**فاذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى**» (٢ : ٥). وبدون المحبة، لا قيمة لأي شيء.

٢- «معاناة الألم». إذا كانت السمة الأولى للكنيسة الحية هي المحبة، فإن السمة الثانية هي الألم والاستعداد لتحمل الألم من أجل المسيح، والذي يثبت أصالة محبتنا له.

وقد عرف المسيح الضيقة والفقر وتجديف البعض. وهى من الأمور التي يجب أن تتحملها كنيسة سميرنا. ولعل هذه الآلام لها علاقة بعبادة الإمبراطور المحلية، لأن سميرنا كانت تتباهى بهيكلها الذي كان يُمجد فيه الإمبراطور طيباريوس. وبين آونة وأخرى، كان يُطلب من المواطنين أن يضعوا بخوراً في النار التي كانت توقد أمام تمثال الإمبراطور، وأن يعترفوا بأن القيصر هو الرب. ولكن كيف يمكن للمسيحيين إنكار ربوبية يسوع المسيح؟ في سنة ١٥٦م، كان بوليكارب أسقفاً لسميرنا، وقد واجهته نفس هذه المشكلة. وفي مدرج يغص بالجماهير، طلب منه الوالي أن يحلف بقيصر العظيم وينكر المسيح، ولكن بوليكارب رفض قائلاً: «لقد عبدته لمدة ست وثمانين سنة، ولم يُسيء إليَّ، فكيف يمكنني إذاً أن أجدف على ملكي الذي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خلصني؟ و قد أُحرق بالنار على خازوق ولم ينكر المسيح.

وقبل ذلك بأكثر من نصف قرن، كان المسيح قد حذر شعب كنيسة سميرنا بأنهم سيواجهون ضيقات شديدة، تتضمن السجن وربما الموت. وقال لهم: «**كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة**» (٢: ١٠).

٣- «الحق». كانت كنيسة برغامس متمسكة بالحق. ولذلك قدم يسوع نفسه لها على أنه ذاك الذي له السيف الماضي ذو الحدين الخارج من فمه، وهو يرمز إلى كلمته. وقد وصف كنيسة برغامس بأنها تعيش «حيث كرسي الشيطان» لأن برغامس كانت مركز عبادة وثنية. وفي هذا الصدد قال كولين هيمر إنه علينا استنتاج أن تعبير «كرسي الشيطان» يشير أساساً إلى عبادة الإمبراطور التي كان مركزها برغامس، وذلك في وقت مجابهة حاسمة بالنسبة للكنيسة. وعلى الرغم من ذلك، ومع وجود الاضطهاد، بل وحتى استشهاد انتيباس، ظلت الكنيسة مخلصة لاسم المسيح، ولم تنكر إيمانها به، على الرغم من أن بعض أعضاء الكنيسة خضعوا لتعاليم كاذبة تتغاضى عن الوثنية.

٤- «القداسة». بعد ذلك كتب يسوع إلى الكنيسة التي في ثياتيرا، وأكد أن القداسة سمة أخرى للكنيسة الحية. وقد بدأ بإطراء حار،لأنه كان يعرف محبتهم وإيمانهم وخدمتهم وصبرهم. وهذه أربع فضائل عظيمة تتضمن مثلث الإيمان والرجاء والمحبة.

غير أنه مما يُؤسف له، أن هذه لم تكن الصورة بأكملها. لأنه، إلى جانب السمات المسيحية الأصيلة التي كانت تتحلى بها هذه الكنيسة، فإنها كانت متهمة بالتهاون الأخلاقي. لقد تساهلت الكنيسة مع إمرأة شريرة أقامت من نفسها نبية، وأُعطيت اسماً رمزياً هو إيزابل، والذي كان اسماً لزوجة آخاب الشريرة، وكانت هذه النبية تغوي عبيد المسيح إلى الزنا وعبادة الأوثان. وقد أعطاها المسيح زماناً للتوبة، ولكنها لم ترض، ولذلك ستحل عليها الدنيونة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وتعد القداسة التي تتضمن ضبط النفس والتشبه بالمسيح هي سمة جوهرية أخرى من سمات الكنيسة الحية. والتسامح لا يكون فضيلة إذا كان تسامحاً مع الشر (أي إعطاء الفرصة للشر). ويقول الله لشعبه: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس».

٥- «الصدق». رسالة المسيح إلى ساردس هي الوحيدة التي لم تتضمن أي إطراء من أي نوع. وبدلاً من ذلك، يشكو قائلاً: «...أن لك اسماً أنك حي وأنت ميت». ولا يبدو أن هذه الكنيسة قد تهاونت مع الشر، أو أنها كانت تفتقر إلى المحبة أو الإيمان أو القداسة. فقد كانت تبدو عليها كل علامات الحياة والنشاط، ومع ذلك كانت سمعتها زائفة.

والكتاب المقدس يذكر الكثير عن الفرق بين السمعة والحقيقة، وبين ما يراه الناس وما يراه الله. «**لأنه ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين و أما الرب فإنه ينظر إلى القلب**» (صموئيل الأول١٦: ١٧). فالمشغولية بالمظهر والسمعة تؤدي بالطبع إلى الرياء (الأمر الذي يبغضه يسوع)، وهو الذي يقول لنا إن الصدق هو سمة الكنيسة الحقة والحية.

٦- «الإرسالية». في رسالته إلى كنيسة فيلادلفيا، يصف يسوع نفسه بأن له مفتاح داود الذي استطاع أن يفتح به أبواباً مغلقة، ويغلق به أبواباً مفتوحة. وبناءً على ذلك، استطاع أن يقول لكنيسة فيلادلفيا. «**هأنذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يغلقه**» (٣: ٨). وأكثر المعاني احتمالاً أن هذا باب الفرصة، على نحو ما كتب بولس، أنه في أفسس «قد انفتح لي باب عظيم فعال» (كورنثوس الأولى١٦: ٩). وهذا معناه أن الإرسالية والشهادة تُعد سمة أخرى من سمات الكنيسة الحقيقية. وكما قال ج.ك. بيلى: «كافة الرسائل إلى الكنائس تتعامل بوجه عام مع موضوع الشهادة للمسيح في وسط ثقافة وثنية».

ولعل ذلك تم التأكيد عليه في الرسالة إلى فيلادلفيا لموقعها الاستراتيجي، ذلك أنها كانت تقع في واد فسيح وخصيب يتحكم في طرق التجارة من كافة الجهات. وقد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ذكر سير وليم رامسي أن الهدف الذي كان يرمي إليه مؤسس المدينة هو أن يجعل منها مركزاً لنشر اللغة والحضارة اليونانية. وكانت مدينة إرساليات منذ البداية. ولذلك، فلربما ما كان يقصده المسيح هو أنه بما كانت فيلادلفيا تمثله بالنسبة للثقافة اليونانية، فإنه يجب عليها أن تقوم بما يجب عليها الآن من أجل انتشار الإنجيل. لقد كان الباب مفتوحاً على مصراعيه. وعلى الرغم من أن الكنيسة كانت ضعيفة نسبياً، إلا أنه يجب عليها أن تذهب بجرأة من خلال الباب المفتوح بالأخبار السارة.

٧ - «وحدانية القلب». ليس ثمة أي شك فيما يتعلق برسالة المسيح إلى كنيسة اللآودكيين: إنه يريد أن تتسم كنيسته بالإخلاص القلبي. لقد كان صريحاً للغاية. وهو يفضل إما أن يكون تلاميذه حارين في ولائهم له، أو أن يكونوا باردين في عداوتهم، وليسوا فاترين في لا مبالاتهم. ذلك أنه يرى الفتور أمراً يدعو إلى الاشمئزاز.

وفي مواجهة لاودكية وعبر نهر ليكوس، تقع مدنية هيرابوليس، التي تندفع من ينابيعها الحارة مياه فاترة تغطى صخور لاودكيا، حيث يتخلف عنها كميات كبيرة من حجر الجير، التي يمكن رؤيتها حتى في أيامنا هذه. وعلى ذلك، أصبحت الصفة «لاودكيين» تطلق على الناس الذين يتسمون بالفتور في تدينهم، وفي سياساتهم، وفي أية أمور أخرى. ويبدو أن كنيسة اللاودكيين تمثل الكنيسة التي تبدو من الخارج محترمة، أما من الداخل فهي زائفة، وهي من الكنائس بالاسم فقط، ونحن نعرف الكثير من الكنائس التي على شاكلتها.

وعندما تغير التشبيه المجازي إلى فقير أعمى وعريان، بدأ المرء يتشكك من ناحية ما إذا كان أعضاء كنيسة اللاودكيين مسيحيين حقيقيين. ثم تغير التشبيه المجازي ثانيةً إلى بيت خال. وعلى عتبة بابه، يقف يسوع ويقرع، ويتكلم وينتظر. إذا فتحنا الباب يدخل، ليس ليأكل معنا فقط، بل وليملك أيضاً. وهذا هو جوهر الإخلاص الذي من القلب، الذي يدعونا إليه المسيح.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وهكذا يعلن الرب المقام نفسه على أنه الراعي الرئيسي لقطيعه، حيث يحرس كنائسه ويفتشها ويراقبها، ذلك أنه يعرفها معرفة وثيقة، وهو قادر على أن يتعرف بدقة على السمات السبع التي يجب أن تتوافر في كل كنيسة. أن تحبه، وأن تكون لديها الرغبة في تحمل الآلام من أجله، صدق العقيدة وقداسة الحياة، والالتزام بالكرازة والشهادة إلى جانب الصدق والوفاء من كل القلب.

ولقد رأينا أيضاً الكنيسة التي ترزح تحت وطأة الخطية، والمعصية، واللامبالاة من الداخل، والضيقات والاضطهاد من الخارج، ولاسيما إغراء التخلي عن المسيح من أجل قيصر، وكذلك المخاطر الحقيقية المتمثلة في الاستشهاد.

وعلى ذلك، بدءاً من الإصحاح الرابع من سفر الرؤيا، نتحول فجأة من الكنيسة التي على الأرض إلى الكنيسة التي في السماء، ومن المسيح بين المنابر التي من ذهب، إلى المسيح وهو في وسط عرش الله الدائم الذي لا يتغير. وهو نفس المسيح، ولكن من منظور مختلف تماماً.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٣ ـ المسيح يشارك عرش الله الآب في السماء

(رؤيا ٤ ـ ٥)

العرش، السفر، والخروف

«بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً اصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا» (٤ : ١). وكان هذا هو الباب المفتوح لسفر الرؤيا الذي نظر يوحنا من خلاله. وما رآه شمل ثلاث مراحل، **أولاً**: «عرشا»، و منه يسيطر الله على الكون كله، **ثانياً**: «سفراً» وهو كتاب تاريخ، كان مغلقاً ويمسك الله به بيمينه، وأخيراً «خروفاً» كأنه مذبوح، وهو الوحيد المستحق أن يفتح السفر، ويفسر التاريخ ويسيطر عليه.

رؤية يوحنا للعرش (٤ : ١ ـ ١١)

لقد كان أمراً بالغ الدلالة، أن يوحنا عندما اختلس النظر عبر الباب المفتوح، كان أول شيء رآه هو عرش، رمز السيادة والعظمة وحكم الله الملكي. وكانت لرؤياه خلفية قوية في العهد القديم وذلك في الإصحاح الأول من سفر حزقيال، والإصحاح السابع من سفر دانيال. وقد ذُكر العرش سبع عشرة مرة في الإصحاحين ٤، ٥ من سفر الرؤيا.

كانت كنائس آسيا صغيرة ومكافحة، وبدت قوة روما وكأنها لا تُقهر. فما الذي بوسع زمرة قليلة العدد من المسيحيين ليس لديهم ما يدافعون به عن أنفسهم، أن يعملوا إذا صدر مرسوم إمبراطوري بإبادتهم من على وجه الأرض؟ وبدا أن قوى الظلام كانت قد بدأت بالفعل تُطبق عليهم. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن الخوف ينتابهم، لأنه في وسط الكون يوجد عرش. ومنه تتلقى الكواكب السيَّارة أوامرها. وثمة مجرات هائلة تعلن له ولاءها. ومنه تستمد أصغر المخلوقات حياتها.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وكل شيء رآه يوحنا في رؤياه كانت له صلة بالعرش. وقد استخدم سبعة كلمات للإشارة إلى مركزية عرش الله. «**وعلى**» العرش جالس (الآية٣)، ولم يُذكر وصف للجالس على العرش، لأن الله يجل عن الوصف. وكل ما رآه يوحنا كان ألواناً زاهية «حجر اليشب والعقيق» ولعل المقصود هنا الماس والياقوت.

«**وحول**» العرش «**شبه الزمرد**» (الآية٣)، وهذا يرمز إلى عهد الرحمة الذي قطعه الله، ويذكرنا أن عرش الله السامي هو في ذات الوقت عرش النعمة (انظر تكوين٩: ٨-١٧).

«**ويلتف**» حول العرش أربعة وعشرون عرشاً آخرين (الآية٤) كان يجلس عليها أربعة وعشرون شيخاً ربما كانوا يمثلون رؤساء أسباط إسرائيل في العهد القديم، و رسل المسيح الاثني عشر. أما ثيابهم البيض وأكاليلهم التي من ذهب، فكانت إشارة إلى برهم وسلطانهم.

«**ومن**» العرش كانت تخرج بروق ورعود (الآية٥ /أ)، وهذا يذكرنا بإعلان الله عن ذاته على جبل سيناء، وهذه علامات عن حضور القدوس وقوته.

«**وأمام**» العرش سبعة مصابيح نار متقدة (الآية٥)، هي سبعة أرواح الله، والمقصود هنا الروح القدس بكافة خدماته الكثيرة، وعلى الأقل بالنسبة للكنائس السبع. لأن الكنيسة والروح القدس يسيران معاً.

«**قدام**» العرش رقعة ممتدة لا حدود لها مثل بحر من زجاج (الآية ٦ /أ)، الأمر الذي يعرفنا بسمو الله الذي لا يستطيع أن يدنو منه أحد.

«**وفي الوسط**»، وحول العرش، وفيما يشبه دائرة داخلية هناك أربعة حيوانات (الآية٦ /ب). وكانت «مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء» (الأمر الذي يشير إلى يقظتها الدائمة)، وهي تشبه «أسداً»، و«عجلاً» و«إنساناً»، «ونسراً»، وهي تمثل ما هو أنبل، وأقوى، والأكثر حكمة، والأكثر سرعة في الحياة. والطبيعة بجملتها لا تتوقف نهاراً أو ليلاً عن التسبيح بحمد الرب الإله القادر على كل شيء، وفيما يفعلون هذا ينضم إليهم الأربعة والعشرون شيخاً. وهكذا، فإن الطبيعة والكنيسة، والخليقة العتيقة والجديدة،يتحدون في إعلان أن الله هو المستحق للعبادة،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

لأنه خلق كل الأشياء، وهي بإرادته كائنة وخُلقت.

ونحن نتوقف هنا ونفكر فيما إذا كانت هذه هي رؤيتنا للحقيقة المطلقة، ذلك أن رؤيتنا للمستقبل تميل إلى أن تكون سلبية أكثر من اللازم. ونحن نفهم ـ على أساس تأكيدات سفر الرؤيا ـ أنه سوف يأتي يوم لن يكون فيه جوع ولا عطش، ولا ألم أو دموع، ولا خطية ولا موت ولا لعنة، لأن كل هذه الأشياء سوف تنتهي.

وعلى الرغم من ذلك، سيكون من الأفضل، والأكثر تناغماً مع الكتاب المقدس، ألا نركز كثيراً على هذه الأمور الغائبة، بقدر ما نركز على أسباب غيابها، وما أعنيه هو الوجود المركزي والحاكم لعرش الله.

لأن الله عندما يمارس سلطانه ويملك بدون منافس، ويكون الملكوت قد جاء بملئه، عندئذ سيدمر كل شيء لا يتناغم مع حُكمه، ويكون الله «**الكل في الكل**» (كورنثوس الأولى١٥: ٢٨). ونحن ـ في غضون ذلك ـ مدعوون أن نتوقع على الأرض حياة السماء التي مركزها هو الله، وأن نحيا حياتنا الآن ونحن ندرك صلتنا بالعرش، حتى يخضع كل فكر وكلمة وعمل، لحكم الله.

رؤية يوحنا للسفر (٥: ١ـ٦)

عندما دقق يوحنا النظر إلى العرش والجالس عليه، لاحظ أن في يده اليمنى سفراً. وكانت على جانبيه كتابة، كما كان مختوماً بسبعة ختوم. لم يخبرنا يوحنا ماهية هذا السفر، غير أنه تبين مما ذُكر بعد ذلك عندما فُكت أختام، أنه كتاب التاريخ، السجل المختوم للمستقبل غير المعروف «**ما لابد أن يصير بعد هذا**» (٤: ١).

وفي رؤيا يوحنا (٥: ٢)، ظهر ملاك قوي وأخذ ينادي بصوت عظيم، ما نود بالضبط أن نسأله جميعاً، وهو: «من هو مستحق أن يفتح السفر ويفك ختومه»، أي، أن يكشف عن المستقبل، ناهيك عن السيطرة عليه؟ ذلك لأن المستقبل بيد الله. من هو مستحق أن يعرفه غيره؟ ولم تكن هناك أية إجابة عن سؤال الملاك الذي يتسم بالتحدي. ولذلك يقول يوحنا «**فصرت**

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أنا أبكي كثيراً» (الآية٤). لقد تغلبت عليه عاطفته، كما انتابته خيبة أمل كبيرة بأنه لم يكن هناك أحد مستحقاً أن يفتح السفر، أو حتى أن يلقي نظرة على ما بداخله.

لنتخيل الوضع: كانت الكنيسة المسيحية مجتمعاً صغيراً في وسط الإمبراطورية الرومانية العظيمة. ولم يكن المسيحيون أقلية لا أهمية لها فحسب، بل كانت أقلية مضطهدة أيضاً، وبدا أن الجميع ضدهم. وكان بوسع المسيحيين أن يتشبثوا بالعرش. ولكن ما هي الأسرار التي كان يحتويها السفر؟ وهل كان لآلامهم أي معنى؟ هل كانت لدى الله خطة؟ هل كانت للتاريخ حبكة؟ من الذي كان بمقدوره أن يعطيهم معلومات أكيدة عن سر التاريخ؟

فتكلم واحد من الشيوخ (الآية٥). وقال ليوحنا لا تبك، ثم أضاف قائلاً: «**هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود**» (أي المسيح). «وهو قادر على أن يفتح السفر ويفك ختومه السبعة»، وهكذا يكشف عن محتوياته ومعنى التاريخ.

لقد كانت لحظة مؤثرة للغاية. لقد نظر يوحنا ليرى هذا الأسد المنتصر. ولدهشته، فإنه رأى بدلاً منه خروفاً، بدا وكأنه مذبوح، ومع ذلك كان واقفاً في وسط العرش نفسه، مشاركاً فيه الله (انظر٣: ٢١). وفي هذا الوضع المركزي، كانت تحيط به الحيوانات الأربعة (الطبيعة)، والشيوخ (الكنيسة). وقد وُصف أيضاً بأن له سبعة قرون وسبع أعين، والتي عُرفت بأنها «**سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض**» (الآية٦).

وهكذا، أُعيد توجيه اهتمامنا من العرش إلى السفر، والآن من السفر إلى الخروف.

رؤية يوحنا للخروف (٥: ٧-١٤)

قام الخروف الآن باتخاذ إجراء. فقد أتى وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش. وكانت هذه إشارة لأن تخر الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف وأن يترنموا بترنيمة جديدة، معلنين استحقاقه أن يأخذ السفر ويفتح ختومه، ليس الآن بسبب الخليقة، بل بسبب الفداء: «**لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك على الأرض**» (٥: ٩-١٠).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وبعد ذلك، انضمت ملايين الملائكة معلنين أن الخروف مستحق أن يتسلم سبع بركات لأنه ذبح ولأن كل قوة وحكمة يجب أن تُعزى له.

وأخيراً (الآية١٣) سمع يوحنا كل خليقة في الكون بأسره، تنسب الحمد والمجد «للجالس على العرش وللخروف» وقد صادقت الأربعة الحيوانات على ذلك بقولها «آمين»، أما الشيوخ الأربعة والعشرون، فخروا وسجدوا.

إنها رؤيا في غاية الروعة، أن نرى المخلوقات جميعاً، وقد خروا على وجوههم أمام الله ومسيحه. والأمر الذي يدعو للدهشة حقاً، أن الخروف كان مع الجالس على العرش يشاركه في ذلك، ويتلقى مديحاً مساوياً له.

وعلى الرغم من ذلك، تثير هذه الدراما العديد من الأسئلة أيضاً. لماذا كان يسوع المسيح هو الشخص الوحيد المستحق أن يفتح السفر ويشرحه؟ وما الذي يؤهل حمل الله الذي استحق بشكل فريد أن يفسره؟ ومن الجلي أن ذلك كان لأنه ذُبح، وبسبب ما حققه بموته. ولكن لماذا أصبح الصليب مفتاحاً للتاريخ؟

أولاً: الصليب يفسّر التاريخ لأنه يتحدث عن «الغلبة». أما السبب الذي جعل الخروف قادراً على أن يفتح السفر فذلك مرده أنه قد غلب (٥: ٥). وقد استُخدم نفس الفعل في ختام كل رسالة من الرسائل السبع التي أُرسلت إلى الكنائس. وقد أُعطي وعد لذاك الذي يغلب. وعلى سبيل المثال «**من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه**» (٣: ٢١). وهكذا يُقدم الصليب في العهد الجديد على أنه علامة انتصار وليس علامة هزيمة، وكمناسبة تستحق الاحتفال بها وليس كمأساة. لأنه - وكما ذكر بولس الرسول - أن المسيح وهو على الصليب «**جرد الرياسات والسلاطين**» (كولوسي٢: ١٥). حقاً، إنهم مازالوا أحياء ونشطين، لأنهم لم يعترفوا بعد بالهزيمة. و لكنهم على الرغم من ذلك، هُزموا وهم تحت أقدام المسيح (على سبيل المثال، أفسس١: ٢٢). وهذه هي الحقيقة العظمى لانتصار المسيح، الأمر الذي كانت الكنيسة تنساه في بعض الأحيان. والسبب الأول الذي يجعل الخروف وحده هو الذي يستطيع تفسير التاريخ بكل شروره، هو أنه انتصر على

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الشر وهو على الصليب.

ثانياً: الصليب يفسّر التاريخ لأنه يتحدث عن «الفداء». والاستعمال المتكرر للقب «الخروف» سيذكر القراء اليهود في الحال بالفصح. لأنه كما ذُبح خروف الفصح، ورُش دمه، ونجا الشعب من الهلاك، هكذا المسيح فصحنا، قُدم ذبيحة من أجلنا، حتى يمكن فداؤنا، ونستطيع الآن الاحتفال بفرحة الفداء. وهكذا فإن للتاريخ حبكة مزدوجة. هناك تاريخ العالم (ظهور الإمبراطوريات وسقوطها)، وهناك تاريخ الخلاص (قصة شعب الله المفدي). وعلاوةً على ذلك، بوسعنا أن نتجرأ ونقول إن الأول لا يمكن فهمه إلا على ضوء فهم الثاني، وأن ما يعمله الله خلف ستار تاريخ العالم، هو أن يدعو من كل أمة شعباً لنفسه، والصليب فقط هو الذي يجعل ذلك ممكناً.

ثالثاً: الصليب يفسّر التاريخ لأنه يتحدث عن «الآلام». لأن آلام المسيح، على الرغم من أنها فريدة في مغزاها الخلاصي، فهي على الرغم من ذلك، النموذج الأصلي لآلام شعب الله. ولأنه تألم، دُعي شعبه ليتألم. ولأنه ذهب إلى الصليب، فإنه يدعونا إلى أن نحمل صليبنا ونتبعه. وعلى ذلك ينتقل يوحنا من الخروف المذبوح (في الإصحاح ٥) إلى نفوس الشهداء الذين قُتلوا بسبب شهادتهم الأمينة (في الإصحاح٦). وهكذا، فإن أولئك الذين دُعوا لأن يتألموا من أجل المسيح، والذين يصعب فهم آلامهم الفظيعة أو تحملها، تعلموا أن ينظروا إليها على ضوء آلام المسيح.

رابعاً: الصليب يفسّر التاريخ لأنه يتحدث عن «الضعف»، وعلى وجه الخصوص عن القوة من خلال الضعف. وهذا التناقض الظاهري نراه في أقصى أشكاله المثيرة في المسيح وفي الصليب، وفي رؤيا يوحنا (الإصحاحين ٤، ٥). لأنه في وسط عرش الله (رمز القوة) يقف خروف مذبوح (رمز الضعف) وبتعبير آخر، القوة من خلال الضعف التي تمثلت في الله (القوى) وهو على الصليب، وفى الخروف على العرش، نجدها في جوهر الحقيقة الأساسية، بل في سر الله رب الجنود.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٤ ـ المسيح يتحكم في مجرى التاريخ

(رؤيا٦ ـ٧)

الختوم السبعة والمجتمعان

وبعد أن احتفينا باستحقاق الخروف الفريد لأن يفتح السفر، وقد رآه يوحنا يأخذه من الجالس على العرش (٥ : ٧). الآن يراقب يوحنا المشهد فيما يفتح الخروف الختوم السبعة الواحد تلو الآخر. وبعد أن فتح كل ختم من الختوم الأربعة الأولى، صاح أحد الحيوانات بصوت كالرعد قائلاً «هلم وانظر» فقد ظهر فرس وراكبه. وهؤلاء هم الفرسان الأربعة لسفر الرؤيا، وهم معروفون تماماً للرسامين المسيحيين.

وكان الفرس الأول أبيض، وراكبه معه قوس، وقد أُعطي إكليلاً، و«خرج غالباً ولكي يغلب». وبالنظر إلى أنه كان ينتمي إلى سلسلة فرسان سفر الرؤيا، فقد توصل الكثير من المفسرين إلى أنه هو أيضاً يرمز إلى كارثة، وفي حالته ستكون الكارثة عسكرية. غير أن اللون الأبيض في مواضع كثيرة من سفر الرؤيا يرمز إلى البر، وإلى أكاليل، وإلى انتصار يخص المسيح، وفي (١٩ : ١١ـ ١٥) كان الفارس الجالس على فرس أبيض يُدعي أميناً وصادقاً»، «**كلمة الله**» بل «**ملك الملوك ورب الأرباب**». ولذلك تأكد لنا، أنه قبل أن ينشر الفرسان الآخرون فظائع الحرب: المجاعة، والموت، يأتي المسيح راكباً على رأس موكب الفرسان، وقد صمم على أن يربح الأمم بالإنجيل. و نجح في ذلك. لأننا نرى في الإصحاح التالي جماهير لا حصر لها تقف أمام عرش الله، من كل الأمم، وكان ذلك من ثمار إرساليته للعالم كله.

وكان الفرس الثاني أحمر نارياً، يرمز إلى سفك الدم، سواءً بسبب الحرب، أو النزاع الداخلي أو الاضطهاد (انظر متى١٠ : ٣٤). وكان الفرس الثالث أسود، يرمز إلى ظروف المجاعة، حيث إن الارتفاع الكبير جداً في الأسعار يجعل أثمان السلع الغذائية

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الرئيسية مرتفعة للغاية لا يمكن شراؤها، وسلع الترف لا يقدر على شرائها سوى الأثرياء. وكان الفرس الرابع أخضر اللون باهتاً (مثل الجثة) وكان يرمز إلى الموت والهاوية أي إلى الحدث ومجاله. وقد أُعطيا سلطاناً على ربع سكان الأرض أن يقتلا بالسيف، والمجاعة والوباء والحيوانات المفترسة.

وبدلاً من ظهور فرس آخر، كشف فتح الختم الخامس عن نفوس الشهداء المسيحيين «تحت المذبح» (مكان الذبائح)، حيث كانوا يلتمسون إقامة العدل. وكما قال چورچ إلدن لاد «إنه دم الشهداء يصرخ طالباً الانتقام، ولم يكن الشهداء أنفسهم يصرخون من أجل انتقام شخصي». ورداً على ذلك، طُلب منهم الانتظار فترة أخرى قليلة، حتى يكتمل عدد الشهداء.

وبعد فتح الختم السادس، حدثت زلزلة عظيمة، تبعتها أفظع الأضطرابات الكونية المروعة. صارت الشمس سوداء وصار القمر كالدم، وسقطت النجوم، وانفلقت السماء، وكل الجبال والجزر تزحزحت عن موقعها. وعلى الرغم من ذلك، لا يجب تفسير هذه الأمور على أنها أحداث بالمعنى الحرفي، بل كانتفاضات سياسية واجتماعية وصُفت بتشبيهات مجازية مألوفة في الكتابات الرؤيوية. وهذه ستؤدي إلى يوم الدينونة، حيث كافة البشر بمختلف مستوياتهم الاجتماعية من الملوك حتى العبيد سيبحثون عن غطاء يحتمون به، آملين في النجاة. وسوف يصرخون إلى الجبال أن تسقط عليهم وتخفيهم من وجه الله ومن غضب الخروف (انظر إشعياء٢ : ١٩).

هذه الدراما الافتتاحية للختوم الستة تعطينا فكرة عامة عن التاريخ بين مجيء المسيح الأول والثاني. وسوف تكون فترة اضطرابات وآلام عظيمة، لكن عين الإيمان تتطلع إلى ما بعد هذه الأمور. تتطلع إلى المسيح الذي هو الفارس المتوج والمنتصر الجالس على الفرس الأبيض، والخروف الذي يفتح الختوم، والذي يتحكم في مجرى التاريخ.

وعلينا الآن أن ننتظر حتى (٨ : ١) حتى يُفتح الختم السابع. وبدلاً من ذلك،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يدعونا يوحنا إلى فترة فاصلة تؤكد أمن شعب الله. ويصف الإصحاح السابع من سفر الرؤيا مجموعتين من البشر. الأولى (الآيات١-٨) يبلغ عددهم ١٤٤ ألفاً مأخوذين من أسباط إسرائيل الاثني عشر، و الثانية (الآيات من ٩-١٧) جماهير ضخمة لا حصر لها من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة. وللوهلة الأولى، يبدوان وكأنهما جماعتان منفصلتان (إحداهما معدودة، والأخرى لا حصر لها، هما إسرائيل والأمم)، وقد جرت محاولات داخلية عديدة للتمييز بينهما. غير أنه بالفحص الدقيق،يصبح من الجلي أن كلتيهما صورتان من مجتمع مفديي الله، على الرغم من أن كل صورة منهما أُخذت من وجهة نظر مختلفة. وفي الصورة الأولى: تجمع الشعب مثل الجنود في صفوف المعركة - محاربي الكنيسة على الأرض، وفي الثانية: تجمعوا أمام الله، وقد أصبحت معاركهم تنتمي إلى الماضي -باعتبارهم الكنيسة المنتصرة في السماء. وبذلك أصبحتا مجموعتين (لدينا اليهود والأمم) بل كنيسة الله على الأرض والكنيسة المنتصرة فى السماء.

لنأخذ المجموعة الأولى. لقد أُطلق عليهم «**عبيد إلهنا**» (الآية٣) وقد خُتموا على جباههم إشارةً إلى أنهم ينتمون إليه. أما الرقم ١٤٤٠٠٠، فمن الجلي أنه رمز للكنيسة الكاملة (١٢×١٢×١٠٠٠)، وقد عُرفوا بعد ذلك بأنهم «**الذين اشتُروا من الأرض**» (١٤ : ٣). والسبب الوحيد لتقديمهم على أنهم أسباط إسرائيل الاثني عشر هو أن الكنيسة طوال العهد الجديد، يُنظر إليها على أنها «إسرائيل الله»، «الختان الحقيقي... «**جنس مختار... أمة مقدسة شعب اقتناء**» (غلاطية٦ : ١٦، فيلبى٣ : ٣، بطرس الأولى٢ : ٩) الذين تمت فيهم مواعيد عهد الله.

ولكن ما الذي قيل إذاً عن المجموعة الثانية من الجماهير؟ إنهم «**جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة**» (الآية٩). وفيهم تحقق وعد الله لإبراهيم بأنه سيعطيه نسلاً عدده يكون كنجوم السماء وكرمل البحر وتتبارك فيه جميع قبائل الأرض (تكوين١٢ : ١-الخ).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وبعد ذلك، كان الجمع الكثير الذي عدده يفوق الحصر واقفين أمام عرش الله والخروف، يتمتعون ببركات حكمه الملكي. وكانوا متسربلين بثياب بيض، ويلوحون بسعف النخل الذي هو علامة الانتصار. وكانوا يترنمون بترانيم العبادة بصوت عال، وينسبون فضل خلاصهم لله وللحمل. كما انضم إليهم أيضاً الملائكة والشيوخ والحيوانات الأربعة، حيث خرُوا على وجوههم وسجدوا لله. لأن حياة السماء هي حياة فرح واحتفال مستمر، ثم جوقات المرنمين الأرضية التي كانت تتدرب على الموسيقى الأخروية.

كيف نتأكد إذاً أننا ننتمي إلى جماهير المفديين حول العالم هذه؟ لقد عبر أحد الشيوخ عن نفس هذا القلق حيث تساءل قائلاً: «**هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم ومن أين أتوا**» (٧: ١٣). ثم استطرد يجيب على سؤاله. فمن ناحية، فإنهم قد «غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف». ولا ريب فى أنه لا يمكننا الوقوف أمام عرش الله المتألق الباهر بأخلاقياتنا القذرة البالية، إلا إذا سعينا لأن نغتسل بدم الخروف الذي مات من أجلنا. ومن ناحية أخرى، فإنهم «أتوا من الضيقة العظيمة». وبالنظر إلى أن جميع المفديين قد وُصفوا، فإن هذه لا يمكن أن تشير إلى الفترة المعينة الواقعة بين ظهور «ضد المسيح»، والمجيء الثاني للمسيح، فلابد وأنها وصف للحياة المسيحية برمتها، والتي يصفها العهد الجديد بشكل متكرر بأنها زمن الضيقة العظيمة (انظر على سبيل المثال، يوحنا١٦: ٣٣، أعمال١٤: ٢٢، رؤيا١: ٩). «**من اجل ذلك هم أمام عرش الله**» (انظر رؤيا ٨: ١٧).

ويُختتم هذا الإصحاح بالتأكيدات العظيمة (الآيات١٥- ١٧) بأن الله سيرعى شعبه، ولن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا، ولا تقع عليهم الشمس، ولا شيء من الحر، وإنه - في أجرأ عملية لعكس الأدوار- سيكون الخروف راعيهم، وأن الله سيمسح كل دمعة من عيونهم.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٥ ـ المسيح يدعو العالم إلى التوبة

(رؤيا٨ـ١١)

الأبواق السبعة، السفر الصغير، والشاهدان

من المتفق عليه بوجه عام أنه من الصعب تفسير الإصحاحات (من ٨ إلى ١١) من سفر الرؤيا. فهي تبدأ بفتح الختم السابع، الأمر الذي تبعه «سكوت في السماء نحو نصف ساعة». لم تكن توجد خلالها رؤيا أو صوت، ولعل ذلك للإشارة إلى أن الجزء السابع من السفر لا يوُجد فيه شيء خاص به، بل يتكون بالأحرى من الأبواق السبعة التي ذُكرت بعد ذلك.

كما يذكر لنا يوحنا أيضاً في مقدمة هذه الإصحاحات (الآيات ٣ـ ٥) أن دخان بخور الملاك مع صلوات القديسين، كانت تصعد إلى عرش الله. وهو يُلمّح هنا إلى أن الرد الإلهي المتمثل في الرعود والبروق ـ التي هي رموز دنيونة ـ كان استجابة مباشرة لصلوات الكنيسة (انظر٦ : ٩ـ ١٧).

ونحن نقرأ عن سبعة ملائكة أُعطوا سبعة أبواق. ومن المهم أن تتذكر، مع تطور القصة، أن فتح الختوم السبعة، وتبويق الأبواق السبعة، لم تكن على التوالي، بل كانت ترمز إلى نفس الفترة، وهي الفترة الممتدة بين مجيء المسيح الأول والثاني، ولو أن ذلك من وجهات نظر مختلفة.

وعلى ذلك، ما هو المفهوم الواضح للأبواق، ما هي رؤيتها الخاصة بالمسيح؟

وإني أقترح أن نمعن النظر إلى كلمة «تحذير» وهي تسطع بالنور الأحمر طوال هذه الإصحاحات، لأن غرضها الذي يطغى عليها هو إفاقة غير المؤمنين من أنانيتهم وشعورهم بالرضا الذاتي، ودعوتهم إلى التوبة، وتحذير غير التائبين من دينونة الله العادلة. وهذه هي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الرسالة السائدة في هذه الإصحاحات وهي: الدعوة إلى التوبة والتحذير من الدينونة.

وقد يقول البعض بأن هذا ليس المعنى الذي يتضح فوراً لهذه الإصحاحات. فكيف يمكنني إذاً أن أبرر تفسيري؟ لنتأمل هذه الحجج الست التالية:-

أولاً: على الرغم من أن البوق كان يُستخدم في العهد القديم لأغراض عديدة، مثل جمع الشعب في حالة الطوارئ، و«لفت انتباه الشعب إلى أقوال الله» إلا أن من بين استخداماته الرئيسية أنه كان يُستخدم في التحذير. ولذلك، جاء في سفر حزقيال أنه إذا رأى الرقيب «**السيف مقبلاً على الأرض ونفخ في البوق وحذر الشعب. وسمع السامع صوت البوق ولم يتحذر فجاء السيف وأخذه فدمه يكون على رأسه**» (حزقيال٣٣: ١-٦،انظر يوئيل٢: ١).

ثانيا: تعمد يوحنا أن يبين التشابه بين الدينونات التي يصفها، والضربات التي ضُرب بها المصريون. وعلى سبيل المثال، نراه يشير إلى تحول الماء إلى دم، وسقوط بَرَد هائل، وظهور جحافل من الجراد، وظلمة عظيمة. وكان الغرض من الضربات في مصر هي أن تأتي بفرعون وبلاطه إلى التوبة.

ثالثاً: الأبواق الخمسة الأولى من الأبواق السبعة تعلن كوارث على الأرض، والبحر والأنهار، وفي الجو، والبشر، ويعاني في كل منها ثلث العدد. وهذا التحديد المتعمد يبعث إشارة تحذير للثلثين الآخرين. وهذه الدينونات كانت جزئية وليست نهائية.

رابعاً: استجابة الشعب السلبية للأبواق تبين أنه كان يُأمل أن يتوبوا: «**وأما بقية الناس الذين لم يُقتلوا بهذه الضربات فلم يتوبوا عن أعمال أيديهم** (أي الوثنية)... **ولا تابوا عن قتلهم...**» وخطايا أخرى (٩: ٢٠-٢١). وعلى الرغم من التحذيرات الإلهية المتواصلة، فقد ظلوا في تحديهم ولم ينقادوا إلى التوبة.

خامساً: الكوارث الطبيعية التي كانت الأبواق رمزاً لها، كانت من تحذيرات الله غير المباشرة، وكانت تصاحبها التحذيرات المباشرة لكلمة الله. وكان السفر الصغير يرمز إلى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إعلان الإنجيل، كما أن شاهدي الله كانا يمثلان الكنيسة والإرسالية. وفيما كان يكرزان، كانا «لابسين مسوحاً»، وهما بهذا كانا يمثلان التوبة التي كانا ينشدانها (لوقا١٠: ١٣).

سادساً: حتى إذا لم تكن خدمة الشاهدين فعالة، فإن المرجو مما تعرضا له من اضطهاد ثم استشهاد، كان من شانه أن يدفع العالم إلى التوبة.

وهذه الحجج الست تشكل سنداً قوياً. وفي هذه الحالة بوسعنا أن نفهم أن الختوم والأبواق والجامات تتعلق بنفس الفترة الواقعة بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني، ولكن من وجهة نظر مختلفة. والختوم السبعة هي ما يسمح به المسيح في عالمه (بالنظر إلى أن الأحداث لا تقع إلا بعد أن يفتح الختوم). أما الجامات السبع (والتي لم تأت بعد) فتصف الكيفية التي يدين بها المسيح عالمه. أما الأبواق السبعة (والتي تأتي بين الختوم والجامات) فتصف لنا كيف يحذر المسيح سكان العالم ويدعوهم إلى التوبة.

لنتأمل إذاً معنى الأبواق.

لا يجب النظر إلى الكوارث التي ذُكرت الآن (خراب في الأرض، والبحر، والأنهار والنظام الشمسي) باعتبار أنها أحداث خاصة، ناهيك عن موضوع الاعتراف بها. فعلى سبيل المثال، فإن الجبل العظيم المتقد بالنار ـ الذي حدث في البوق الثاني ـ لا يشكل إشارة إلى الانفجار الذي حدث في جبل فيسوفياس سنة ٧٩م، على الرغم من أن هذا الانفجار ربما يشكل بعض ما جاء في التشبيه المجازى، ولكنها كوارث طبيعية قد تحدث لأي شخص في أي وقت وفي أي مكان. وإذا قُصد بها أن تُؤخذ بمعناها الحرفي، فإنها في هذه الحالة تسهم في مخاطر الحياة على الأرض. وهي تُعد تحذيرات على غرار ما حدث بالنسبة لانهيار برج سلوام الذي فسره يسوع بأنه دعوة إلى التوبة (لوقا١٣: ٤). غير أن الأرجح هو أنها تعبيرات مجازية، وأنها تشير إلى أن هذه الأحداث هي كوارث طبيعية (العشب الأخضر في البوق الأول)، وفوضى اقتصادية (السفن التي أُهلكت في البوق الثاني)، ومأساة إنسانية (المرارة في البوق الثالث)، وسلوك وحشي (الظلام الذي ساد في البوق الرابع).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بل إن المستقبل قد يكون أسوأ من ذلك. ولقد رأى يوحنا نسراً طائراً وسط السموات قائلاً بصوت عظيم: ويل ويل ويل للساكنين على الأرض، وصراخه (ويل ويل) كان إشارة إلى أن الأبواق الخامس والسادس والسابع ستأتي بآلام أكثر شدة، وعلى ذلك سيُعاد تسميتها الأول والثاني والثالث.

وإذا كانت الأبواق الأربعة الأولى تصف دماراً للطبيعة، فإن البوقين الخامس (٩: ١-١١)، والسادس (٩: ١٢-٢١) يصفان دماراً يلحق بالبشر. لقد رأى يوحنا جحافل من الجراد خرجت من الدخان الذي أتى من أتون عظيم، وأظلمت الشمس والجو. والشيء الوحيد الذي يُعرف عن الجراد (الإضرار بالعشب وبكل ما هو أخضر)، وقد مُنعت هذه المخلوقات من تأدية عملها. وبدلاً من ذلك، هاجمت البشر غير المؤمنين (الذين ليس لهم ختم الله على جباههم)، ولدغتهم لدغة تسبب عذاباً كلدغة العقرب، ولكنها لم يكن لها سلطان لقتلهم. وعلى الرغم من أن ضحاياها من البشر سيتمنون أن يموتوا، إلا أنهم لن يستطيعوا قتل أنفسهم.

وكان وصف يوحنا لهذا الجراد حياً للغاية. وقد وصفه على نحو ما شاهده في رؤياه، أو بما تُذكره به. وقد استخدم أداة التشبيه ثمان مرات. ولقد كان شكلها بوجه عام يشبه خيول الحرب، وعلى رؤوسها أكاليل شبه الذهب، ووجوهها كوجوه الناس، ولها شعر كشعر النساء، وأسنانها كأسنان الأسود. ثم يعود إلى طبيعتها الحربية فيقول، إن دروعها كدروع من حديد وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجرى إلى المعركة. وملكها يُسمى «ملاك الهاوية» لأنهم لا يهمهم سوى الدمار والهلاك. غير أن أكثر ما أثر في يوحنا هو قدرتها على أن تسبب ألماً فظيعاً. وقد ذكر ثلاث مرات في الإصحاح التاسع أنها تلدغ كالعقرب (الآيات٣ و٥ و١٠) كما أشار ثلاث مرات إلى قدرتها على التعذيب والتسبب في الآلام الفظيعة (الآية٥) أو الأذى البالغ (الآية١٠) حيث تسبب ألماً رهيباً تجعلهم يتمنون الموت (الآية٦).

هذه المخلوقات السامة الخطيرة، ما هي بالطبع سوى تشبيهات مجازية. ولم يذكر لنا

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يوحنا على الإطلاق أنها مخلوقات شيطانية. وعلى ذلك، أليس من المحتمل ـ إذا ما تذكرنا تعليم يسوع بأن كافة الشرور تكمن في قلب الإنسان (مرقس٧ : ٢١ـ ٣٠) ـ أن يكون هذا ما يوضحه لنا يوحنا هنا بهذه التشبيهات؟ يقول البروفيسور توماس توراتس إن الكوكب الذي أُعطي مفتاح الهاوية هو « كلمة الله ». لأنه ما من شيء يفتح هاوية الطبيعة البشرية مثل « الإنجيل »، فالإنجيل يكشف لنا وللآخرين مدى فساد طبيعتنا البشرية الساقطة، والتي كثيراً ما تكون محتجبة، ولكنها في بعض الأحيان تطفو على السطح، الأمر الذي يربكنا إلى حد كبير، لأنه ليس هناك ما يمكن أن يسبب ألماً أكثر مما يسببه عذاب الضمير. وهذا يؤدي بالبعض إلى الإيمان، غير أن البعض الآخر تتقسى قلوبهم، ومن ثم يهلكون.

وكان يوحنا يدرك أن البوق السادس (٩ : ١٢ـ ٢١) سيجلب ألماً أكثر شدة من أي ألم ذُكر في الأبواق الخمسة السابقة. ولذلك، يؤكد أن السماح به جاء مباشرةً من الله استجابةً لدعوات شعبه (الآية١٣، انظر٨ : ٣ـ ٥)، وأنه سيتحقق فحسب في الوقت المناسب الذي رسمه الله (الآية١٥). وهذه التصاريح كانت ضرورية، بسبب تصاعد الآلام. وسيأتي البوق السادس بتصريح لقتل ثلث الجنس البشري (الآيتان١٥و١٨). وعلاوةً على ذلك، فإنه في حين أن آلية العقاب الإلهي بعد البوق الخامس تمثلت في الجراد، فإنه الآن يستخدم مركبات خيل. وقد وصل سلاح الفرسان إلى مائتي مليون، وتجمعوا ـ رمزياً ـ عند نهر الفرات، الذي جاء منه أعداء إسرائيل من الآشوريين والبابليين، وقد شعرت روما بتهديد جحافل الفرتيين « parthian ». وقوات الفرسان التي رآها يوحنا كانت في الواقع مرعبة للغاية ذلك أن ـ دروع الفرسان بعضها أحمر ناري وبعضها بنفسجي، وبعضها أصفر كبريتي، ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود، ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت. ولكن قدرتها على الأذى والموت تكمن في أفواهها، وفي أذنابها أيضاً التي تشبه الحيات ذات الرؤوس المؤذية.

وهنا نقول أيضاً إن هذا ليس وصفاً لأحداث حقيقية، ولكن لا يجب النظر إليها على أنه لا مغزى لها. ويبدو أن البوق السادس يرمز إلى موت عنيف سواءً كان ذلك نتيجة الحرب أو الإرهاب أو الاضطهاد، وهذا له علاقة خاصة بنا نحن الذين عشنا

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خلال الجزء الأكبر من القرن العشرين، ولعله القرن الأكثر عنفاً على مدى القرون. وكان المرء يأمل أيضاً أن تدفع فظائع الحرب وأهوالها غير المؤمنين إلى التوبة. لكن يوحنا يسجل في رؤياه أن أولئك الذين نجوا من الموت لم يتوبوا سواءً عن وثنيتهم (أسوأ انتهاك لوصايا اللوح الأول من لوحي الشريعة) أو عن خطاياهم (ومعظمها انتهاك لما جاء في اللوح الثاني). انظر(رؤيا٩ : ٢٠- ٢١).

السفر الصغير والشاهدان

وكما كانت هناك فترة فاصلة بين الختمين السادس والسابع، هكذا كانت هناك فترة فاصلة أيضاً بين البوقين السادس والسابع. وهي تتحدث عن سفر صغير (١٠ :١- ١١) وشاهدين (١١ : ١-١٣). والسفر الصغير نزل به من السماء ملاك «قوي» (ويبدو أنه ليس سوى يسوع المسيح نفسه)، وقد كُلف يوحنا أن يبشر به. ومن ناحية أخرى، يبدو أن الشاهدين يمثلان الكنيسة والإرسالية. وهاتان الخدمتان المتعلقتان بالإنجيل يجب أن يُفهما في إطار أبواق التحذير. ومادام العالم قد رفض رسالة التحذير السلبية، على مثال فرعون الذي قسى قلبه ورفض أن يتوب، فإن الكرازة بالإنجيل أصبحت أكثر إلحاحاً. لأن المسيح مازال يدعو العالم إلى نفسه، ولم ينفذ صبره، كما أن النهاية لم تأت بعد.

وفيما يصف يوحنا رؤياه بأنه رأي «ملاكاً آخر قوياً نازلاً من السماء»، فمن الجلي أنه لم يكن مجرد ملاك. وإنها لحقيقة أنه ظل يدعوه «ملاكاً»، ولكن لماذا لا يكون «ملاك الرب» الذي ظهر في ظهورات العهد القديم، والتي يبدو أنها كانت ظهورات لابن الله قبل التجسد؟.

وعلى كل حال، يبدو أن يوحنا جمع وعن عمد عدداً من السمات الإلهية في وصفه. كان «الملاك» متسربلاً بسحابة (رمز حضور الله) وعلى رأسه قوس قزح (رمز لعهد رحمة الله). وكان وجهه مشرقاً كالشمس، ورجلاه كعمودي نار، كما في رؤيا يوحنا في الإصحاح الأول. وكان يمسك بسفر صغير ظل مفتوحاً في يده، ولعله (كما يعتقد بعض المفسرين) نفس السفر الذي أخذه من يد الآب في الإصحاح الرابع. وكان حينئذ مغلقاً، ولكنه مفتوح

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الآن. وبعد أن وضع إحدى رجليه على البحر والأخرى على الأرض، وقف منفرج الساقين بعرض الأرض كلها، وكل شيء تحت قدميه. وبعد ذلك، زأر كالأسد ليذكرنا أن السيد الرب قد تكلم (عاموس٣ : ٨)، وأنه هو نفسه الأسد الذي من سبط يهوذا (رؤيا٥ : ٥). وعندما تكلمت الرعود السبعة، هو فقط الذي فهمها على الرغم من أنه مُنع من الإفصاح عن معناها. ويبدو أن الدليل قاطع بأن هذا هو يسوع المسيح.

وهنا أقسم «الملاك» بالخالق الحي إلى أبد الآبدين أن «لا يكون زمان بعد» (أي ألا يكون أي تأخير) لأنه حين يُسمع صوت البوق السابع يتم أيضاً سر الله (إعلان خلاصه ودينونته).

وماذا عن السفر الصغير، قال صوت ليوحنا أن يأخذه (وقد فعل) ويأكله ويهضم محتوياته (وقد فعل ذلك أيضاً). وكان طعمه في فمه حلواً كالعسل، ولكنه صار في جوفه مراً. ولقد اختبر إرميا وحزقيال من قبله اختباراً مماثلاً (إرميا١٥ : ١٦، حزقيال٣ : ١- الخ). وهكذا كُلف يوحنا بأن يكرز بالإنجيل إلى جميع الأمم (مرقس١٣ : ١٠)، ولكنه حُذِّر في ذات الوقت بأن حلاوة رسالة الخلاص ستتبعها مرارة دينونة أولئك الذين رفضوا كلمة الله.

وقبل أن يأتي النصف الثاني من الفترة الفاصلة التي تتضمن «شاهدين»، طُلب من يوحنا أن يقيس هيكل الله، والمذبح والساجدين فيه. وإذ نتذكر ما جاء في (حزقيال ٤٠-٤٨) (إعادة بناء الهيكل)، يكون بوسعنا القول إن القياس مثل وضع الختم على شيء، أي يرمز إلى حماية شعب الله الحقيقي. وأما الدار الخارجية (ربما المقصود كنيسة بالاسم) فلن تحظى بنفس الأمن، لأنها سُلمت إلى الأمم غير المؤمنين، والذين سيدوسون المدينة المقدسة (أي يضطهدون الكنيسة) لمدة اثنين وأربعين شهراً، والتي تعادل ثلاث سنوات ونصف السنة، وهي فترة الضيقة العظيمة التقليدية الرؤيوية (انظر دانيال ٩ : ٢٧، ١٢ : ٧).

وعلى حين غرة، يظهر شاهدا المسيح دون سابق إنذار أو تفسير، وتُذكر سيرتهما الذاتية. ويبدو من الجلي أنهما يمثلان الكنيسة الشاهدة والمتألمة. وقد أُعطيا سلطاناً ليتنبآ (أي أن يكرزا بالإنجيل) لمدة ١٢٦٠ يوماً، وهذه نفس فترة عمر الكنيسة البالغة اثنين وأربعين شهراً

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أو ثلاث سنوات ونصف السنة. وبتعبير آخر ستستمر الشهادة والاضطهاد والحماية الإلهية للكنيسة لنفس الفترة الزمنية (١١ : ٢-٣، ١٢ : ٥-١٤،٦).

ولكن، ما السبب في أن يُرمز إلى الكنيسة الشاهدة «بشاهدين»؟ يبدو أن ذلك يرجع إلى عوامل عدة. (**أولاً**: هناك مطلب ناموس العهد القديم الذي يقضي بوجوب وجود شاهدين على الأقل لاقرار صحة الشهادة أمام المحكمة (على سبيل المثال، تثنية١٩ : ١٥، يوحنا٨ : ١٧). **ثانياً**: أرسل يسوع السبعين تلميذاً اثنين اثنين. **ثالثاً**: عُرفا الشاهدان بشجرتي زيتون ومنارتين على نحو ما جاء في زكريا ٤ : ١-٦. وكان هذا مثل القائدين الإسرائيليين الكاهن يهوشع، والحاكم زربابل. **رابعاً**: كما عُرفا أيضاً (الآيتين٥-٦) بموسى (تحويل الماء إلى دم، خروج ٧ : ٢٠)، وإيليا (أوقف المطر ملوك الاول١٧ : ١)، حيث يمثلان الناموس والأنبياء.

وطوال مدة خدمتهما النبوية، سوف يتعرض هذان الشاهدان للاضطهاد والحماية في ذات الوقت. غير أنه عندما تتم شهادتهما، فإن «الوحش الصاعد من الهاوية»- ولعله ضد المسيح، سوف يهاجمهما ويتغلب عليهما ويقتلهما. وسوف تترك جثتاهما على قارعة الطريق فى المدينة التي أُعطيت أسماء رمزية: بابل («المدينة العظيمة»)، سدوم (رمز الفسوق)، مصر (رمز القمع)، أورشليم (حيث صُلب ربنا أيضاً). ولفترة قصيرة، يرفض ممثلو الشعوب غير المؤمنين السماح بدفنهما (قمة التحقير)، حيث يفرحون ويهللون ويحتفلون بقتلهما، بمعنى أنهم يبتهجون لإسكات شهادتهما. وما سبب فرحهم؟ السبب مرده أن شهادة الكنيسة الأمينة سببت لهم عذاباً أليماً فكراً وضميراً (الآية١٠).

وعلى الرغم من ذلك، فبعد فترة قصيرة سوف يقيم الله الكنيسة الشهيدة التي أُسكتت (وينعش شهادتها)، الأمر الذي يسبب الرعب للعالم لحدوث هذا. وأخيراً سوف تُرفع إلى السماء، الأمر الذي يثير الرعب في نفوس أعدائها. وهذا سوف يتم بواسطة زلزال عظيم يحدث خراباً ودماراً ويسقط ضحايا كثيرين، كما ينتشر الذعر بين الناجين. وسوف يمجدون الله، البعض منهم لتجديدهم، والآخرون خضوعاً ليوم الدينونة.

والعنوان الذي أعطيته لهذه الإصحاحات الأربعة (٨ - ١١) هو: «المسيح يدعو العالم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إلى التوبة». وتحت هذا العنوان، استُخدمت الأبواق كدينوناته التحذيرية، في حين أن السفر والشاهدين وهما الكرازة بالإنجيل بواسطة مؤمني الكنيسة. وكلاهما كانا سبب «عذاب» لغير المؤمنين (٩: ٥و١٠، ١٠: ١١)، لكن هذه التحذيرات الإلهية لم تدفعهم إلى التوبة (٩: ٢٠الخ). ولذلك، فقد أصبح الوقت الآن متأخراً للغاية. أما البوق السابع (وهو الويل الثالث) على وشك أن يبوق، ومعه ستأتي النهاية.

وبعد البوق السابع، يسجل يوحنا نتيجة ثلاثية، أكثر ملامحها أهمية هو تتابع الإشارات الزمنية، والتي جاءت جميعها في صيغة الفعل التام، الذي يشير إلى ما وقع الآن بشكل حاسم:

«**قد صارت ممالك العالم لربنا...**» (الآية١٥)، «**...أخذتَ قدرتك العظيمة وملكت**» (الآية١٧)، «**فأتى غضبك**» وجاء الوقت للدينونة (الآية ١٨)، «**وانفتح هيكل الله...**» (الآية١٩). وتشير كافة هذه الأقوال إلى السمة الحاسمة لما حدث، إما أنها نهاية الماضي أو بداية المستقبل.

أولاً: ثمة صوتان عاليان في السماء يعلنان الملكوت. ومن الطبيعي أن ملكوت الله جاء مع يسوع، أما الآن فالسيادة على العالم قد انتقلت إلى ربنا ومسيحه، اللذين قيل عنهما معاً بصيغة المفرد: «**فسيملك إلى أبد الآبدين**» (الآية١٥).

ثانياً: الأربعة والعشرون شيخاً الذين يمثلون الكنيسة الكاملة يخرون على وجوههم ويسجدون لله رب الجنود الذي أخذ سلطانه وبدأ يملك، وأنه قد جاء الوقت ليُدان الأموات، ولمجازاة شعب الله خيراً الصغار والكبار، ويهلك الذين كانوا يهلكون الأرض.

ثالثاً: رأى يوحنا هيكل الله مفتوحاً (معلناً القدوم لمحضره)، وبداخله تابوت العهد (الذي يرمز إلى رحمته). وفي ذات الوضع، حدثت بروق ورعود وزلزلة وبرد عظيم (رمزاً لدينونته النهائية).

وهكذا، قدم لنا يوحنا ثانيةً عرضاً كاملاً من بداية حقبة الإنجيل حتى نهايته، و(بالآية١٢: ١)، تبدأ الدائرة بكاملها من جديد.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٦ ـ المسيح يغلب الشيطان وحلفاءه

(رؤيا١٢ ـ ١٣)

المرأة، التنين، الطفل الذكر، والوحشان

في كل مرة يلخص يوحنا قصته ـ فيما تمتد من المجيء الأول للمسيح إلى مجيئه الثاني، نجد اضطهاداً، وصراعاً، ونصراً، واحتفالاً. وهذا ما نجده واضحاً جداً في (الإصحاحات١٢ـ ١٤).

لنتأمل الشخصيات الدرامية في الرؤيا الافتتاحية (للإصحاح١٢). وهنا نجد ثلاث شخصيات رئيسية: امرأة حبلى في حالة المخاض والولد الذكر الذي تحمله المرأة، وتنيناً عظيماً أحمر له سبعة رؤوس عليها سبعة تيجان، وعشرة قرون ترمز إلى قوة إمبراطوريته.

ولا يُوجد أي شك بالنسبة لهوية التنين، لأن يوحنا يشير إليه في الآية التاسعة بأنه «الحية القديمة التي تدعى إبليس والشيطان». بل، ولا يُوجد أي خلاف بالنسبة للولد الذكر الذي ولدته المرأة، لأنه في المستقبل سوف «يرعى جميع الأمم بعصا من حديد». إنه المسيا، المسيح ملك الملوك (الآيـة٥، مز٢: ٩). ولكن من هي المرأة التي ولدت ابنها هذا. ثمة تفسير شائع في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية يقول إنها مريم العذراء. ولكن مريم لم تُقدم على النحو الذي قُدمت به هذه المرأة. والواقع أن هذه المرأة على ما يبدو، ليست شخصاً بعينه على الإطلاق، بل هي شخصية مندمجة تمثل كنيسة العهدين القديم والجديد في إطار من الاستمرارية. ونجد أقوى إشارة في (الآية١)، حيث نجدها متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً. وهذا يذكرنا بحلم يوسف، الذي فيه سجدت له الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً (تكوين٣٧: ٩).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وبتعبير آخر، هذه المرأة العظيمة التي ولدت المسيا، هي رمز لشعب إسرائيل، الذي ينسب إلى آبائه الاثني عشر سلسلة أنساب المسيح بالجسد (رؤ٩: ٥). و يبدو أن الإثني عشر كوكباً التي في تاجها تشير إلى هذا.

ثلاث رؤى (١٢: ١-١٧)

وبعد التعرف على الشخصيات الرئيسية الثلاث، نصبح على استعداد الآن لتأمل الآيات الثلاث المذكورة في (رؤيا١٢)، والتي تحكي كلها نفس القصة الخاصة بهزيمة الشيطان، وانتصار المسيح واضطهاد الكنيسة.

أولاً: تأتي الرؤيا الخاصة بالمرأة والولد والتنين (الآيات ١-٦). وفيما كانت المرأة تتمخض لتلد، وقف التنين أمامها وهو مصمم على أن يلتهم ابنها عند ولادته (ولعل هذه إشارة إلى كراهية الملك هيرودس). ولكنها عندما ولدت، اختُطف ابنها إلى الله وعرشه. ثم هربت المرأة إلى البرية، حيث لها موضع معد من الله لكي يعولها هناك ١٢٦٠ يوماً (التي هي اثنان وأربعون شهراً، أو ثلاث سنوات ونصف السنة)، وهى مدة خدمة الكنيسة واضطهادها (انظر١١: ٢-٣). وهكذا، فإن الآية الأولى (المرأة والطفل والتنين) تُعد تلخيصاً رائعاً لقصة الإنجيل من ميلاد المسيا تحقيقاً لنبوات العهد القديم، إلى قيامته وصعوده، ثم بعد ذلك إلى زمن الاضطهاد وحماية الكنيسة. ثم إنها تعبير أيضاً عن العداوة الدائمة بين الحية والمرأة (تكوين٣: ١٥).

ثانياً: هناك الرؤيا الخاصة بجيشين في معركة (الآيات ٧-١٢). وهذه الرؤيا الثانية لا تذكر أحداثاً تالية لتلك التي كانت في الآية الأولى، بل أضيفت إليها باعتبارها النظائر السماوية لها. فميخائيل - رئيس الملائكة الذي ذُكر أولاً في سفر دانيال، مع جيشه من الملائكة الأبرار، دخلوا في حرب مع التنين وقواته الشيطانية. ولكن التنين وقواته (الآية٨) لم يكونوا أقوياءً بما فيه الكفاية. وقد لقوا هزيمة كبيرة، وفقدوا مكانهم في السماء، ولذلك طُرح التنين العظيم (الذي يقود العالم كله إلى الضلال) إلى الأرض.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أي أن مقدرته على الخداع قد تحطمت، الأمر الذي تثبته إرسالية الكنيسة، والملايين الذين آمنوا بالمسيح. كما نعرف أيضاً من بقية العهد الجديد أن الصليب هو الذي ألحق هزيمة ساحقة بالشيطان، وبالقيامة تأكد هذا الانتصار.

والحقيقة، أن انتصار المسيح العظيم يُحتفى به الآن في ترنيمة (الآيات ١٠- ١٢). لأنه «أتى» لنا الآن وصارت لنا «قدرة» الخلاص (الذي مات المسيح لتحقيقه)، (لأن الإنجيل هو قوة الله للخلاص)، «وملكوت إلهنا» (الذي جاء إلى التاريخ بالمسيح)، «وسلطان مسيحه» (الذي قال إن هذا السلطان العالمي أصبح الآن له). وهذه البركات أصبحت لنا الآن لأن الشيطان المشتكي علينا قد طُرح. لأن الشيطان هو مضل الشعوب، الذي يضل العالم (الآية٩)، والمشتكي على الكنيسة (الآية١٠)، الذي كان يتهم شعب الله نهاراً وليلاً. غير أنه بالنظر إلى أن المسيح مات من اجل خطايانا، فليس شيء من الدينونة على الذين هم فيه (رومية ٨: ١ و٣٣). وفي غضون ذلك، نجد فرحاً في السماء وويلاً لساكني الأرض لأن إبليس قد نزل وبه غضب عظيم.

ثالثاً: هناك الرؤيا الخاصة بمواصلة عداوة التنين للمرأة (الآيات١٣- ١٧). وإذ قد طُرح الشيطان إلى الأرض، فقد واصل دون هوداة ملاحقة المرأة التي ولدت المسيح. ولذلك، نلاحظ أن المرأة التي ولدت المسيح كانت ترمز إلى شعب الله في العهد القديم، في حين أن المرأة التي كان يحاربها الشيطان كانت ترمز لشعب الله في العهد الجديد. وهناك استمرارية ضرورية بينهما. فقد هربت إلى البرية (في خروج جديد) حيث كان الله يعولها. ولذلك استشاط الشيطان غضباً الأمر الذي جعله يعلن الحرب على بقية نسلها، أي كنيسة الأجيال اللاحقة، والتي يطيع أعضاؤها وصايا الله ويشهدون بأمانة ليسوع. والطاعة والشهادة دلالتان لابد منهما للمجتمع المسياني (مجتمع المسيح).

أما الموضوع المسيطر في هذا الإصحاح فهو الهزيمة الحاسمة للشيطان. لقد هُزِم في محاولته العنيدة أن يلتهم الطفل يسوع، الذي اختُطف إلى الله. و هُزم الشيطان في المعركة الروحية التي انخرط فيها، وطُرح على الأرض. وهُزم في محاولاته تدمير المرأة

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

التي أنقذها الله. وعلى الرغم من أن انتصار المسيح كان حاسماً على الصليب، فقد أُعطي شعب الله طريقاً للدخول فيه بأنفسهم. وكتب يوحنا قائلاً: «**وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت**» (الآية ١١).

الوحش الطالع من البحر

الرؤى الثلاث الواردة في (رؤيا يوحنا ١٢)، تركت التنين واقفاً لوحده على شاطئ البحر (١٣: ١٠). ولكنه لم يبق لوحده طويلاً. فقد انضم إليه ثلاثة من حلفائه، وتم تقديمهم لنا الواحد تلو الآخر. وقد دُعوا «الوحش الطالع من البحر» و«الوحش الطالع من الأرض»، و «بابل» الزانية العظيمة. ويبدو أنهم يتنكرون في تقليد شيطاني للثالوث الأقدس. ولعلهم كانوا جميعاً يمثلون مدينة روما والإمبراطورية الرومانية، ولكن من ثلاثة وجوه مختلفة.

أولاً: الوحش الطالع من البحر يمثل روما كقوة تمارس الاضطهاد (١٣: ١- ١٠). **ثانياً**: الوحش الطالع من الأرض يمثل روما كنظام وثني (١٣: ١١- ١٨)، مع إشارة خاصة إلى عبادة قيصر. وهذا الوحش سُمي أيضاً بعد ذلك «**النبي الكذاب**» (١٦: ١٣، ١٩: ٢٠، ٢٠: ١٠). **ثالثاً**: بابل الزانية تمثل روما من ناحية تأثيرها المفسد (١٤: ٨). وكتب ريتشارد بوكهام، إن هذه صور لقوة روما على القمع، وعبادة الإمبراطور، وحضارة روما الفاسدة المفسدة.

وكان اليهود ينتابهم دائماً خوف من البحر. وكان يبدو لهم أنه استمرار للتشوش البدائي، بل ورمز للعداوة لله. وضجيج الشعوب كضجيج البحر (إشعياء١٧: ١٢). وعلى ذلك، فإن وحشاً طالعاً من البحر كان بالنسبة لهم يمثل رعباً شديداً. وكان لهذا الوحش عشرة قرون عليها عشرة تيجان، كانت ترمز بطريقة غير عادية إلى قوة إمبريالية، وله سبعة رؤوس، ربما ترمز إلى التلال السبعة التي بُنيت روما عليها (١٧: ٩). كما كانت له ملامح وحشية تمثل شبه نمر، ودب، وأسد. في حين أنه في (دانيال

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٧ : ٣ـ الخ) تمثل هذه السمات ثلاث قوى عالمية متعاقبة، أما هنا في سفر الرؤيا، فقد جُمعت في واحد، لتشير إلى شراسة الوحش المتناهية ولكن الأمر الذي له أهمية خاصة هو أن التنين أعطى للوحش «**قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً**» (الآية٢) .

وثمة معلومة غريبة، وهي أن الوحش له على أحد رؤوسه السبع جرح مميت، ولكنه على الرغم من ذلك كان قد شُفي. ولعل أفضل تفسير لهذا هو أنه كان يمثل نيرون، الذي انتحر سنة ٦٨م، غير أنه ـ طبقاً لإحدى الأساطير ـ أنه نجا أو عاد للحياة ثانية، الأمر الذي تحقق مجازياً عندما استأنف خليفته دوميتيان سياسته. وعلاوةً على ذلك، فإن هذه الأحداث كانت تقليداً ساخراً لموت المسيح وقيامته ومجيئه الثاني.

أما بقية الفقرة التي تتناول الوحش الطالع من البحر، فتركز على استخدامه واستغلاله لسلطته. ولقد عبد الناس التنين لأنه أعطى سلطانه للوحش. ولكنهم عبدوا الوحش أيضاً. ولمدة اثنين وأربعين شهراً (طوال عمر الكنيسة) كان الوحش يمارس تجديفه وافتراءاته، كما أنه أُعطي سلطاناً لاضطهاد الكنيسة، بل والواقع أن كل سكان الأرض ـ إلا من كانت أسماؤهم مسجلة في كتاب الحياة الخاص بالخروف المذبوح قبل خلق العالم ـ سيعبدون الوحش. وهذا السيناريو يُعد تحدياً لشعب الله، يدعوهم للتحمل، والأمانة، وأن يرفضوا أي تهاون بالنسبة لإيمانهم.

الوحش الطالع من الأرض

الوحش الذي طلع من الأرض يبدو مختلفاً تماماً عن الوحش الأول. وبدلاً من أن تكون له عشرة قرون عليها عشرة تيجان، وسبعة رؤوس (إظهار مؤثر للقوة)، فقد كان متواضعاً للغاية، فلم تكن له سوى رأس واحدة وكان قرناه يشبهان قرني الخروف، ومتنكراً في شكل خروف ليكون شبه الخروف الذي هو المسيح. وفي الوقت ذاته، كان صوته كصوت التنين ورهيباً مثله، أو لعله «كالتنين» الذي كان يمثله.

وكانت خدمته اكثر أهمية من مظهره. ولم يكن له أي دور مستقل. وبدلاً من

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ذلك، فإذ تسلم سلطاناً من الوحش الأول، فإن خدمة هذا الوحش الثاني هي تماماً خدمة الوحش الأول، والذي يبدو أنه كان خاضعاً له تماماً. والوحش الثاني:

(١) جعل سكان الأرض يعبدون الوحش الأول.

(٢) يمارس السحر نيابةً عن الوحش الأول، حيث يخدع سكان الأرض (انظر متى ٢٤ : ٢٤).

(٣) لقد أمر الشعب بإقامة صورة أو تمثال تمجيداً للوحش الأول.

(٤) أُعطي قدرة على أن يجعل صورة الوحش الأول تتكلم، وأن يأمر بقتل أولئك الذين رفضوا السجود لصورة الوحش.

(٥) وأجبر الجميع صغاراً وكباراً على أن تُصنع لهم سمة الوحش حتى لا يستطيع أحد الشراء أو البيع بدونها.

أما بالنسبة لاسم الوحش، وعدد اسمه، فمن المؤكد أن هذا يتطلب «حكمة»، وقد تولدت عنه بدع كثيرة ـ فإذا كان الوحش يرمز بالفعل لشخصية تاريخية، فهناك ما يقرب من الإجماع بين الباحثين بالنسبة للشخصية التي يرمز إليها، وهي أنه يرمز إلى نيرون، بالنظر إلى أن الاسم العبري «لنيرون قيصر»، الذي إذا حُول إلى أعداد يكون الرقم الإجمالي هو ٦٦٦. لكن الأعداد في سفر الرؤيا كلها تقريباً رمزية. ولذلك أشير إلى أنه بالنظر لأن الرقم٧ هو الرقم الكامل، فإن الرقم ٦ أقل منه وهو يرمز إلى عدم الكمال. وعلاوةً على ذلك، ذكر ج.ك.بييل: إن التكرار الثلاثي للرقم ٦ يشير إلى شدة عدم الكمال والفشل....أو، وبمزيد من البساطة، يشير الرقم ٦٦٦ إلى اكتمال النقص الخاطئ.

وبرغم ذلك، إذا كانت هذه هي هوية الوحش الأول، فمن هو الوحش الثاني الذي يخدم الأول بخضوع تام؟ وأفضل تخمين هو أنه رئيس كهنة مقاطعة آسيا، الذي كان مسئولاً عن العبادة الإمبراطورية ويترأس طقوسها. وهكذا أعطى التنين سلطانه للوحش الأول (١٣ : ٤)، الأول أعطى سلطانه للثاني (١٣ : ١٢) وطلب الثاني من الجميع أن يعبدوا الأول.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ومن المتيقن أن عبادة الإمبراطور، إلى جانب الضغط الرسمي لقبولها، تشكل خلفية الكثير من الفقرات في سفر الرؤيا. على الرغم من أن (الآيتين ١٤و١٥) لابد وأنهما تتضمنان كل عبادات وثنية بدلاً من عبادة الله، وإشارتها المباشرة بالأكثر إنما هي إلى عبادة الإمبراطور، بذكرها إقامة تمثال لتمجيد الوحش، وتوقيع عقوبة الإعدام لأولئك الذين يرفضون ذلك.

وفي سنة ٢٩ق.م تقريباً، سمح الإمبراطور أغسطس (الذي استمر في الحكم حتى سنة ١٤م) بإقامة هذه العبادة في آسيا الصغرى، وذلك بإقامة هيكل تمجيداً له في برغامس. ومع نهاية حكمه كانت عبادة الإمبراطور قد ازدهرت في أربع وثلاثين مدينة. وواصل طيباريوس خليفته هذه العبادة لكن الإمبراطور دوميتيان (٨١-٩٦م) هو الذي وصل بهذه العبادة إلى ذروتها. فقد سمح بإقامة تمثال ضخم له في أفسس تمجيداً له. بل إنه أصر على اعتباره إلهاً، وكان يتباهى بأنه يُدعى «سيداً» و «إلهاً». وبنفس القدر من الغطرسة، أملى خطاباً دورياً يبدأ بعبارة: «يأمر سيدنا وإلهنا...»، وبذلك جرت العادة منذ ذلك الحين بعدم مخاطبته إلا بهذه الصيغة سواءً كتابةً أو شفاهةً.

أما الاحتفالات الرئيسية للعبادة، فكانت تُقام في عيد رأس السنة، الذي كان يوافق يوم مولد الإمبراطور، ويتسم بزيارة شخصية يقوم بها هو نفسه. وكان الضغط يُمارس في هذه المناسبات من أجل أن يشترك الجميع في الاحتفال. وفي إحدى رسائله للإمبراطور تراجان، كتب بلينى الصغير (سنة ١١٢ تقريباً) يشرح كيف أنه قام بالإفراج عن مسيحيين «قدموا التبجيل ببخور وخمر لصورتك التي أمرت بتقديمها، وعلى وجه الخصوص لأنهم لعنوا المسيح»... وعلى الرغم من ذلك، فإن مسيحيين آخرين ممن رفضوا الخضوع، دفعوا ثمناً لشجاعتهم مثل أنتيباس برغامس (٢: ١٣)، والأسقف بوليكارب في سميرنا، الأمر الذي أشرنا إليه قبلاً.

بابل الزانية

إذا كان أول حليفين للتنين هما الوحش الطالع من البحر والوحش الطالع من

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الأرض، فالحليف الثالث كانت بابل «المدينة العظيمة»، والتي صُورت كزانية كبيرة. وقد جاء ذكرها هنا بطريقة عابرة فقط (١٤ : ٨)، حيث كان سقوطها متوقعاً بسبب «خمر غضب زناها». ولكنها وُصفت بمزيد من التفصيل في (الإصحاحين ١٧و١٨). إن حلفاء التنين الثلاثة في ذلك الحين، حين كان يوحنا يكتب هذا ـ كانوا: روما التي تضطهد المسيحيين (الوحش الأول)، روما عابدة الأوثان (الوحش الثاني أو النبي الكذاب)، روما الغاوية (بابل الزانية).

وهكذا «**فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات**» (أفسس٦ : ١٢). ويتيح لنا سفر الرؤيا أن نختلس النظر خلف المشاهد ونرى استراتيجية الشيطان الخبيثة. وبوسعنا أن نراه في الإصحاحات الأولى من سفر الأعمال، وهو يستخدم نفس الأسلحة الثلاثة. **أولاً**: حاول سحق الكنيسة بالقوة. **ثانياً**: حاول إفساد الكنيسة برياء حنانيا وسفيرة. **ثالثاً**: حاول أن يضل الكنيسة بتعليم كاذب، وبجعل الرسل ينشغلون عن خدمتهم للكلمة، وبذلك يعرض الكنيسة للهرطقة. ومازال الشيطان حتى يومنا هذا يشن هجماته على الكنيسة بنفس هذه الأسلحة الثلاثة ـ من الناحية البدنية (الاضطهاد)، الأخلاقية (التهاون) والفكرية (تعليم كاذب).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٧ـ المسيح واقف على جبل صهيون مع مفديه
(رؤيا ١٤: ١ـ١٥: ٤).
البديل الجذري (الراديكالي): الخلاص والدينونة

الخروف والمئة وأربعة وأربعون ألفاً (١٤: ١ـ١٣)

يقدم لنا يوحنا الآن فترة أخرى من فتراته الفاصلة المريحة. وسيكون من الصعب معرفة تناقض أشد من التناقض الذي يصفه بين (الإصحاحين ١٣و١٤). ويشعر المرء براحة هائلة وهو ينتقل من التنين ووحشه الأول الذي يسكن البحر العاصف، إلى الخروف الذي يقف على أرضية راسخة ومقدسة، ومن الاضطهاد والتهديد بالاستشهاد، إلى الشعور بالأمن على جبل صهيون، ومن عدم الاكتمال للرقم ٦٦٦ إلى اكتمال العدد ١٤٤٠٠٠، ومن أولئك الذين قبلوا سمة الوحش على جباههم (١٣: ١٦)، إلى الذين كُتبت على جباههم اسم الخروف واسم أبيه.

يستمع يوحنا الآن إلى بعض الموسيقى الرائعة، والتي يشبهها بصوت الشلال الغزير أو دوي الرعد الشديد، وكان الصوت الذي سمعه كصوت منشدين على القيثارات يضربون بقيثاراتهم، وكانوا ينشدون ترنيمة جديدة أمام عرش الله. ولم يعرف أحد كلمات الترنيمة سوى المئة والأربعة والأربعين، وربما كانوا يحتفلون بانتصار الخروف.

أما بالنسبة للمئة والأربعة والأربعين، فقد أطلق عليهم يوحنا وصفاً خماسياً:

(١) «**اشتُروا من الأرض**»**بدم الخروف**» (٥: ٩).

(٢) أطهار لم يتنجسوا مع النساء، (ولا يعني بهذا أن العزوبية من الناحية الأخلاقية أسمى من الزواج)، بل إنهم كانوا أمناءً للمسيح كعروسه البكر.

(٣) «**يتبعون الخروف أينما ذهب**» حتى إلى الآلام والموت (مر٨: ٣٤).

(٤) «**اشتُروا من بين الناس باكورة لله وللخروف**». وعلى ذلك فقد كانوا مجرد البدايات، وسيتبع ذلك الحصاد الكامل (الآيات ١٤ـ١٦).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

(٥) كانوا على سلامة إيمانهم لم يلوثهم زيف أو رياء.

وهكذا ونحن متأكدون من المصير الآمن لشعب الله من المفديين، أصبحنا مستعدين لسماع الرسالات التي جاء بها الملائكة الثلاثة الواحد تلو الآخر. والأمر الجوهري بالنسبة لخدمتهم، هو الاعتقاد بأنه «قد جاءت ساعة دينونته [دينونة الله] (الآية٧)، وجاء وقت التمحيص أو الفصل (المعنى الأساسي لكلمة keisis) بين الحقيقي والزائف».

الملاك الأول بشر بالإنجيل، الذي يصفه يوحنا بأنه «بشارة أبدية» من ناحية صلاحيته وشمولية مجاله «كل أمة وقبيلة ولسان وشعب». وتضمنت بشارته نداءً لسامعيه أن يستجيبوا، وأن يخافوا الله ويعطوه مجداً وأن يعبدوا الخالق.

والملاك الثاني يعلن إعلاناً مسبقاً بسقوط بابل، مؤكداً يقينية هذا الحدث المستقبلي بواسطة ما يُسمى «أسلوباً نبوياً بزمن الماضي البسيط». وقد استحقت بابل هذا المصير لأنها أسكرت الأمم بزناها.

وأصدر الملاك الثالث تحذيراً بصوت عال لكل من يعبد الوحش وصورته (بدلاً من الخالق)، أو الذين يقبلون سمته. فهؤلاء سيشربون خمر غضب الله. وسوف يُعذبون في حضور الخروف والملائكة، ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الأبدين، ولا تكون لهم راحة نهاراً وليلاً. وإني لا أعتقد أن السؤال المقلق ما إذا كانت طبيعة جهنم هي عذاب أبدي محسوس، أم محو أبدي نهائي، يمكن الإجابة عليه بمجرد اللجوء إلى هذه العبارات. لأننا، **أولاً**: في حاجة لنذكر أنفسنا باستمرار بأن مضمون سفر الرؤيا هو رؤيا رمزية وليس حقيقة واقعية. وعلاوةً على ذلك، فإن جوهر جهنم هو الانفصال عن الله، في حين أن هذه العبارات تتحدث عن عذاب «أمام الخروف». والأمر الواضح هو أن جهنم هي هلاك أبدى، أياً كانت الطبيعة الدقيقة لهذا الهلاك، وأنه لن يكون هناك راحة منها.

ويضيف يوحنا قائلاً إن هذه التحذيرات الموجهة لغير التائبين تشكل دعوة إلى «**صبر القديسين... الذين يحفظون وصايا الله وإيمان يسوع**» (الآية١٢). وقد تمت طمأنتهم بتبريرهم النهائي إذا كانوا ممن «**يموتون في الرب**» سواءً في الاستشهاد أو لأسباب طبيعية،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

فإنهم «يطوبون» حقاً (الآية١٣)، لأنهم «**يستريحون من أتعابهم**» (على النقيض من الأشرار الذين لن تكون لهم «راحة»)، «**وأعمالهم تتبعهم**»، وتشهد لأمانتهم.

الحصاد والكرمة (١٤: ١٤-٢٠)

لقد استخدم يسوع نفسه التشبيه المجازي بالحصاد لتوضيح الحقائق الروحية. فالكرازة تجني محصولاً (متى٩: ٣٧،يوحنا٤: ٣٥-٣٨)، وعمل المسيح هو أن يجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه (متى٣: ١٢). والدينونة في اليوم الأخير تتضمن فصل الزوان عن الزرع الجيد (متى ١٣: ٣٧-٣٩).

والفقرة التي نحن بصددها الآن تقسم الدينونة الأخيرة إلى قسمين. حيث يظهر شخصان مع كل منهما منجل حاد (الآيتين ١٤و١٧). ويتلقى كل منهما أمراً بصوت عظيم بأن يأخذ منجله ويحصد (الآيتين١٥و١٨). ومن الجلي أن الجزء الثاني هو محصول الكرم، الأمر الذي ينتهي بأن يُلقي الكروم إلى «معصرة غضب الله العظيمة» (الآية١٩). وعلى ذلك، ليس بوسعنا سوى أن نخمن أن الجزء الأول هو حصاد الحنطة وهو يمثل جميع المؤمنين الأبرار. ففي إحدى الحالتين، نجد أن «حصاد الأرض قد نضج» (الآية١٥)، وفي الأخرى «عنبها قد نضج» (الآية١٨). والحالتان تم الجمع بينهما في (يوئيل ٣: ١٣).

والحاصد الأول شبه ابن إنسان، على رأسه إكليل من ذهب، وجالس «على السحابة». ومن المؤكد أنه المسيح الرب في مجيئه الثاني. وليس لنا أن نستاء من أنه أُعطى أمراً قاطعاً أن يرسل منجله ويحصد، لأن الأمر صدر عن ملاك جاء من الهيكل، أي أنه جاء برسالة من الله الذي أعطى كل الدينونة ليسوع (يوحنا٥: ٢٢،أعمال١٧: ٣١،رومية٢: ١٦). فقد استخدم منجله «فحُصدت الأرض» (الآية١٦).

وقد تلقى الحاصد الثاني أمراً مماثلاً: «أرسل منجلك الحاد واقطف عناقيد كرم الأرض» (الآية١٨). وأُلقي الكرم عندئذ «إلى معصرة غضب الله العظيمة» وديس بعد ذلك بالأقدام. ومنظر الدم وهو يرتفع إلى أربعة أقدام تقريباً، ويمتد إلى ١٦٠٠غلوة (أكثر من ١٨٠ ميلاً) يعُد

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

مشهداً مروعاً، ويحتاج منا بالطبع إلى أن نفسره لا أن نتخيله. ولقد كتب ج.إ.لاد يقول: «الفكر واضح، دينونة أساسية تسحق كل ذرة للشر والعداوة لملكوت الله». أما د. ليون موريس فيفضل فهماً يتسم بمزيد من الرمزية لمسافة الألف والستمائة غلوة. «ومن بين التفسيرات المقترحة، ولعله أحسنها هو التفسير الذي يرى رقم ١٦٠٠ كنتاج ضرب ال١٦ (مربع٤، وهو عدد أركان الأرض التي هي مقر الأشرار) والمئة (مربع العدد عشرة، وهو عدد الكمال). وعلى ذلك فإن الدم الذي يمتد إلى ١٦٠٠ غلوة يرمز إلى الدينونة الكاملة لكل الأرض وهلاك الأشرار».

وهنا أيضاً لا يمكن إلا أن يتولد فينا الانطباع بأن المسيح الذي لا مثيل له موجود في قلب كل رؤيا. فإننا في بداية (الإصحاح ١٤) نراه كالخروف الواقف على جبل صهيون، في حين أننا في نهاية الإصحاح نراه جالساً على سحابة باعتباره ابن الإنسان ومنجله في يده. في الرؤيا الأولى يضمن سلامة شعبه المفدي، وفي الأخيرة يقوم بعمله كديان في اليوم الأخير، يفصل بين الحنطة والزوان.

ترنيمة موسى وترنيمة الخروف (١٥: ١ـ٤)

قبل أن يصف يوحنا انسكاب جامات غضب الله السبع، والتي ستذكرنا بالضربات التي لحقت بالمصريين، يقدم تشابهاً رائعاً بين خروج إسرائيل من مصر، والفداء الذي حققه المسيح. وكما تجمَّع بنو إسرائيل عند البحر الأحمر، بعد انتصارهم على فرعون، هكذا يرى يوحنا أيضاً جماهير غفيرة من الشعب واقفين إلى جانب ما بدا وكأنه بحر من زجاج ونار، وقد انتصروا على الوحش وصورته. أي أنهم قاوموا الضغوط التي مارسها عليهم مضطهدوهم، ورفضوا السجود لقيصر.

وكما أمسكت مريم أخت موسى وهارون بدفها للاحتفال بانتصار الله، هكذا فعل المنتصرون من شعب الله، فقد استخدموا القيثار في احتفالهم. وكما أن موسى ومريم ترنما بترنيمة حمد لله (خروج١٥)، هكذا نجد أن ترنيمة موسى (منتصر العهد القديم) أصبحت ترنيمة الخروف (منتصر العهد الجديد)، هي ترنيمة حمد لعظمة الله وعدالة طرقه. وبالنظر إلى أنه هو فقط قدوس (فريد)، فمن الصواب أن يُقدم له المجد. والواقع أن جميع الشعوب ستعبده لأعمال بره التي أُعلنت.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٨ ـ المسيح يأتي كلص في الليل

(رؤ١٥ : ٥ ـ ١٩ : ١٠)

الدعوة للاستعداد

في (منتصف الإصحاح ١٦)، وفجأة ودون توقع، ودون أن تكون هناك صلة بالآيات التي سبقتها أو التي تلتها، يقطع يسوع القصة بأقوال بصيغة الكلام المباشر. وباستخدام ضمير المتكلم للمفرد، ويخاطب على ما يبدو كل إنسان وأي إنسان يريد أن يسمع، فنراه يصرخ قائلاً: « ها أنا آتي كلص. طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عريه »

وهذه بالطبع، ليست المرة الأولى التي يُستخدم فيها التشبيه المجازي باللص. والواقع أن يسوع نفسه استخدمه أثناء خدمته للجموع، حيث قال: « **واعلموا هذا لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر... لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان** » (متى٢٤ : ٤٣ـ ٤٤).

ولو كان اللص يكرمنا بأن يتفضل ويبعث لنا مقدماً بإخطار (والأفضل أن يكون بالبريد الإليكتروني e_maile!!) يخطرنا فيه باليوم والساعة التي ينوي زيارتنا فيها، في هذه الحالة سنكون مستعدين. غير أن العكس هو الصحيح، ذلك أنه يأتي بغتة ودون توقع، كلص في منتصف الليل.

وهذا التدخل المفاجئ ليسوع، في منتصف ما كان يذكره يوحنا عن سكب جامات غضب الله، يبدو لي أنه خلفية مقصودة لهذه الإصحاحات. ويقول بعض المعلقين إن كلمات يسوع لكنيسة ساردس « أقدم عليك كلص » (٣ : ٣)، كانت تشكل تحذيراً بأنه آت ليتعامل مع شئون الكنيسة، ولعل الأمر كان هكذا. غير أن الأمر المتيقن أنه

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

في (رؤيا١٦ : ١٥) كان يشير إلى مجيئه الثاني في اليوم الأخير.

وفي (الإصحاح ١٦)، يصف يوحنا الجامات. وفي (الإصحاحين ١٧و١٨)، تم التعريف ببابل ثم أُهلكت. وفي (مستهل الإصحاح ١٩)، ترنمت جوقة سمائية ضخمة بتهليلاتها: (الآيات١- ١٠). وفي النهاية يظهر المسيح في موكب انتصار وهو جالس على فرس أبيض (الآيات١١- ١٨) في قوة ومجد عظيم، تتبعه أجناد السماء حيث كان مقدراً له أن يحكم الشعوب. ثم إنه في (١٩ : ١٩- ٢٠) يتم أولاً إهلاك الوحشين ثم التنين (وكانت بابل قد لقيت مصيرها المشئوم من قبل)، وتتم إدانة البشر أجمعين الأحياء منهم والأموات. والموضوع المسيطر على هذه الإصحاحات هو الدينونة الأخيرة بواسطة المسيح الذي عُيِّن دياناً. ولكن متي سيحدث هذا؟ الدينونة مؤكدة، لكن اليوم غير معلوم. ولقد تُركنا في حالة ترقب دائم، نتذكر قول يسوع: « ها أنا آتي كلص »

الجامات السبعة (١٥ : ٥-١٦ : ٢١)

هناك مفتاح هام لفهم (الإصحاحين١٥و١٦) نجده في عبارتين. **أولاً**: على أساس العبارة الافتتاحية للإصحاح ١٥، رأي يوحنا « سبعة ملائكة معهم السبع الضربات الأخيرة » - وهي أخيرة لأن بها يكون غضب الله قد تم. **ثانياً**: بعد سكب الجام السابع جاء صوت عظيم من عرش الله وهو يقول صارخاً « قد تم » (١٦ : ١٧). ولكونه فعلاً يونانياً واحداً جاء بصيغة المضارع التام، فهو يشير إلى أن عمل الله في الدينونة، قد تم إلى النهاية وإلى الأبد. « تم » و« عُمل ». وهذان هما الفعلان المهمان والمحذران. فالدينونات السابقة (الختوم والأبواق) كانت دينونات جزئية، أما دينونات الجامات فهي دينونات حاسمة نهائية. ويمكن التعبير عن هذا على النحو التالي: عين الإيمان ترى في فتح الختوم إرادة الله المتسامحة، وفي التبويق بالأبواق غرض الله الإصلاحي، وفي سكب الجامات عدل الله العقابي.

وفي رؤيا يوحنا التمهيدية (١٥ : ٥-٨) رأى الهيكل قد انفتح في السماء، وهذا معناه أن ظهور الملائكة السبعة كوكلاء للدينونة كان بموافقة من الله. وقد امتلأت جاماتهم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

السبعة بغضب الله، وكان الهيكل ممتلئاً بمجده، حتى لا يستطيع أحد دخوله إلا بعد انتهاء الدينونة.

والجامات الأربعة الأولى مثل الأبواق الأربعة الأولى (٨: ٦- ١٢) جاءت بنفس ترتيب الأهداف على الأرض: البحر، الأنهار والينابيع، والشمس. والفرق الرئيسي هو أن الأبواق لم تهلك سوى ثلث كل ناحية من نواحي الخليقة، في حين أن الجامات دمرت كلاً منها تماماً. وعلى الأرض، عانى الناس من «دمامل خبيثة وردية»، وتحول البحر والأنهار وينابيع المياه إلى دم، ولذلك ماتت كل الكائنات الحية التي فيها، ثم إن الشمس أحرقت الناس احتراقاً عظيماً كما لو أنها نار.

والحديث عن الأرض والبحر والمياه والشمس، له رنين حديث في أيامنا هذه التي تتسم بحساسية نحو البيئة. ونحن نهتم بالتنوع البيولوجي للأرض، والعوالق بالمحيطات، وتوافر المياه النقية، والمحافظة على طبقة الأوزون لحمايتنا من الإشعاعات ونتائجها الضارة. وهذه الأولوية التي أُعطيت للحياة على كوكب الأرض كانت إعداداً ضرورياً أيضاً للتجديد الآتي بالنسبة لكل الأشياء. وكما ذكر الأسقف بول بارنيت إن تدمير «السموات العتيقة والأرض العتيقة» قد تم الآن، كما تمّ إفساح الطريق لخليقة الله الجديدة.

وانسكاب الجام الخامس قذف بمملكة الوحش إلى الظلام وبالتالي إلى الفوضى، الأمر الذي تسبب في آلام فظيعة للبشر. وعلى الرغم من ذلك مازال الناس يرفضون التوبة (ذُكر ما يفيد ذلك في الآيتين٩و١١). وعلى غرار فرعون، الذي عانى من خمس من الضربات التي وُصفت هنا (دامل، دماء، ظلام، ضفادع، وبرد)، فقد قسوا قلوبهم، وقد أصبح الوضع الآن متأخراً جداً. وبدلاً من أن يمجدوا الله، جدفوا عليه.

أما محتويات الجام السادس فقد صُبت على نهر الفرات، الأمر الذي سبق أن فهمناه على أنه رمز للقوات المضادة لله على الجبهة الشمالية الشرقية للإمبراطورية الرومانية. وبتجفيف النهر، أصبح الطريق مفتوحاً للتعرض للغزو من ملوك الشرق. وعند هذه النقطة ظهرت ثلاثة أرواح شريرة تشبه الضفادع من ثلاثة أفواه (فم التنين، وفم الوحش، وفم النبي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الكذاب). وربما يمثلون أكاذيب الدعاية التي بواسطتها حشد ملوك العالم كله من أجل المعركة «لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء».

ولئلا ينزعج شعب الله دون داع نتيجة تكتل جيوش غير المؤمنين، فإن هذا هو الوقت الذي يتدخل فيه يسوع بنفسه ويصيح قائلاً: «ها آنا آتي كلص». وينبغي على شعبه أن يظلوا ساهرين حافظين ثيابهم ومستعدين» (الآية١٥).

ويعود يوحنا إلى موضوع احتشاد الملوك، وتجمعهم في المكان الذي يُدعى بالعبرانية «هرمجدون» (الآية١٦). وهذه كلمة أخرى، على الرغم من استعمالها الشائع بأنها تعني معركة كارثية،إلآ أنها تسبب للمفسرين صعوبة كثيرة. فليس من المعروف كيفية هجائها على نحو مؤكد، أو معرفة موقعها وتفسيره. ولكن كثيرين يعتقدون أنها مشتقة من «مجدو»، فهى موقع استراتيجي شمالي فلسطين، والذي شهد الكثير من المعارك القديمة. وعلى الرغم من ذلك، فهذا ليس حرفياً. فهي ترمز إلى المعركة النهائية بين الخروف والتنين، بين المسيح وضد المسيح. ذلك أن المسيح سيأتي في قوة ومجد عظيم ويهزم قوى الشر ويبيدها.

وبما أن نتائج كل من الختوم والأبواق انتهت بالذروة المتمثلة في المجئ الثاني للمسيح، كان هذا ما فعلته عواقب الجامات أيضاً. فقد صاح صوت عظيم من الهيكل قائلاً: «قد تم». هناك إضطراب طبيعي رهيب (تضمن رعوداً، بروقاً، وزلازل رهيبة) يشير إلى النهاية. ولم يسبق أن حدث من قبل زلزال كهذا. ثم إن بابل المدينة العظيمة وغيرها من مدن أخرى كثيرة ملحدة انهارت في دمار عظيم. وقد اختفت جزر وجبال عاتية، وسقط بَرَد ضخم يزن ما يقرب من مائة رطل، جعل الناس يجدفون على الله.

هوية بابل (١٧: ١ـ١٨)

إلى هنا، ذُكرت «بابل» من قبل مرتين. في (١٤: ٨) أُعلن فجأة سقوط بابل، دون تحذير. «سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة». وفي (١٦: ١٩)، نتيجة انسكاب الجام

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

السابع نقرأ «وبابل العظيمة ذُكرت أمام الله ليعطيها كأس خمر سخط غضبه»، و «صارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام». وهكذا تشير كلتا الآيتين إلى أنها دُمرت نتيجة دينونة الله، ولكن لم تذكر لنا أي من الآيتين ما كانت ترمز إليه بابل.

وهكذا نجد الآن أن إصحاحين كاملين خُصصا للحديث عن ظاهرة «بابل». ويعُرفها لنا (الأصحاح١٧)، في حين أن (الأصحاح ١٨) يصف وبشكل نابض بالحياة ما لحقها من دمار وخراب.

وتعريف هوية بابل ندين به لأحد الملائكة السبعة الذين تطوعوا لتعليم يوحنا. فقد قال له: «هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة» (الآية١). وبعد ذلك قال له: «أنا أقول لك سر المرأة...» (الآية٧). والوعد الأول للملاك تحقق في الآيات (من ١-٦)، فيما أنه نتيجة ما أراه الملاك ليوحنا، قال ثلاث مرات: «رأيتُ... رأيتُ... رأيتُ...» وبعد ذلك تحقق الوعد الثاني للملاك في (الآيات من ٧-١٨)، حيث قال ليوحنا خمس مرات: «رأيتَ...رأيتَ...رأيتَ...» واستطرد يشرح له معنى ما رآه.

ومن المفترض أن يوحنا قَبِلَ عرض الملاك، وعلى ذلك حمله الملاك «بالروح» (في حالة استعداد للوحي) «إلى برية»، ولاريب أنها كانت البرية التي لجأت إليها الكنيسة المضطهدة (١٢: ١٤).

أولاً: لنتأمل ما الذي أراه الملاك ليوحنا (الآيات ٣-٦) يقول يوحنا: «فرأيت امرأة» مختلفة تماماً عن المرأة التي اضطهدها التنين (لأن هذه المرأة كانت هي التي تشن الاضطهاد ولم تكن هي التي تتعرض له) والمرأة التي رآها كانت جالسة على وحش قرمزي (يعرف للوهلة الأولى بأنه الوحش الطالع من البحر). وكانت جالسة عليه لأن روما التي تشن الاضطهاد، وروما الزانية (عنف ورذيلة)، كانتا مرتبطتين معاً تمام الارتباط. والواقع، أن الحضارة الرومانية، كتأثير مفسد، تركب على ظهر القوة العسكرية الرومانية. وكان الوحش مغطى «بأسماء تجديف» (منخرط تماماً في عبادة الإمبراطور)، في حين أن رؤوسه السبعة وقرونه العشرة كانت تؤكد هويته (١٣: ١).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أما بالنسبة للمرأة نفسها، فقد كانت ترتدي الأرجوان والقرمز وتتزين بجواهر متلألئة، وبيدها «كأس من ذهب» مملؤة برجاسات ونجاسات زناها. وعلى جبهتها اسم مكتوب يعلن أنها «بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الأرض». والآن يقول يوحنا في تعاقب سريع: «رأيتُ...رأيتُ...». لقد رأى المرأة سكرى بدم الشهداء. ولقد دُهش لما رآه. وهنا أيضاً جاء الملاك لمساعدته.

ثانياً: لنتأمل ما شرحه الملاك ليوحنا (الآيتين٧و٨). الملاك يتكلم طوال هذا الجزء، وذكّره خمس مرات بما رآه وشرحه له.

الوحش الذي رأيتَ (الآية ٨) فضلاً عن أن المرأة ركبته، وأن له سبعة رؤوس وعشرة قرون «كان وليس الآن، وهو عتيد أن يصعد من الهاوية ويمضي إلى الهلاك». وهذه المراحل الأربع في سيرة الوحش قد تكون إشارة إلى نيرون بأنه وُلد من جديد، وهو السابق ذكره في (١٣: ٣). وطبقاً لهذه الأسطورة، فإن نيرون الذي كان، وليس الآن (لقد انتحر)، سوف يبُعث ثانية (سواءً حرفياً على رأس جيش) أو رمزياً (في سياسات دوميتيان) ولكنه سيُدمر. ولكن هذا هو أيضاً مجرى الشر- نشيط من البداية، ويبدو أحياناً أنه مات، ولكنه يعيد تأكيد نفسه، ولكنه في النهاية يُدمر.

وبعد ذلك، نجد أنفسنا أمام لغز آخر، يتطلب أيضاً «الذهن الذي له حكمة» (الآية٩). ورؤوس الوحش السبعة هي سبعة تلال (ومن الجلي أنها تلك التي بُنيت روما عليها). ثم إنها أيضاً سبعة ملوك، سقط منهم خمسة، وواحد مازال موجوداً، أما السابع فلم يصل بعد. وقد اختلف المفسرون من ناحية ما إذا كان الخمسة هم أباطرة روما من أوغسطس إلى نيرون، أو (بسبب الخلفية الموجودة في نبوة دانيال)، خمس إمبراطوريات أو خمسة أباطرة من بابل القديمة (أو من مصر)، مروراً بأشور، وكلدان، مادي وفارس، واليونان إلى روما.

ويشير الملاك المفسر الآن إلى «القرون العشرة التي رأيتَ» (الآية١٢). وقيل إنهم «عشرة ملوك». ولكن بالنظر إلى أن سلطتهم في كل حالة لن تستمر سوى لساعة واحدة فقط (أي لوقت قليل جداً). فلعل الإشارة تكون بالأحرى إلى قادة بصفة عامة، أو ربما لقادة رومانيين

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بصفة خاصة. ومما يُؤسف له أن غرضهم الوحيد سيكون السجود للوحش وشن الحرب ضد الخروف. ولكن الخروف سيتغلب عليهم (لأنه رب الأرباب وملك الملوك)، وهكذا سيفعل أتباعه لأنهم «مدعوّون ومختارون ومؤمنون» (الآية١٤).

واستطرد الملاك يقول: «المياه التي رأيتَ حيث الزانية جالسة، هي شعوب العالم. ولكن «العشرة القرون والوحش» التي رأيتَ (الآية١٦) هم الذين خدموا المرأة بإخلاص سينقلبون الآن عليها، ويبغضونها ويجعلونها عريانة ويأكلون لحمها ويحرقونها بالنار. لأن الله وضع في قلوبهم أن يكونوا وسيلة دينونته لها.

وأخيراً «والمرأة التي رأيت» (الآية١٨)، هي المدينة العظيمة التي تملك على ملوك الأرض، وهي التي ترمز إليها بابل، ولكنها في الحقيقة روما، وهي جوهر العداء للمسيح وكنيسته.

سقوط بابل (١٨: ١ ـ ٢٤)

وبعد أن عُرفت هوية «بابل» بأنها روما الزانية، التى تساعدها وتغويها روما التي تضطهد المؤمنين، يواصل يوحنا في الحال وصف الإطاحة بها. وهذا لن يتحقق بشكل نهائي إلا بعد أكثر من ٣٢٠ سنة أخرى، حيث في سنة ٤١٠م، يقوم ألاريك الغوطي بنهب المدينة. وعلى الرغم من ذلك، فقد استخدم يوحنا صيغة الماضي النبوية طوال الإصحاح الثامن عشر، مؤكداً يقينية دينونة الله، كما لو أنها قد وقعت بالفعل. «سقطت سقطت بابل العظيمة» (الآية٢، كما في١٤: ٨).

وإنه لأمر مذهل حقاً أن يستطيع يوحنا التنبؤ بالإطاحة بروما على هذا النحو من التأكيد. لأن الناس كانوا يتحدثون عن روما باعتبارها «المدينة الخالدة»، وبدت الإمبراطورية حصينة منيعة، وفي ذلك الحين كتب الأسقف بول بارنيت يقول:

«كانت روما في ذروة قوتها. ولم يكن هناك أي تهديد جدّي لحدودها، ولم تكن هناك أية علامة على انتفاضة كبرى من شعوب رعاياها. وقد تم القضاء على القراصنة في

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

البحار، وعلى قطاع الطرق من المناطق الريفية. وكانت المدن الفخيمة تزين شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وفي المناطق الداخلية أيضاً. وسريعاً سيسقط دوميتيان الطاغية، وتدخل الإمبراطورية في عامها الذهبي...»

ولكن، كيف كان يوحنا متأكداً إلى هذا الحد؟ لا ريب، أنه كان من ناحية يؤمن بدينونة الله العادلة للأشرار، ومن ناحية أخرى لأن نبوات العهد القديم بسقوط بابل في تلك الأيام قد تحققت كلها (على سبيل المثال، إشعياء٢١: ٩، ١٣: ١٩). ولذلك فإن الملاك الذي أُرسل لإعلان سقوط بابل كان يتمتع ببهاء وسلطان عظيم (الآية١). بل إنه أعلن بالفعل أن دمار المدينة جعلها مأوى لشياطين ولكل روح نجس وطيور نجسة وممقوتة (الآية٢، انظر إشعياء١٣: ٢٠-٢٢، إرميا٥٠: ٣٩).

أما سبب خراب بابل، فمرده أن جميع الأمم وملوك الأرض وتجارها قد تأثروا بزناها ووفرة نعيمها (الآية٣). وتتكرر هذه التجمعات في النصف الثاني من الإصحاح.

وفي غضون ذلك، سُمع صوت آخر يدعو شعب الله للخروج من بابل حتى يتجنبوا تلوثها، ولأنهم لم يشاركوها خطاياها، فإنهم لن يشاركوها أيضاً في النكبات التي ستحل عليها (انظر إرميا٥٠: ٨، ٥١: ٦و٤٥)، لأن الله تذكر آثامها «(لأن خطاياها لحقت السماء)» (الآية٥)، وسوف يجازيها بما تستحقه بل وأكثر بسبب انغماسها التام في شهواتها فضلاً عن تكبرها. «لأن الرب الإله الذي يدينها قوي» (الآية٨).

ويستمر سماع نفس الصوت وهو يخاطب ثلاث جماعات من الأثمة الذين حزنوا لسقوط بابل، وهم: ملوك الأرض (الآيتين ٩-١٠)، «تجار الأرض» (الآيات١١-١٧/أ)، وعمال البحر جميعاً (الآيات١٧/ب-١٩). والفقرة كلها تذكرنا بالترانيم الجنائزية في العهد القديم، وعلى وجه الخصوص برثاء حزقيال لصور وصيدا (حزقيال٢٦-٢٨)، ويُختتم كل منها بكلمات النواح: «ويل ويل»، «المدينة العظيمة»، «لأنها في ساعة واحدة خربت» (الآيات١٠و١٦و١٩).

أما ملوك الأرض الذين شاركوا بابل زناها وتنعمها، سوف يبكون وينوحون لخراب

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

«المدينة القوية».

كما أن تجار العالم أيضاً سينوحون لأنهم لن يجدوا أسواقاً بعد، ولن يشتري أحد بضائعهم من الذهب والمجوهرات والملابس الفاخرة غالية الثمن، والأواني المصنوعة من العاج، والخشب والمعادن، وما إلى ذلك، كذلك التوابل والأطعمة، بل إنهم تاجروا في البشر كعبيد. ولن تكون الفواكه الخاصة التي يحبها عملاؤهم متوافرة بعد. إن عاصمتهم المالية، ستختفي بين ليلة وضحاها، ولن تقوم لها قائمة بعد ذلك. وهؤلاء التجار الذين فقدوا كل شيء، سوف يقفون من بعيد وينوحون «لأنه في ساعة واحدة خرب غنى مثل هذا». إنها صورة للانهيار الاقتصادي. وعلى ذلك، فإن أولئك الذين ينوحون لخراب بابل هم الذين كانوا يستفيدون من استغلال روما الاقتصادي لإمبراطوريتها.

وعبارة جميع عمال البحر لا تعني الربابنة والملاحين فقط، بل ويشمل ذلك أيضاً «جميع الذين لهم سفن في البحر»، وكذلك الذين يسافرون بالسفن، وأولئك الذين يكسبون رزقهم من البحر (التجار وصيادو الأسماك). هؤلاء أيضاً نجدهم وقد وقفوا من بعيد، وصرخوا إذ نظروا دخان حريقها. ثم يمتدحون تفردها وامتيازها بقولهم: «أية مدينة مثل المدينة العظيمة (الآية١٨)؟ وإذ غمرهم الحزن والأسى، فمن ثم ينوحون لأن ثراءها وأرباحهم تختفي في ساعة واحدة.

ويختتم الإصحاح الثامن عشر بالجمع بين المتناقضات: احتفال ومناحة. و(الآية٢٠) تدعو السماء والرسل القديسين والأنبياء إلى أن يفرحوا. لماذا؟ لأن الله أدان بابل بسبب طريقة معاملتها لهم. والأمر يبدو وللوهلة الأولى وكأنه تعبير عن انتقام شخصي، غير أنه لا يُوجد مبرر لتفسيرها على هذا النحو. وكما هو الحال في غالبية سفر الرؤيا (وعلى وجه الخصوص الإصحاح ١٩)، هكذا الحال هنا أيضاً، فقد دُعينا لنفرح ونحتفي بعدل إلهنا كلي البر وبدينونته.

وبعد ذلك، رفع ملاك قوي حجراً كأنه حجر رحى عظيم، وألقاه في البحر قائلاً: «هكذا تدفع وتطرح بابل المدينة العظمى فتختفي إلى الأبد». وبناءً على ذلك، فحتى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الأشياء العظيمة في حياة المدينة ستختفي معها ـ صوت الموسيقى، مهارة الصناع، الروتين الداخلي لإعداد الطعام للعائلة، وضحك العروس والعريس في سعادة. وهذه الأصوات والمناظر البريئة لثقافة البشر ـ والتي كانت تسعد المدينة ـ لن يكون لها وجود بعد، فقد انتهى أمرها إلى الأبد. ولماذا لا؟ الإجابة: بسبب غطرسة تجار بابل الذين كانوا يتباهون بعظمتهم، وبسبب لجوء بابل إلى السحر بغية خداع الأمم، ولأنها سفكت دماء الشهداء. وبسبب هذه الخطايا ستُمحى بابل من الوجود، وباختفائها سيختفي معها أيضاً كل ما هو طيب وجميل وحق. وكانت بابل في القرن الأول هي روما. لكن بابل إزدهرت عبر التاريخ وبين كل دول العالم وهي داراً للغرور أينما وجدت. ويمكن بسهولة رسم صورة لها من هذه الإصحاحات. ويبدو أن لها ستة عناصر:

(١) عبادة الأوثان (خيانة روحية،بل وزنا).

(٢) الفسق (حرفياً ورمزياً).

(٣) البذخ والترف (١٨ : ٣و٧ـ ٨).

(٤) استخدام السحر والشعوذة (رؤ١٨ : ٢٣) انظر (إشعياء ٤٧ : ١ـ ٢).

(٥) الاستبداد والقمع، الأمر الذي أدى إلى استشهاد شعب الله (١٧ : ١٨، ٦ : ٢٤، انظر إشعياء ١٤ : ٤ـ ٦).

(٦) الغطرسة بل وعبادة الذات (١٨ : ٧ ،انظر إشعياء١٤ : ١٣ـ ١٥، ٤٧ : ٧ـ الخ، إرميا٥٠ : ٣١ـ ٣٢، حزقيال٢٨ : ٢). ومازال النداء العاجل موجهاً لشعب الله أن يخرج منها لكي يتفادى التلوث بشرورها ومفاسدها.

هللويا تُرنم خمس مرات (١٩ : ١ ـ ١٠)

وعلى النقيض من السكون الذي خيم على بابل التي احترقت، سمع يوحنا ما يشبه صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً هللويا « أي سبحوا الرب ». وقد تكررت كلمة هللويا خمس مرات، إذا حسبنا ضمنها دعوة « سبحوا لإلهنا » الواردة في (الآية٥). وإلى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

جانب ذلك، فإن كلمة «هللويا» - وكما في المزامير- لم تأت وحدها إطلاقاً. فدائماً يُضاف إليها بعض الأسباب لتشرح لماذا يتوجب علينا أن نسبح الله. والسبب بصفة عامة هو أن الخلاص والمجد والقدرة هي لإلهنا، لأن أحكامه حق وعادلة.

وبرغم ذلك، فإن تسبحاتنا مردها أن الله «قد دان الزانية العظيمة» لأنها أفسدت العالم بزناها (خيانتها العظيمة)، وباضطهادها شعب الله حتى إلى الموت. وقد انتقم الله الآن لدمائهم. ولم يكونوا يحتفلون بانتقامهم الشخصي، بل احتفالاً بعدل الله. وبعد ذلك، خر الأربعة والعشرون شيخاً، والأربعة الحيوانات وسجدوا لله، مصدقين ومعترفين بعدله وذلك بقولهم «آمين هللويا» (الآية٤).

والآن يكرر يوحنا أنه سمع «كصوت جمع كثير» على الرغم من أنه أضاف هذه المرة أن الصوت ذكّره بمياه كثيرة ورعود شديدة. وكانت «هللويا» أول كلمة يقولونها (الآية٧). وهذا، بوجه عام، لأنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء. غير أن الدعوة إلى السجود هذه «لأن عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها». ودينونة الزانية واستعداد عروس الحمل جاءا في تقابل مثير. ونحن نتذكر ملابس الزانية المبهرجة، وعلى النقيض من ذلك نجد أن العروس هيأت نفسها بأن تلبسَ بزاً نقياً بهياً، وهو ما أُعطي لها. وقد أضاف يوحنا عبارة «لأن البز هو تبررات القديسين». وبدون هذا لن تكون لائقة لعريسها.

ثم طلب أحد الملائكة من يوحنا أن يكتب: «طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف». وتأثراً إما بظهور الملاك، أو نتيجة رسالته، أو بالأمرين معاً، خَر يوحنا أمام رجليه - في عمل غير مستحسن - لكي يسجد له، ولكن الملاك منعه من ذلك، وذكره بأنه عبد معه ومع إخوته الذين عندهم شهادة يسوع. وعليه أن يسجد لله وأن يتذكر أن جوهر النبوة الحقيقية هي الشهادة ليسوع.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

٩- المسيح راكباً منتصراً على فرس أبيض

(رؤيا١٩: ١١-٢٠: ١٥)

دينونة الوحش والشيطان

كتب يوحنا «رأيت السماء مفتوحة» (الآية١١). والعبارة تنبهنا إلى حقيقة أنه على وشك أن يُعطى إعلاناً إلهياً خاصاً عن المسيح، وأنه سيشركنا معه في هذا الإعلان. البداية تنفتح على فرس أبيض. ثم يُلفت انتباهنا إلى الراكب على الفرس الأبيض. كما أن أسماءه ووصفه (ستأتي فيما بعد) لا تترك لنا أي مجال للشك بأنه الرب يسوع المسيح في ملء عظمته الإلهية. والواقع، أن هذه الصورة التاسعة، وهي الصورة قبل الأخيرة له في سفر الرؤيا. وقد أُعلن لنا هنا باعتباره الديان الذي يدين بالعدل، وهو يستعد لقيادة المعركة الأخيرة ضد قوى الشر.

وصفه وأسماؤه

لنتأمل وصفه. عيناه كلهيب نار تخترقان حتى أسرار قلوب البشر. وعلى رأسه تيجان كثيرة، الأمر الذي يشير إلى سلطته العالمية. وثوبه ملطخ بالدم، الأمر الذي يشير بالتأكيد إلى أنه يحمل معه إنجازات موته الفدائي. وكانت الأجناد السماوية تتبعه، وكانوا مثله راكبين على خيل بيض ولابسين بزاً أبيضاً ونقياً (ولو أنها ليست ملطخة بالدماء). وبعد ذلك، يستخدم ثلاثة رموز من العهد القديم عن الدينونة العادلة لله القادر على كل شيء. ومن فمه يخرج سيف ماض، وهو سيرعاهم بعصا من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله العادل. ويكاد يكون من المستحيل تخيل هذه الصورة المركبة للمسيح - عيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، ومن فمه يخرج سيف، ويلوح بيده بعصا من حديد، في حين أن أقدامه تدوس المعصرة. ومع ذلك،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

فإن، هذه من الناحية الرمزية، صورة رائعة للرب يسوع المسيح في عظمته وقوته وسلطانه وعدله، آتياً لتدمير قوى الشر.

ويتوجب علينا الآن أن نتأمل أسماءه الأربعة. **أولاً**: فقد دُعي «أميناً وصادقاً» (الآية ١١) كما في رسالته إلى كنيسة لاودكية حيث أعلن نفسه «الشاهد الأمين الصادق» (٣: ١٤)، بمعنى أنه لم يتهاون إطلاقاً في ولائه لله. وعلاوةً على ذلك، وبالنظر إلى أن أمانة الله في الكتاب المقدس تتعلق بعهده ومواعيده، فأن نسمي يسوع «**أميناً صادقاً**» معناه أنه من خلال المسيح أُقيم عهد الله وأن مواعيده ستتحقق. «**لأن مهما كانت مواعيد الله فهو** [أي المسيح] **فيه النعم وفيه الأمين**» (كورنثوس الثانية ١: ٢٠).

ثانياً: للراكب على الفرس الأبيض «له اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو» (الآية ١٢). وبالنظر إلى أن أسماءنا تشير إلى هويتنا، فإن الاسم الخفي معناه هوية مخفية. ويسوع المسيح لم يعلن لنا كل ما يتعلق بشخصه. ومهما ادَّعينا أننا نعرف الكثير عنه، فلا يزال هناك الكثير مما لا نعرفه عنه. وهو وحده الذي يعرف نفسه تماماً. وفي اليوم الأخير فقط سوف نعرفه كما يعرفنا (كورنثوس الأولى ١٣: ١٢، يوحنا الأولى ٣: ٢).

ثالثاً: يدعى اسمه «كلمة الله»، وهكذا أعلن الله لنا نفسه في «كلمته» يسوع المسيح، وفي شهادة الكتاب المقدس الكاملة للمسيح. ومن المهم أيضاً أن نعرف أن ذاك الذي اسمه هو «كلمة الله» يرتدي ثوباً ملطخاً بالدم. لأنه أعلن لنا عن نفسه تماماً على الصليب في صلاحه وشدته، في محبته وعدله، حيث يبين عدله في الدينونه ومحبته في الخلاص.

رابعاً: على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: «ملك الملوك ورب الأرباب» (الآية ١٦، انظر ١٧: ١٤، تثنية ١٠: ١٧). وهذا هو أكثر أسماء المسيح إثارة وعظمة، ويذكرنا بكل تأكيد بذروة تحفة هاندل الموسيقية «المسيا». ومن السهل على ملوك الأرض وملكاتها، وأباطرتها، ورؤسائها، وغيرهم من الحكام أن يسكرهم سلطانهم وشهرتهم،

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وأن يميلوا إلى أن يصبحوا مستبدين. ولكن يسوع المسيح أرجعهم إلى حجمهم الطبيعي، لأنه رُفع إلى أسمى مكانة على الإطلاق، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط، بل وفي المستقبل أيضاً (أفسس١ : ٢٠-٢٣، فيلبي٢ : ٩-١١). فهو ملك الملوك ورب الأرباب.

هلاك وحشين:

عقب هذا الإعلان الإلهي عن المسيح بأنه راكب الفرس الأبيض، من الطبيعي أن نتوقعه يركب فرسه حتى المعركة الأخيرة. وتوقعاً لهذه الموقعة وما تخلفه من ضحايا، أصدر أحد الملائكة صرخة بصوت عظيم يطلب إلى الطيور الجارحة قائلاً: «هَلُم اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم» (الآية١٧). وهذا عشاء بديل ضخم للعشاء الآخر السابق ذكره وهو «عشاء عرس الخروف» (١٩ : ٩). والضيوف الذين دُعوا إلى عشاء عرس الخروف سينالون في الحقيقة بركة. غير أن ضيوف عشاء الله العظيم ستكون النسور وغيرها من الطيور الباحثة عن الطعام، في حين أن الطعام الذي يُقدم سيكون من لحوم البشر - لحوم الملوك والقادة والناس الأقوياء، ومن كل الناس صغارهم وكبارهم ممن (وهذا هو المفترض) قبلوا سمة الوحش (الآية٢٠).

بعد ذلك، إذا بيوحنا يرى الوحش، وملوك الأرض وأجنادهم، وقد اجتمعوا ليشنوا الحرب ضد راكب الفرس الأبيض وجنده (الآية١٩). وهكذا فقد جاءت اللحظة الحاسمة. فالجيشان الإلهي والشيطاني يواجهان كل منهما الآخر. إنها بداية معركة هرمجدون. ما الذي حدث بعد ذلك؟ لا شيء. فلم تكن هناك معركة. فالذي حدث هو مجرد «سحق كامل». ذلك أن الحقيقة هي أن المعركة سبق أن جرت بالفعل وتم كسب هذه المعركة بصليب المسيح وقيامته.

وبدلاً من ذلك، فقد حان وقت الدينونة، وتم التخلص من قوى الشر، وكان ذلك على النقيض من الصورة التي قُدمت بها. لقد سبق أن أُطيح ببابل. والآن سيتم تدمير الوحشين، وتم تأجيل مصير التنين حتى (الأصحاح ٢٠). فالوحش الطالع من البحر تم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

أسره، ومعه الوحش الطالع من الأرض، والمعروف أيضاً بأنه «النبي الكذاب»، رمز الديانة الزائفة، والمسئول عن إغراء الناس على عبادة الإمبراطور أو صورته (الآية ٢٠). وقد طُرح الوحشان حيين في بحيرة النار، وبذلك هلكا. وفي ذات الوقت علينا أن نتذكر أنهما لم يكونا من الكائنات الحية، بل كانا رمزين للاضطهاد ضد المسيحيين والعقيدة المسيحية. ويُختتم الإصحاح بصورتين مؤثرتين. **أولاً**: بقية أجناد الوحش سيتم قتلهم بواسطة راكب الفرس الأبيض، باستخدام سيف من فمه، الأمر الذي يعني أنه سيغلب الشر بكلمته. **ثانياً**: المشهد البغيض للنسور وهي تلتهم لحوم البشر، معناه أن الشر سيُهزم في النهاية هزيمة ساحقة ماحقة لن تقوم له قائمة بعدها على الإطلاق.

دينونة الشيطان (٢٠: ١-١٥)

اختُتم الإصحاح ١٩ بمنظر راكب الفرس الأبيض المنتصر، وبتعبير آخر، بنهاية التاريخ. وعلى ذلك، ليس لنا أن نتخيل أن يبدأ (الإصحاح ٢٠) من حيث انتهى (الإصحاح ١٩). وعلى أساس الفهم الشامل للسفر ككل، أعتقد أن يوحنا يوجز قصته ثانيةً من البداية. فمن خلال الخمس عشرة آية في الإصحاح العشرين يعيد سرد موجز تاريخ الكنيسة ما بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني. وهو إذ يفعل هذا بعد هلاك بابل والوحشين، فإنه يركز هنا على مصير التنين، العدو الرئيسي لله. وينقسم الإصحاح بالطبع إلى ثلاث فقرات: الألف سنة (الآيات من ١-٦)، والمعركة الأخيرة (الآيات من ٧-١٠)، والدينونة الأخيرة (الآيات ١١-١٥).

ويشتهر سفر الرؤيا بإشارته إلى الفترة الألفية، أو فترة الألف سنة. وإني أفترض أنه، على غرار الأعداد الأخرى في السفر، لا يجب علينا تفسير هذا تفسيراً حرفياً، بل كفترة طويلة، ولو أنها غير معينة، والواقع أنها فترة الإنجيل كله. ويقول لنا يوحنا إنه رأي ملاكاً نازلاً من السماء ومعه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة. وقد ألقى القبض على التنين (الذي عُرف مرة أخري بأنه الشيطان)

وقيده بالسلسلة وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه وختم عليه. ولم يكن الغرض من

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ذلك معاقبته بل «لكي لا يضل الأمم فيما بعد . . .». وبعد ذلك رأى يوحنا عروشاً تجلس عليها مجموعتان ـ إحداهما من القديسين الراحلين الذين «أُعطوا حكماً» لأن يدينوا (الآية٤)، والأخرى هم نفوس الشهداء «الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع. . .» وقد اتحدت هاتان المجموعتان في رفضهما السجود للوحش، أو قبول سمته. وقد جاءوا للحياة (اختبار يُسمى فيما بعد «القيامة الأولى») (الآيتين٥ـ ٦)، وحكموا مع المسيح أثناء الحكم الألفي. وقد نالوا بركة خاصة لأنهم لن يموتوا إطلاقاً «الموت الثاني»، بل يخدمون ككهنة لله الآب والمسيح.

ومن المهم ملاحظة أن عبارة «ألف سنة» وردت أربع مرات في هذه الآيات الست، وفي كل مرة بإشارة مختلفة، وهى ـ في جملتها ـ تخبرنا ما الذي سيحدث أثناء الألف سنة. **أولاً**: قُيد الشيطان ألف سنة» (الآية٢)، **ثانياً**: لن يضل الأمم حتى تنتهي الألف سنة (الآية٣)، **ثالثاً**: يملك القديسون المقامون من الأموات، وكذلك الشهداء مع المسيح «ألف سنة» (الآية٤). **رابعاً**: نفس القديسين الذين أُقيموا، خدموا الله والمسيح ككهنة «لمدة ألف سنة» (الآية٦).

وما أن نعرف هذا التكرار الرباعي، والأنشطة الأربعة التي ذُكرت، فإنى أعتقد أنه يتوجب علينا أن نؤكد بشجاعة، أن الحكم الألفي يرمز إلى كل الفترة الواقعة بين مجيء المسيح الأول والثاني. **أولاً**: إنه في مجيئه الأول، وعلى وجه الخصوص بموته وقيامته، «**رَبَطَ القوي**» (مرقس٣: ٢٧، متى١٢: ٢٩). **ثانياً**: أثناء الفترة الواقعة ما بين المجيئين لم «تضل» الأمم، وتجدد الملايين وآمنوا بالمسيح نتيجة الكرازة بالإنجيل بقوة الروح القدس (على سبيل المثال مزمور٢: ٨، مرقس١٣: ١٠، لوقا١٠: ١٨، أعمال١: ٨). **ثالثاً**: أثناء نفس الفترة يُقام شعب الله ويملكون مع المسيح، ويجلسون معه على عروش في السماويات (أفسس٢: ٥ـ ٦، انظررؤيا٣: ٢١). **رابعاً**: نحن كهنة وملوك (رؤيا١: ٦، ٥: ١٠، بطرس الاولى٢: ٥و٩). ولا يوجد ذكر هنا لحكم ألفي «على الأرض»، فالمُلك الألفي هو ملك مع المسيح «في السماويات».

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

إذا ثار اعتراض بأن الشيطان لا يبدو أنه قُيد، ولا تبدو الأمم أنها «لم تُضل»، فقد نستطيع الرد على هذا، **أولاً**: يُعد تقييد الشيطان مشكلة تخص العهد الجديد كله، وليس ما جاء في رؤيا ٢٠ فقط. فطوال أسفار العهد الجديد كلها يتم التأكيد بكل حسم على أن المسيح على الصليب قد غلب بل دمر الشيطان، وجرده من سلاحه وأخضع كل شيء تحت قدميه (على سبيل المثال، كولوسي٢ : ١٥، أفسس١ : ٢٢، عبرانين٢ : ١٤). **ثانياً**: لم يذكر ما جاء في رؤيا ٢٠ أن الشيطان قد قيد بالنسبة لكافة أنشطته، بل فيما يتعلق بخداع الأمم لكي يضلها فقط. وإذا استعرضنا القرون الماضية حتى بداية الإنجيل، نجد أنه كانت هناك تجمعات مذهلة للأمم تؤمن بالمسيح (انظر رؤيا٧ : ٩).

وعندما تنتهي الألف سنة الواقعة في الفترة بين المجيئين، يقول لنا يوحنا، إن الشيطان «يُحل من سجنه» لفترة وجيزة (الآيتين٣، ٧). وأثناء هذه الفترة، فإنه مما لا ريب فيه أن إرسالية الكنيسة للعالم سوف تُواجه بمقاومة وتتقلص، وستواجه الكنيسة اضطهاداً وضيقة عظيمة بدلاً من التوسع. وسوف يجمع الشيطان الشعوب المعادية أيضاً لشن حرب أخيرة ضد الكنيسة، يشترك فيها جوج وماجوج، اللذان يرمزان في (سفر حزقيال٣٨و٣٩) إلى الأمم الملحدة. وسوف يحتشد جيش عرمرم ويزحف في الأرض بقيادة «ضد المسيح» أو «إنسان الخطية» (تسالونيكي الثانية ٢ : ١- ١٢)، ويحاصر معسكر شعب الله والذي ترمز إليه أورشليم، المدينة التي يحبها. وبقية القصة مألوفة. وسبق أن وُصف هذا الجيش وهو يزحف نحو معركة هرمجدون ثلاث أو أربع مرات، لأن يوحنا يصل إلى نفس الذروة بشكل متكرر (على سبيل المثال١١ : ١٨، ١٦ : ١٢-الخ، ١٩ : ١٩).

وفي كل مرة، وفيما يواجه الجيشان بعضهما بعضاً، نتوقع صداماً بالأسلحة، وعنفاً ودماءً. غير أنه لم تكن هناك معركة في كل مرة، لأن الله نفسه يتدخل سريعاً ويحبط الصراع. وسوف يأتي المسيح شخصياً، الراكب على الفرس الأبيض، ويبيد إنسان الخطية بنفخه فيه (تسالونيكي الثانية١ : ٧- ١٠، ٢ : ٨). أو كما ذكر يوحنا هنا «نزلت نار

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

من عند الله من السماء وأكلتهم» (الآية٩). ثم طُرح التنين (إبليس) في بحيرة النار، ليقابل هناك الوحشين في مصير ليس له نهاية.

والآن، وبعد أن هلك التنين، والوحشان، والزانية، وانتهت أيضاً كل مقاومة لشعب الله (سواء كانت اضطهاداً جسدياً، أو عقائد مضلة، أو فساداً أخلاقياً) هنا يأتي الوقت لدينونة الأفراد. ورأى يوحنا عرشاً عظيماً أبيض، ولكنه لم يذكر من الذي كان يجلس عليه. ربما كان الله الآب، لأنه هو دائماً الجالس على العرش الذي لا يُذكر اسمه. غير أنه من المرجح أن يكون يسوع المسيح، لأن الله الآب أعطى عمل الدينونة للابن (انظر على سبيل المثال متى ٢٥ : ٣١، يوحنا٥ : ٢٢، أعمال١٧ : ٣١، رؤيا١٤ : ١٤). الأرض والسماء تختفيان، إشارةً إلى نهاية الخليقة العتيقة. ثم رأى يوحنا الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام العرش. ولم تكن هناك غيابات أو استثناءات. ثم فُتحت الأسفار، سواءً الأسفار الكثيرة التي تسجل أعمال الموتى، أو «سفر الحياة» الوحيد الذي يتضمن أسماء أولئك الذين ينتمون إلى الخروف (٣ : ٥، ١٣ : ٨). وحين يقول يوحنا: «ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم» (الآية١٢)، فإنه لا يعني بذلك أن الخطاة قد تبرروا بأعمالهم الصالحة. كلا، لأننا نحن الخطاة قد تبررنا بالنعمة فقط، وذلك بالإيمان بيسوع المسيح وحده وفي ذات الوقت، سوف نجازى بأعمالنا الصالحة. ومرد هذا أن يوم الدينونة سيكون مناسبة عامة، وأن الأعمال الصالحة ستكون هي الدليل العلني والمرئي الوحيد الذي يمكن تقديمه لإثبات صدق إيماننا. «والإيمان بدون أعمال ميت». وسوف يسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما، لأنه الآن ستكون القيامة العامة. وبعد ذلك يُطرح الموت والهاوية في بحيرة النار، بمعنى أن الموت البدني نفسه لن يكون له وجود بعد: «والموت لا يكون في ما بعد» (٢١ : ٤). غير أن بحيرة النار، التي ستبطل الموت الجسدي تُعد هي نفسها موتاً ثانياً وروحياً، وانفصالاً أبدياً عن الله. والمصير الرهيب لأي شخص ليس اسمه مكتوباً في سفر الحياة هو الموت الثاني، أي بحيرة النار.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

١٠ـ مجيء المسيح كعريس يطلب عروسه
(رؤيا ٢١ ـ ٢٢)

الكون الجديد، والمدينة الجديدة، والجنة الجديدة

يُختتم (الإصحاح ٢٠) بمقارنة مخيفة بين أولئك الذين كُتبت أسماؤهم في سفر الحياة، وأولئك الذين يختبرون الموت الثاني، فالحياة والموت هما المصيرين البديلين اللذين ينتظران البشر. ثم إن الإصحاحين ٢١و٢٢ يذكران أيضاً الموت الثاني (٢١ : ٨)، ولكن تركيزهما كله كان منصباً على الحياة. سفر الحياة (٢١ : ٢٧)، ماء الحياة (٢١ : ٦، ٢٢ : ١ـ ٢، ٢٢ : ١٧)، وشجرة الحياة (٢٢ : ٢و١٤و١٩).

ونعرف الآن أن «الحياة الأبدية» هي معرفة الله شخصياً بيسوع المسيح (يوحنا١٧ : ٣)، كما أن الموت الثاني يعني الانفصال عنه. وعلاوة على ذلك، يعرّف يوحنا هذه الحياة (بأنها المصير النهائي المجيد لشعب الله)، وذلك باستخدامه ثلاثة تشبيهات مجازية واضحة. الأول هو الأمن الذي يتوفر في مدينة الله، أورشليم الجديدة. والثاني هو استعادة الوصول إلى شجرة الحياة في جنة عدن. والثالث يتمثل في العلاقة الحميمة بين العروس والعريس في الزواج. وتميز يوحنا بقدرة رائعة على المزج بسهولة بين تشبيهاته المجازية هذه. وهو ينتقل بسرعة وفجأة من تشبيه إلى آخر (المدينة، الجنة، الزواج) بدون أي إحساس بالتناقض. وكما أن الأسد الخارج من سبط يهوذا، ظهر أنه خروف، وكأنه مذبوح (٥ : ٥)، هكذا أيضاً فإن المدينة المقدسة التي رآها يوحنا نازلة من السماء من عند الله كانت «مهيأة كعروس مزينة لرجلها» (٢١ : ٢). وإنه لأمر صعب أن تتخيل مدينة كعروس، أو تتخيل عروساً كمدينة، كما أنه من الصعب تخيل أسد كخروف، أو تتخيل خروفاً كأسد. وعلى الرغم من ذلك، فإنه ليس صعباً أن تفسر هذه الرموز. ذلك أن التشبيهات المجازية الثلاثة (المدينة، الجنة، العرس) تمثل علاقتنا الشخصية مع الله، والتي تبدأ الآن، بعد أن تصالحنا

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

معه، والتي ستصل إلى ذروتها بمجيء المسيح.

الكل قد صار جديداً (٢١ : ١-٨)

يبدو أن الآيات الثماني الأولى من (الإصحاح ٢١) تحتفي «بجدة» عمل الله الأخروي. وهي تعبيرات مختلفة عن هذه الجدة. فقد رأي يوحنا «سماءً جديدة وأرضاً جديدة» (الآية١)، نزلت إليها أورشليم الجديدة (الآية ٢). ونتيجة ذلك أن «الأمور الأولى قد مضت» (الآية ٤)، وأعلن الله من عرشه: «هاأنا أصنع كل شيء جديداً» (الآية٥).

والوعد بسماء جديدة وأرض جديدة قطعه الله أولاً لإشعياء (٦٥ : ١٧، ٦٦ : ٢٢)، وتحدث يسوع نفسه عن ذلك «التجديد» (متى ١٩ : ٢٨، والمعنى الحرفي الولادة الجديدة)، وكتب بولس عن ذلك في قوله إن الخليقة نفسها ستُعتق من عبودية الفساد (رومية٨ : ٢١). وعلى ذلك، فإنه من المهم التأكيد على أن رجاءنا المسيحي يتطلع ليس إلى سماء غير مادية، بل إلى كون متجدد، علاقته بالعالم الحاضر تتأتى عن طريق الاستمرارية وعدم الاستمرارية. وكما أن الشخص المسيحي هو «خليقة جديدة» في المسيح (كورنثوس الثانية٥ : ١٧)، وهو نفس الشخص ولكنه قد تغير، وكما أن الجسد المقام سيكون هو نفس الجسد وبذات هويته، ومع ذلك يعطى قوى جديدة، هكذا أيضاً السماء الجديدة والأرض الجديدة لن تكونا استبدالاً للكون (كما لو أنها خُلقت من جديد) بل سيكون كوناً مجدداً مطهراً من كل شوائبه الحالية، حيث لا ألم ولا خطية ولا موت (الآيتين٤و٨). ويضيف يوحنا قوله: «والبحر لا يوجد في ما بعد» (الآية١). وكثيرون ممن يحبون البحر يأسفون لذلك، غير أنه علينا أن نتذكر أن البحر بالنسبة لإسرائيل كان رمزاً للاضطراب (إشعياء٥٧ : ٢٠-٢١)، وللانفصال (مزمور١٣٩ : ٩-١٠)، وللعداوة لله، لأن منه خرج الوحش الطالع من البحر (١٣ : ١).

بعد ذلك يسمع يوحنا صوتاً عظيماً من السماء يخاطبه بلغة مباشرة، ويوضح معنى نزول أورشليم الجديدة: «هوذا مسكن الله مع الناس وهو يسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم» (الآية٣). وهذا الإعلان العجيب له تأثيره الكامل

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

لأنه يتضمن صيغة العهد، التي تُذكر مراراً وتكراراً في الكتاب المقدس، وهي: «فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً». ونتيجة هذه العلاقة الحية بين الله وشعبه، لن تكون هناك دموع بعد ولا موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع، لأن هذه الأمور تتعلق بنظام العالم القديم الساقط والذي قد زال الآن، والواقع، وكما استطرد الصوت الصادر من الجالس على العرش: «هاأنا أصنع كل شيء جديداً». وهو وحده القادر على أن يفعل ذلك لأنه هو «الألف والياء البداية والنهاية».

وإلى هنا، ذُكر تشبيهان مجازيان، عن الحياة الأبدية في المسيح، وذلك في الآيات الأولى من (الإصحاح الحادي والعشرين)، وهما على وجه التحديد المدينة (أورشليم الجديدة)، والزواج (العروس المزينة لرجلها). والآن نرى أن التشبيه المجازى الثالث(الجنة) قد تم التلميح إليه على الأقل بالنسبة للعطشان الذي دُعي لأن يشرب مجاناً، وذلك لأنه في الجنة التي يوجد فيها ينبوع ماء الحياة (الآية٦)، والغالبون (الذين رفضوا التهاون في إيمانهم)، تمت الإشارة إليهم إلى جانب العطشان. وعلى النقيض من ذلك، ذُكرت ثماني نوعيات من الأشرار الذين سيُبعدون من المدينة، ومن الجنة، ومن العرس، وعوضاً عن ذلك سيكون مصيرهم البحيرة المتقدة بالنار.

وبقية الإصحاح الحادي والعشرين، ومعظم الإصحاح الثاني والعشرين، خُصصا بالأكثر لتوضيح هذه التشبيهات المجازية الثلاث.

المدينـــة (٢١: ٩-٢١)

دعا أحد الملائكة يوحنا قائلاً: «هَلُم فأريك العروس امرأة الخروف... وأيضاً الزانية العظيمة» (١٧: ١). والعروس والزانية، أورشليم وبابل، ذُكرا على أن كلاً منهما تُعد النقيض للأخرى طوال هذا السفر. وفي بداية هذا الإصحاح، رأى يوحنا المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة نازلة من السماء مهيأة كعروس مزينة (الآية٢)، أما الآن فقد دُعي ليرى العروس، ولكن الملاك أراه المدينة (الآية١٠). ومن الواضح أن التشبيهين المجازيين يتحدثان عن نفس الشيء.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

وقد ذهب الملاك بيوحنا ـ ليس حرفياً، بل «بالروح»، أي أن الروح القدس يتحكم في خياله ـ إلى جبل عظيم. ومن هذه النقطة المميزة، رأى يوحنا المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلة من عند الله. وأول شيء ذُكر عنها، أنها كانت تتلألأ «بمجد الله» (الآية ١١)، بالنظر إلى أن هيكل أورشليم القديمة كان مسكن مجد الله (انظر حزقيال١ و١٠). وكانت المدينة تتلألأ بلمعان حجر ثمين للغاية، لعله من الماس.

ويصف يوحنا سور المدينة إلى جانب أبواب السور والأساسات. وأبواب المدينة الاثنا عشر ـ والتي يحرسها اثنا عشر ملاكاً ـ كانت عليها أسماء أسباط إسرائيل الإثني عشر، وكانت هناك ثلاثة أبواب جهة الشرق، وثلاثة أيضاً جهة الشمال والجنوب والغرب. وأساسات سور المدينة الإثنا عشر عليها أسماء رسل الخروف الإثنى عشر. وهكذا، كانت المدينة تمثل الكنيسة الكاملة لكل من العهدين القديم والجديد.

ويواصل يوحنا كلامه ليقول لنا، إن الملاك الذي كان يرشده، كان معه قصبة من ذهب قاس بها المدينة وأبوابها وأسوارها. وذُكر أن المدينة كانت عبارة عن مربع يبلغ ضلعه إثني عشر ألف غلوة (١٥٠٠ميل تقريباً)، ثم أضاف أن الارتفاع بنفس المقاس. ولذلك، كانت المدينة على شكل مكعب (الطول والعرض والارتفاع متساوون)، مثل قدس الأقداس في الهيكل (على سبيل المثال ملوك الأول٦ : ٢٠)، الأمر الذي يُستشف منه أن المدينة كانت تمثل قدس الأقداس، وأن الحضور الإلهي كان يتخلل المدينة كلها. والمقياس الوحيد الآخر الذي ذُكر هو أن سور المدينة كان ١٤٤ ذراعاً (٢١٦قدماً تقريباً).

ومن المؤكد أننا نتفق مع د.بروس متيزجر بأن أورشليم الجديدة كانت «تحفة معمارية». ولا يمكن للمرء أن يتخيل مكعباً هائلاً يمتد من لندن إلى أثينا، أو من لوس أنجيلوس إلى دالاس. ومع ذلك، بوسعنا أن نفهم الناحية الرمزية. أورشليم الجديدة هي قلعة هائلة حصينة، ترمز إلى ما يتمتع به شعب الله من أمن وسلام. وقياساتها تثبت استقرارها. «طوفوا بصهيون...عدوا أبراجها ضعوا قلوبكم على متارسها...» (مزمور٤٨ : ١٢-١٣). «ليكن سلام في أبراجك راحة في قصورك» (مزمور١٢٢ : ٧). «المتوكلون على الرب مثل

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

جبل صهيون الذي لا يتزعزع» (مزمور١٢٥: ١).

والمدينة التي رآها يوحنا كانت ضخمة وراسخة، ولكنها كانت جميلة أيضاً - وكل أساس من أساساتها الإثني عشر كان مزيناً بحجر كريم يختلف عن الحجر الذي تتزين به كل الأساسات الأخرى، كما أن كل باب من أبوابها الإثني عشر كان مصنوعاً من لؤلوة مختلفة، أما الشارع الرئيسي فكان من ذهب نقي.

وبعد أن رأى الأبعاد الهائلة والروعة الفائقة لأورشليم الجديدة، والتي ملأها مجد الله، فإنه ليس ثمة ما يدعو للدهشة أن يلاحظ يوحنا غياب بعض الأشياء (٢١: ٢٢-٢٧). وقد سبق لنا أن عرفنا أنه لن تكون هناك بعد خطية ولا حزن ولا ألم ولا دموع أو موت (٢١: ٤).

والآن سنعرف أن هناك أربعة أمور أخرى لن تكون موجودة أيضاً.

أولاً: «ولم أر فيها هيكلاً» (الآية٢٢). وهذا أمر طبيعي «لأن الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها» وقد ملأ مجدهما المدينة، ولم تكن هناك حاجة إلى مبنى جديد لسكناهما فيه. وستتحقق نبوة حزقيال «يهوه شمهْ» ومعناها «الرب هناك».

ثانياً: المدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر (الآية٢٣)، لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها» (انظر إشعياء٦٠: ١٩). والواقع، أن نورها كاف حتى لجموع الأمم الذين سُيعدون بين المفديين (رؤيا٧: ٩).

وهنا، علينا أن نتأمل (الآيتين ٢٤و٢٦). «...وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها» و«ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها». ولا يجب أن نتردد في التأكيد على أن كنوز العالم الثقافية ستثري أورشليم الجديدة. والطبيعة هي عطية الله لنا، والثقافة هي ما يصنعه البشر منها. وبالنظر إلى أن البشر يتسمون بالغموض، فهكذا أيضاً ثقافتهم. وبعضها شر بل وشيطاني، غير أن البعض منها جميل وحسن وصادق. وهذه النوعية الأخيرة هي ما يزين المدينة المقدسة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثالثاً: لن يكون هناك ليل، ولذلك «أبوابها لن تُغلق نهاراً» وهذا ما يتيح الدخول للمدينة بشكل مستمر، ومن ثَمَّ إلى الله الذي يسكن هناك (الآية٢٥).

رابعاً: لن يدخلها شيء دنس ولا من يعملون رجساً، بل فقط الذين كُتبت أسماؤهم في سجل الحياة للحمل.

الحديقة (الجنة) (٢٢: ١-٦)

لا تزال الآيات الأولى من (الإصحاح ٢٢) تتحدث عن المدينة التي ورد ذكرها مرتين. وعلى الرغم من ذلك، تركنا أسوار المدينة وأبوابها وأساساتها، وأصبح التركيز على نهر الحياة وشجرة الحياة. وهذه الإيماءات تكفي لكي تنبهنا إلى أن يوحنا كان يكتب، وفي مخيلته جنة عدن، أنهارها الكثيرة وشجرة الحياة التي فيها. وقد يعنّ لنا الاعتقاد بأن السياق يتحدث عن مدينة تعُد جنة (حديقة)، أو متنزه عام في المدينة، ولكن يشير يوحنا بدوره إلى النهر، والشجرة، والعرش.

أولاً: أرى الملاك يوحنا «وأراني نهراً صافياً من ماء حياة» (انظر حزقيال٤٧). وكان الماء لامعاً كبلور خارج من عرش الله والخروف (صادراً من نعمة عظمته)، ويتدفق وسط الشارع الرئيسي للمدينة. وهكذا يكون الماء متاحاً للعطشان في أي وقت.

ثانياً: ذكر أن شجرة الحياة كانت على جانبي النهر (من هنا ومن هناك)، وقد مُنع الاقتراب منها بعد السقوط (تكوين ٣: ٢٣-٢٤)، والآن قد رُفع هذا الحظر. وربما لم تكن هناك سوى شجرة واحدة من هذه النوعية على كل جانب من جانبي النهر، ولكن أفضل ما ذهب إليه بعض المفسرين (اعتماداً على ما جاء في نبوة حزقيال (٤٧: ٧) من أنه «على شاطيء النهر توجد أشجار كثيرة جداً من هنا ومن هناك (٤٧: ٧)، وعلى هذا فإن ثمرها (مثلما هو الحال بالنسبة للماء) سيكون متاحاً للجميع. وهكذا فإن الجياع يأكلون حتى يشبعون، والعطشى يشربون كما يحلو لهم. وهنا يتوجب القول إن الكلمة اليونانية المترجمة «شجرة» هنا، هي نفس الكلمة التي استخدمها بطرس وبولس في إشارتهما إلى

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الصليب (« xylos » أعمال ٥ : ٣٠، ١٠ : ٣٩، ١٣ : ٢٩، غلاطية٣ : ١٣ بطرس الأولى٢ : ٢٤). ويركز يوحنا على موت الخروف الخلاصي حتى أنه رأى في شجرة الحياة إشارة إلى الصليب. وعلى أية حال، فإنه في كل شهر ينضج ثمر جديد من هذه الشجرة، في حين أن ورقها شفاء للأمم، وهذه إشارة إلى فوائدها الإيجابية واسعة النطاق التي يأتي بها الإنجيل إلى العالم الوثني.

ويضيف يوحنا « ولا تكون لعنة فيما بعد » (الآية٣)، وهذه إشارة واضحة أخرى إلى جنة عدن، والتي فيها لُعنت الأرض بسبب خطية آدم، وأنبتت شوكاً وحسكاً (تكوين٣ : ١٧). وقد أُلغيت هذه اللعنة في السماء الجديدة والأرض الجديدة.

ثالثاً : ينتقل يوحنا من الحديث عن النهر والشجرة إلى الحديث عن عرش الله في « المدينة ـ الجنة ». وسوف تعود إلى وضعها المركزي على نحو ما كانت عليه في (الإصحاحين ٤و٥)، وسوف تخضع الحياة برمتها لملك الله والخروف، وعبيده سوف يسجدون له ويعبدونه، وسوف يرون وجهه. ولقد قال الله لموسى بكل وضوح: « لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش » (خروج ٣٣ : ٢٠، يوحنا١ : ١٨)، وعلى هذا فإن كل ما رآه البشر حتى الآن هو مجد الله (خروج ٣٣ : ١٨و٢٢)، الأمر الذي حُدد بأنه البهاء الخارجي لجوهره الداخلي. وهكذا، فقد رأوا الله في شخص الابن المتجسد، وفي أعماله (يوحنا ١ : ١٤و١٨، ٢ : ١١، ١٤ : ٩). ومع ذلك، فإن هذه الرؤية تشبه انعكاساً ضعيفاً من مرآة (كورنثوس الاولى١٣ : ١٢)، وتظل هكذا حتى يرُفع الحجاب عندما يأتي المسيح في مجيئه الثاني، فإننا سنراه « كما هو » (يوحنا الاولى ٣ : ٢)، بل « وجهاً لوجه » (كورنثوس الاولى١٣ : ١٢). هذه الرؤية البهيجة تُعد جزءاً لا يتجزأ من قصد الله الأساسي لشعبه.

وعلاوةً على ذلك، فإن اسم الله سيوسم على جباهنا (الآية٤)، ويختمنا باعتبارنا خاصته إلى الأبد. وثمة شيء آخر « غائب » تكرر هنا: « ولا يكون ليل » (الآية٥ ،انظر٢١ : ٢٥)، لأن نور الله سيبدد الظلام. وكل هذا بفضل سيادة الله، فهو يملك، ثم إن شعبه أيضاً « سيملكون إلى أبد الآبدين »، ولن ينافسوا ملكه بأي حال، بل يشاركوا فيه.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خـــتام

(رؤيا ٢٢: ٦-٢١)

الآيات الست عشرة الأخيرة من سفر الرؤيا تُعد ملحقاً أو خاتمة للسفر، تتضمن تصنيفاً للتحديزات والنصائح التي وردت فيه. وعلى الرغم من ذلك، فقد برزت فيها ثلاثة موضوعات رئيسية.

أولاً، كان يوحنا مهتماً بأصالة سفره، مهتماً بتوضيح سلطانه. ولذلك يؤكد أن يسوع نفسه هو الذي أرسل ملاكه لإعطاء يوحنا هذه الشهادة للكنائس (الآيتين٦و١٦). وبناءً على ذلك، فإن يوحنا «سمع ونظر» ما كان يسجله (الآية٨)، وأن أقواله «أمينة وصادقة» (الآية٦). وقد استخدم يوحنا تعبيراً معيناً خمس مرات، حيث كان يدخل عليه تغييراً طفيفاً، وهو تعبير «أقوال نبوة هذا الكتاب» (الآيات٧، ٩، ١٠، ١٨، ١٩). وواجب قرائه نحو هذه الرؤيا كان واضحاً. عليهم أن «يحفظوا» (الآيتين٧و٩) أي أن يؤمنوا بها ويطيعوها. وعليهم «ألا يختموا عليها» (الآية١٠، أي لا يخفونها). بل يجعلونها معروفة للآخرين. وأنهم إذا عملوا ذلك، عليهم ألا يضيفوا إليها أو يحذفوا منها (الآيتين١٨و١٩).

ثانياً: يصدر يوحنا مناشداته وتحذيراته على أساس خلفية الدينونة المتوقعة. فحين يأتي المسيح، سوف «يجازي كل واحد كما يكون عمله» (الآية١٢). وهنا سيقع الانفصال العظيم. فأولئك الذين غسلوا ثيابهم سيُباركون، ويتمتعون بالوصول إلى شجرة الحياة، وإلى أورشليم الجديدة (الآية١٤)، غير أن الخطاة غير المفديين والكذابين، سيبعدون مثل كلاب الطرق، إلى خارج المدينة (الآية١٥).

وهكذا، فإن يسوع المسيح الذي أبدع كل الأشياء باعتباره «الخالق»، سوف يقوم

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

بعمل الدينونة لأنه «الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر» (الآية١٣). ونفس هذه الألقاب نُسبت لله (١ : ٨)، وللمسيح (١ : ١٧، ٢٢ : ٣). وبنسبة هذه الصفات السامية للمسيح، يستهل يوحنا سفره وينهيه. وكل شيء موجود داخل هذه الأطر. والأكثر من هذا، فوجهة نظر يوحنا، هي أنه حتى قبل الخليقة وبعد الدينونة يظل المسيح هو هو. لأنه الحي إلى الأبد (١ : ١٧). وعلى ذلك، فهو يدعونا اليوم إلى التوبة عن تهاوننا الجبان، ونكون بدلاً من ذلك شهوده الأمناء، ونتبعه عند الضرورة حتى لو أدى الأمر إلى استشهادنا.

«أنا أتي سريعاً»

وعلى الرغم من ذلك، فإن السمة الثالثة، وهي أكثر السمات بروزاً في خاتمة السفر، فقد تم التنبير عليها ثلاث مرات بتأكيد يسوع العظيم المتمثل في قوله: «هاأنا آتي سريعاً» (الآيات٧و١٢ و٢٠).

فهل يعني هذا أن يسوع وتلاميذه قد تنبأوا بأن عودته ستتم في الحال تقريباً، وأنهم قد أخطأوا في ذلك. هذا رأي يتبناه كثيرون، غير أنه ليس من الضروري الوصول إلى هذا الاستنتاج، وذلك لأسباب عدة:

أولاً: قال يسوع إنه لا يعرف وقت مجيئه (مرقس١٣ : ٣٢،انظر أعمال١ : ٧، تسالونيكي٢ : ١ـ الخ) الآب وحده هو الذي يعرف ذلك. ولذلك فإنه من غير المحتمل أن يعلن شيئاً لا يعرفه، فهو لم يكن يجهل أنه لا يعرف هذا الوقت.

ثانياً: حث يسوع تلاميذه وأتباعه في أماكن أخرى أن يتزوجوا وينجبوا أطفالاً (أفسس٥ : ٢١ـ الخ)، وأن يكسبوا بأنفسهم ما يسددون به احتياجاتهم (تسالونيكي الثانية٣ : ٦ـ ١٠)، وان يكرزوا بالإنجيل إلى أقاصي الأرض (متى٢٤ : ١٤، مرقس١٣ : ١٠،متى ٢٨ : ١٩،رومية١١ : ٢٥). وهذه التعاليم لا تتناغم مع مجيء ثان للمسيح يكون عاجلاً. ثم إن بعض أمثال المسيح يُستشف منها التأخير (على سبيل المثال متى٢٥ : ١٩).

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ثالثاً: لقد تنبأ يسوع بالفعل عن خراب أورشليم أثناء حياة معاصريه، وأحياناً يكون من الصعب معرفة ما إذا كان يشير إلى هذا أم إلى النهاية (على سبيل المثال، مرقس١٣ : ٣٠).

رابعاً: «الكتابات الرؤيوية» هي نوعية معينة من الكتابات لها تقاليدها الخاصة بها. وعلى سبيل المثال، فهي تعبر عما سيحدث «فجأة» في إطار ما سيحدث سريعاً. على سبيل المثال، كان بعض أنبياء القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، يعلنون بانتظام أن «يوم الرب قريب» (على سبيل المثال يوئيل٢ : ١)، إلا أن مجئ المسيح لم يحدث إلا بعد مرور عدة قرون أخرى. وبتعبير آخر، تُوجد دائماً ثغرة بين الوعد وتحقيقه، لأنه من خلال الإيمان والصبر ننال المواعيد (عبرانين٦ : ١٢، أنظر عبرانين١١ : ٣٩).

فكيف نفسر إذاً كلمة «سريعاً»؟ علينا أن نتذكر أنه مع الأحداث العظيمة التي تواكب مجيء المسيح: الموت، القيامة، والصعود، يكون العصر الجديد قد بزغ (على سبيل المثال، لوقا١١ : ٢٠، أعمال٢ : ١٧، كورنثوس الاولى١٠ : ١١، تيموثاوس الثانية٣ : ١، عبرانين١ : ٢، بطرس الأولى١ : ٢، ٢ب، ٣ : ٣، يوحنا الأولى٢ : ١٨)، ولا يوجد الآن في تقويم الله الأخروي شيء قبل المجيء الثاني للمسيح، ذلك أن المجيء الثاني هو الحدث التالي في جدول أعماله. ولقد كتب شارلز كرانفيلد يقول: «كان، ومازال، يمكن القول صدقاً، «أن المجيء الثاني قريب». وهكذا اتسم التلاميذ المسيحيون بالإيمان والرجاء والمحبة. والإيمان يتفهم إنجاز المسيح على أنه «تم بالفعل». والرجاء يتطلع إلى خلاصه على أنه «ليس بعد». والمحبة تصف حياتنا «الآن» في غضون ذلك. ولهذا «سريعاً» قد تكون من ناحية الترتيب الزمني للأحداث غير صحيحة، ولكنها صحيحة من الناحية اللاهوتية.

خامساً: أراد يسوع من أتباعه أن يتحلوا بالصبر واليقظة، مثل الزارع الذين ينتظر المطر (يعقوب٥ : ٧-١٠)، ومثل أصحاب البيوت الذين يأخذون حذرهم من اللصوص

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

(متى٢٤ : ٤٢-٤٤، انظر تسالونيكي الأولى ٥ : ١-٤، رؤيا٣ : ٣، ١٦ : ١٥).

وفي سياق سفر الرؤيا، كان لتأكيد المسيح المتكرر «أنا آتي سريعاً»، أهمية خاصة. فهو يشير إلى أنه على الرغم من مجيئه للدينونة، إلا أنه آتٍ ليكمل الخلاص لشعبه، فهو آتٍ كالعريس السماوي ليطلب عروسه».

العـــــرس

سبق أن رأينا أن يوحنا استخدم ثلاثة تشبيهات مجازية للحياة الأبدية، يوضح كل منها وبطريقة مختلفة العلاقة الصحيحة مع الله التي تنتظرنا في النهاية. الأولى تأخذ شكلاً معمارياً، أي الأبواب، الأسوار والأساسات الخاصة بأورشليم الجديدة، والتي لا تحتاج إلى هيكل لأن المدينة بأسرها هي المقدس الداخلي للحضور الإلهي. بعد ذلك يأتي التشبيه بالجنة، الفردوس الذي استُعيد، مع الوصول المستمر إلى شجرة الحياة وماء الحياة. والتشبيه الثالث، الأمر الذي تغلب عليه السمة الشخصية بأكثر مما هو الحال بالنسبة للمدينة والجنة، يشير يوحنا إلى الاتحاد الأبدي ليسوع مع كنيسته في إطار زواج العريس بعروسه.

وعلى أساس العرف اليهودي، يتم الزواج على مرحلتين، الخطوبة ثم العرس. وتتضمن الخطوبة تبادل المواعيد والهدايا، وكانت الخطوبة تعتبر في الغالب ملزمة مثل الزواج، ويمكن أن يُدعى الخطيبان «زوجاً» و «زوجة». وإذا حدث انفصال لابد وأن يتم في إطار إجراءات الطلاق (انظر متى١ : ١٨-١٩). ويتم الزواج بعد فترة من الخطوبة، ويُعد بالضرورة مناسبة اجتماعية. والزواج يبدأ بموكب احتفالي تصاحبه الموسيقى والرقص، يتوجه معه العريس وأصحابه لإحضار عروسه، التي تكون قد هيأت نفسها لذلك. وعليه أن يصحبها هي وصديقاتها وأقاربها إلى بيته للاحتفال بالزواج، الذي قد يستمر لمدة أسبوع. وأثناء ذلك، تتلقى العروس والعريس مباركة عامة من والديهما، ثم يصحبونهما إلى غرفة الزواج، وذلك لاستكمال الزواج في حميمية الاتحاد الجسدي.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

والكتاب المقدس لا يجد أي حرج في الحديث عن الجنس والزواج، وليس عليه حظر من ناحية استخدامه التشبيه المجازي بالزواج ليصف علاقة العهد بين الله وإسرائيل (شعب الله في القديم). ثم إن محبة الله لإسرائيل قد وُصفت في سفر إشعياء، إرميا، حزقيال، وهوشع في إطار عبارات بدنية واضحة، فقد خاطب الله إسرائيل على لسان حزقيال: « ...وكبرت وبلغت زينة الأزيان. نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية. « فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي » (حزقيال ١٦ : ٧/بـ ٨).

وقد لمح يسوع نفسه، في عبارة جريئة إلى أنه عريس المؤمنين به، ولذلك ليس من المناسب ـ طالما هو معهم ـ أن يصوموا (مرقس ٢ : ١٩ـ ٢٠). ثم إن بولس ـ وعلى الرغم من اتهامه بأنه عازف عن النساء ـ أخذ هذا التشبيه المجازي وطوره. فقد صور المسيح على أنه العريس الذي أحب عروسه « الكنيسة » وأسلم نفسه لأجلها لكي يحضرها لنفسه مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (أفسس٥ : ٢٥ـ ٢٧). وعندما أضاف بولس عبارة « هذا السر عظيم »، فيبدو أن كان يقصد بذلك أن اختبار « جسداً واحداً » في الزواج يرمز إلى اتحاد المسيح بكنيسته (أفسس٥ : ٣١ـ ٣٢).

وهذا التشبيه المفعم بالحياة هو نفسه الذي استخدمه يوحنا. ولقد سبق وأعلن أن « عرس الخروف قد جاء » وأن « امرأته هيأت نفسها »، و« طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف » (١٩ : ٧و٩). وإذ مزج التشبيهين، وصف يوحنا أيضاً أورشليم الجديدة « نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها » (٢١ : ٢و٩).

ولكن، أين هو؟ إننا لا نراه في أي مكان. فليس من واجب العروس أن تحضر العريس، بل إن العريس هو الذي عليه أن يذهب ويحضر عروسه. أما هي، فقد هيأت نفسها واستعدت وقد ارتدت ثيابها الجميلة وازدانت بجواهرها. وعلى الرغم من ذلك، لا يسعها الآن سوى الانتظار ـ فيما عدا أنه كانت لها الحرية في أن تعبّر عن اشتياقها له: « الروح والعروس يقولان تعال » (الآية١٧). لأن خدمة الروح القدس السامية هي أن

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يشهد للمسيح، ولأن الرغبة السامية للعروس هي أن ترحب بعريسها.

وهذا هو الحال الذي ترك عليه سفر الرؤيا الكنيسة- حيث تركها تنتظر، وتتأمل، وتتوقع وتتلهف، فالعروس تتطلع إلى عريسها، متمسكة بوعده الثلاثي بأنه سيأتي سريعاً، وتتشجع بالآخرين الذين يرددون نداءها: «آمين تعال أيها الرب يسوع» (الآية ٢٠،انظركورنثوس الاولى١٦: ٢٢). وفي غضون ذلك، تراها واثقة بأن نعمته تكفيها (الآية٢١) حتى يبدأ العرس الأبدي وتتحد مع عريسها إلى الأبد.

وإني أعتقد، وآمل أيضاً أن يكون القراء قد تأثروا بصورة المسيح التي رسمها يوحنا في سفر الرؤيا -صورة المسيح الأبدي الذي لا يتغير أبداً، ولكنه يدعونا اليوم أن نتبعه. وقد رأيناه الآن يشرف على كنيسته التي في الأرض، وهو يشارك الآن عرش الله في السماء، ويسيطر على مجرى التاريخ، وهو يدعو العالم الآن إلى التوبة، وهو راكب الآن على فرس أبيض للدينونة، وهو يقدم وعداً الآن بأن يأتي سريعاً ليأخذ عروسه.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

خـاتمـــة

كتاب واحد في أربعة أجزاء

الأجزاء الأربعة من هذا الكتاب كلها استكشافات لهوية يسوع المسيح الرائعة. وفي الجزئين الأول والرابع تأملنا شهادة العهد الجديد للمسيح، وفي الجزئين الثاني والثالث شهادة تاريخ الكنيسة له.

وكنا ندرك دائماً أنه يُوجد اختلاف جوهري بين هاتين الشهادتين، وهكذا أيضاً بين الأجزاء الكتابية، والأجزاء التاريخية من دراستنا هذه. وذلك لأن المسيحيين يعتقدون أن الكتاب المقدس هو الإعلان الإلهي المكتوب، وعلى ذلك له سلطة إلهية فريدة، في حين أن إعلانات قادة الكنيسة هي آراء بشر ليست معصومة من الخطأ، على الرغم مما تبدو عليه من سمات مميزة.

وهذا الاختلاف تم التعبير عنه عمداً في متن هذا الكتاب. فالجزءان الثاني والثالث (المسيح بحسب وصف تاريخ الكنيسة) إنما جاء وبشكل حازم في إطار الجزئين الأول والرابع (المسيح كما يصوره العهد الجديد).

وقد وجدت نفسي مضطراً إلى أن أتذكر نفس هذا الاختلاف كلما قدمت جواهر الجزئين الثاني والثالث للنقاد. وكنت أوليهم حق قدرهم (ولا سيما في الجزء الثاني). وعلى سبيل المثال، شعرت بأنني حرّ فى أن أطرح أسئلة عن التقليد الرهباني أو أعبر عن انتقادي له، وكذلك بالنسبة للتصوف المسيحي، والنوعيات الإقطاعية من تعليم أنسلم عن الكفارة، وتصوير حركة التنوير ليسوع على أنه مجرد معلم من البشر، والصورة التي رسمتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية ليسوع على أنه الضحية المأساوية، دون أي تأكيد على قيامته منتصراً من الأموات، وميل أفكار

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

لاهوت التحرير إلى الخلط بين التحرير الروحي والعبودية، وافتقار مجلس الكنائس العالمي لثوابت الإرسالية المسيحية.

ولكن، كيف تجرأت على التعبير عن مثل هذه الانتقادات غير المقبولة؟ أليس في هذا تخطياً للحدود؟ إجابتي هي، نعم، كان الأمر سيُعد غطرسة غير مقبولة لو لم يكن الله قد تفضل وأعطانا في الكتاب المقدس معياراً يمكننا به الحكم على كل تحركات الإنسان وتقاليده. وبناءً على ذلك، علينا وبشكل دائم الرجوع في تواضع إلى الصور الكتابية للمسيح، ونحكم على صورتنا على أساسها، لأنها هي وحدها التي تُعد معيارية.

وكان لابد لي من أن أكون انتقائياً في اختياري لقادة الكنيسة وآرائهم عن المسيح. ولكن ليس لنا حرية الانتقاء بالنسبة للنماذج الكتابية للمسيح، بأن نقبل منها ما يعجبنا ونرفض تلك التي لا نحبها. وعقلية «انتق واخلط» لثقافة ما بعد الحداثة، لا تتناغم مع وجهة نظر الفكر المسيحي عن الكتاب المقدس، والأمر المتيقن هو أنه من المشروع أن تختار موضوعات كتابية للدراسة المتخصصة (على سبيل المثال، رأي بولس في هذا، أو وجهة نظر بطرس في ذاك)، ولكن هذا مسموح به فقط لتوضيح ما ترمي إليه هذه الدراسات، ليس أن نظل انتقائيين، بل أن نصبح فاهمين.

وتنوع شخصيات يسوع غير العادية التي يرسمها له تاريخ الكنيسة - والبعض منها يكاد لا يشابه الشهادة الرسولية الحقيقية عن يسوع - تشكل تحذيراً حقيقياً لنا في أيامنا هذه. وعلينا بكل الوسائل نستمر فى الإضافة إلى الجزء الثالث (المسيح بحسب وصف الكنيسة)، لأنه لا توجد هناك حدود للطرق التي يستطيع أن يؤثر بها يسوع العهد الجديد فينا ويلهمنا. ولكن علينا ألاّ نضيف شيئاً من نوعيات أخرى ليسوع، ما لم نكن على ثقة من أنه يمكن تبريرها بالرجوع إلى يسوع العهد الجديد نفسه (الجزئين الأول والرابع).

ولكن كيف يمكننا نحن أن نعرف يسوع الحقيقي - المسيح الذي لا يُضاهى والذي

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

ليس له مثيل؟

أختم بقصة كان يحكيها الراحل دونالد كوجان، رئيس أساقفة كانتربرى السابق (على الرغم من أنه لم يستطع تذكر أصلها):

يقولون إنه كان هناك نحات عمل تمثالاً لربنا يسوع. وكان الناس يأتون من أماكن نائية جداً ليشاهدوه ـ ليروا المسيح في كل قوته ومحبته. وكانوا يسيرون حول التمثال، محاولين أن يفهموا روعته، ويتأملوه من هذه الزاوية، أو من تلك. ومع ذلك، كانت عظمته تحيرهم، إلى أن ذهبوا يستشيرون النحات نفسه. وكان يرد دائماً بقوله: «هناك زاوية واحدة فقط يمكن منها رؤية التمثال على حقيقته. عليكم أن تنحنوا ساجدين»



christianlib.com coptic-books.blogspot.com

الملحـــق

اللقاء الأول المسكوني بين لاهوتيين
من الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية
نظم اللقاء مؤسسة برواورينت في ڤيينا
٧-١٢ سبتمبر ١٩٧١

اجتمع لاهوتيون من الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية الشرقية في فيينا من ٧ الى ١١ سبتمبر ١٩٧١ لمناقشة مسكونية غير رسمية بدعوة من مؤسسة برو اورينتال ووافقوا على النقاط التالية:

«نحن كمسيحيين نشعر بوحدة روح الاخوة في ايماننا برب واحد يسوع المسيح الهنا ومخلصنا ، ونحن ندرك بقدر متساو وصية وصلاة ربنا ان نكون واحدا فيه لكي نكون شهادة له ليؤمن العالم» (يوحنا ١٧ : ٢١)

ونحن نجد اساسنا المشترك في التقليد الرسولي ، خاصة المؤكد في قانون ايمان نيقية ـ القسطنطينية ، لاننا نؤمن بالقرارات والتعليم العقائدي لمجمع نيقية ٣٢٥م والقسطنيطينية ٣٨١م وافسس ٤٣١م، ونوافق كلنا على رفض التعليم النسطوري والاوطاخي عن يسوع المسيح. لقد بحثنا بعمق في فهمنا للتعليم الخلقدوني واللاخلقدوني عن شخصية المسيح والتي كان يفصلنا حتى اليوم.

نحن نؤمن ان ربنا ومخلصنا يسوع المسيح هو الله الابن المتجسد، الله كامل وانسان كامل، لاهوته لم يفارق ناسوته لا لحظة ولاطرفة عين. ناسوته ولاهوته في اتحاد كامل دون اختلاط او تداخل او تقسمه او انفصال. ونحن في ايماننا المشترك في الرب يسوع المسيح الواحد نعتبر هذا السر لاينتهي وغير قابل للخطأ وان العقل البشري لايمكن ان

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

يفهمه او يعبر عنه بالكامل.

ونرى انه مازالت هناك اختلافات في التفسيرات اللاهوتية في سر المسيح وذلك بسبب تقاليدنا الكنسية واللاهوتية، وعلى اية حال نحن مقتنعون ان هذه الاختلافات من الجانبين يمكن ان تفهم في ظل التفسير الايماني لمجمع نيقية وافسس و ندرك انه يمكن ان توجد توجهات مختلفة في اللاهوت والعقيدة في فهمنا لسر المسيح، و نشجع المجهودات المشتركة لفهم اعمق واشمل لهذا السر في توافق مع تقاليدنا الكنسية المختلفة.

لقد ناقشنا بصورة عامة مشكلة المجامع المسكونية وسلطانها وقبولها، ونشجع ان تُدرس هذه الأختلافات بدقة من الجانبين. نخضع انفسنا لشهادة الكتب المقدسة للعهد الجديد ولتعليم الرسل ونعبر عن اصرارنا ان لانكف عن البحث عن لغة مشتركة لسر خلاص ربنا بروح اخوية... «[١٣] **إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ**» (افسس ٤ : ١٣). ونرجو ان نرى سر لطف الله يعبر عنه في حياة مودة مسيحية

إن جميع الحاضرين في هذا اللقاء اختبروا ثمار الحوار اللاهوتي ونصلي ان الله الذي احضرنا معا ان يباركنا ويرشد مجهوداتنا المستقبلية في حوارات مفيدة.

christianlib.com coptic-books.blogspot.com

جون ستوت واحد من أبرز القيادات والكتاب الذين أثروا فى حياتى وخدمتى. فهو الراعى والمعلم الذى جمع ببراعة بين الفكر الكتابي واللاهوتي المتعمق وبين المناخ العملى والكنسى، بين أمانة الإمساك بقوة بالنص الكتابى وبين الحساسية الواعية للتطبيق المعاصر وقضايا الواقع العملى. وهو فى كل كتاباته مأخوذ بشخص المسيح، الذى هو مركز التاريخ والكتاب وقلب إرسالية الكنيسة. وسوف نرى كل هذا فى هذه المحاضرات القيمة التى قدمها عام ٢٠٠٠ حول شخص المسيح، والتى جمعها بين دفتي هذا الكتاب الذى أدعو الجميع لاقتنائه والاستمتاع بدراسته.

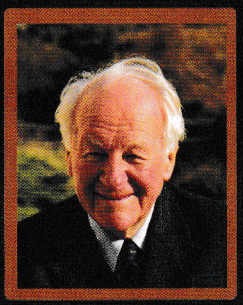
د. القس/ مكرم نجيب

«يسوع المسيح هو هو أمس، واليوم ، وإلى الأبد.» هذه الكلمات تلخّص الفكر العظيم المسيطر على جون ستوت طوال سنوات خدمته الجسورة المتفانية. وكتابه هذا يجمع بإيجاز ممتع بين تعليم الكتاب والتاريخ الكنسى. فهو ينقل إلينا ليس فقط الجوانب المتعددة لشخصية الرب يسوع، ولكن أيضا جاذبيته الفريدة عبر الحضارات والقارات والعصور فى إطار جميل هو كلمة الله. إنى أذكّي هذا الكتاب المتّسم بالنضوج، والذى يعظّم السيد المسيح.

ديفيد ف رايت أستاذ بجامعة ادنبره

على مدى عشرين قرناً من الزمان كانت شخصية يسوع المسيح محوراً للدراسة والتأمل ومصدراً للإعجاب والجدل. وحتى يومنا هذا يظل السؤال « من هو يسوع المسيح ؟» مطروحاً ومتجددا. فالبعض على يقين إنه إبن الله أو الاله المتجسد والبعض الآخر يعتقد أن المسيح هو أحد الانبياء أو أحد المصلحين الذين أتوا بتعاليم ساميه. وفى هذا الكتاب يأخذنا جون ستوت فى رحلة دراسية غنية نصل فى نهايتها إلى اليقين أن " المسيح لا مثيل له " والطريق الوحيد لخلاص البشرية. إننى اشجع الكل أن يدرسوا هذا الكتاب بتأنى وتأمل وأثق أنه سيكون مشجعاً ومؤكداً لإيماننا بالمسيح يسوع.

المطران الدكتور منير حنا انيس
مطران الكنيسه الاسقفيه بمصر وشمال افريقيا
والقرن الافريقى والمطران الرئيس لاقليم القدس
والشرق الاوسط



ولد الدكتور القس جون ستوت فى عام ١٩٢١ ويعتبر من أشهر الوعاظ والمفسرين للكتاب المقدس فى العالم.
ولقد خدم فى كنيسة All Souls الأسقفية (الأنجليكانية) بلندن.
وقد ألف جون ستوت العديد من الكتب التى بيع منها ملايين النسخ وترجمت للعديد من اللغات.

دار النشر الإسقفية

christianbook.com
coptic-books.blogspot.com